

حملة الأمير محمود ود احمد إلى الشمال

١٣١٥ هـ --- ١٨٩٨ / ٩٧ م

رسالة للماجستير في التاريخ

كلية الآداب - جامعة الخرطوم

١٩٦٩ م

محمود عبدالله ابراهيم

رسالة الامير محمود ود احمد
الى الشهاب
١٣١٥ هـ - ١٨٩٨/٩٧

رسالة للماجستير في التاريخ من
كلية الآداب - جامعة الخرطوم

١٩٦٩

محمود عبدالله ابراهيم

لا بد لنا من مقدمة موجزة عن الفترة التاريخية التي حدثت فيها حملة الأمير محمود وداحمد بحسرة مامة حتى تتضح لنا الظروف التي احاطت بتلك الحملة.

اتفق كثير من المؤرخين على تسمية النصف الثاني من القرن التاسع عشر ((بفترة الاستعمار الحديث)) (New Imperialism) . فقد حدث في هذه الفترة نشاط ملحوظ من جانب الدول الأوروبية للاستيلاء على كثير من البلدان في آسيا وافريقيا بعد فترة ركود وفستور في النصف الاول من ذلك القرن . وقد ساق المؤرخون تفسيرات كثيرة لهذا النشاط الاستعماري لايهمنا التمرض لها بالتفصيل في هذا المجال (١) . وقد صيرت حتى الاستعمار بين الدول الأوروبية فتسابق للاستيلاء على اراض شاسعة في المناطق الحارة وهذا ما عرف بين المؤرخين " بالتسابق نحو افريقيا " (The Scramble for Africa) والسودان كجزء من افريقيا كان مسرحا لهذا النشاط الاستعماري

(١) لا بد ان نتعرض لهذه التفسيرات باسهاب ليس هذا مجالها ونرجو أن نورد هنا بعض الكتب التي تعرضت لذلك بالتفصيل .

(a) M. Wright Harrison: "The New Imperialism " Analysis of Late Nineteenth - Century Expansion (Boston 1961) .

(b) J. Holan? Rose : The Development of the European Nations 1870-1900 (London, 1905)

(c) J.A. Hobson : Imperialism, A study London, 1902)

(d) V.I. Lenin : Imperialism, The Highest stage of Capitalism (New York 1939)

(e) Leonard Woolf : Empire and Commerce in Africa A study in Economic Imperialism (London 1910)

(f) Cromer, Earl of (E. Parnet) Modern Egypt 2 vols. (London 1908)

وحيال نصيبه من زحف الجيوش الاجنبية فوق اراضيه
وزحف كتشنر بجيوشه لاعادة فتح السودان
كان جزءاً من هذا التسابق " (١)

وقد تميزت هذه الفترة باراقة كثير من الدماء
والعنف (٢) في المستعمرات ، وحب اخبار الانتصارات
وتعظيم الامبراطوريات وابتهاج الناس بذلك في اورشلاء
وكثير من ابطال تلك الفترة بنوا مجدهم على الفتوحات
الاستعمارية ، والاممال التي قام بها كتشنر في حملته من
المجازر البشرية في عطبرة وكبرى ، ومن اقامة الاحتفالات
ونصب الاقواس للنصر في بهر كلها ترمي ضوءاً على السروح
التي كُتبت تسترشد بها تلك الحملة والتي كانت جزءاً
من روح الجزء الثاني من القرن التاسع عشر .

(١) كانت هناك دوافع متعددة حدثت بالحكومة البريطانية لتغيير
سياستها حيال السودان ، وان تتخذ قراراً باعادة فتحه
في سنة ١٨٩٦ ، تعرضنا لبعضها في الفصل الاول من هذه
الرساله . ولزيادة التفاصيل يمكن الرجوع الى :-

(1) M. Shihaka : British Policy in the Sudan 1882-1899 (London 1962)

(2) G.N. Sanderson : England , Europe and the Upper Nile . 1882-1899 (Edinburgh 1965)

(3) R. E. Robinson, J. Gallagher with A. Denny : Africa and the Victorians & The Official mind of Imperialism (London 1961)

(٢) ينطبق هذا بصورة خاصة على السودان وشمال السودان .

وقد بدأنا هذه الرسالة عن حملة محمود وداحمد
الى الشمال بمسألة اعساده فتح السودان من جانب
برطانيا ومصر والاستعدادات التي اتخذت لتحقيق ذلك
الغرض ثم استعدادات الخليفة لملاقاة جيوش كتشنر الزاحفة
على بلاد مصر واقتصاده في ذلك على مشيرته وتجهيزاته مع
عدم ثقته في اهالي المنطقة للدفاع عنها فاضطره ذلك
الى استدعاء ابن عمه محمود وداحمد من الغرب لتولي تلك
المهمة * ومن هنا تبدأ الصعاب التي تواجه حملة محمود
وداحمد منذ رجوعه الى الغرب لاستنفار القبائل للجهاد
والاالباب الصعبة التي استعملها في ذلك ثم بعد وصوله من
الغرب وتجهيزه بجيشه في ارض اهاليها لا يرحب سكانها بمقدمه *
اول هذه الصعاب هي مسألة التهمة التي عرضنا لها في الفصل
الثاني من الرسالة وقد عالجننا معها الحركة المشابهة لها
والتي قام بها حسنين برى في مصر * * * ثم تعرضنا لما حدث
من جيوش محمود بعد الواقعتين وما ترتب على ذلك بكما تعرضنا
لوجهات النظر المختلفة عن واقعة التهمة * ثم تعرضنا في الفصل
الثالث الى جانب آخر من جوانب الصعاب التي فرضتها ظروف
هذه الحملة على محمود وهي تحركات الحملة على غسبير
هدى وغير خطة مرسومة والتخبط بالجهات المختلفة مما
ارهق الجيش واضطره للحرب في غير المكان الذي يهبط ويرمى
لقمة سائلة في فم كتشنر * وفي الفصل الرابع تعرضنا
لعناصر الضعف في جيش محمود من حيث الجوع وعدم نقصان
المؤن والذخائر واختلاف قواده وهبوط الروح المعنوية لجنوده
وعدم اختصاره للمكان المناسب للحرب وعدم استعماله للسلاح
على الوجه الاكمل وكذلك عدم تدهيب جنوده * ثم ختمنا
الرسالة بالفصل الخاص الذي عالجننا فيه مشكلة النخلة
والتي ايسد فيها جيش محمود *

وقد حاولنا في هذه الرسالة الاعتماد كثيرا على وثائق الدولة المهدية دون التجاهل للصادر الاخرى... فالخطابات المتبادلة بين محمود والخامسة ومنها ومن بقية الامراء ما بين سنة ١٣٠٨ هـ وسنة ١٣١٥ هـ ~~والله~~ كانت من اهم مصادر البحث ، ثم وثائق المهدية التي اشترينا اليها في موضعها في الرسالة ثم كتابات من عاصروا تلك الفترة ثم بعض الكتب ذات الصلة الوثيقة بما تعرضنا له بالبحث ، وكذلك اخذنا بعض المعلومات من افواه بعض من عاصروا تلك الفترة وقارناها مع بعضها البعض وكذلك بالوثائق والمعلومات من المصادر الاخرى وقد سافرنا الى غرب السودان وكذلك الى الشقة وطبره ثم الى النخلة على نهر عطبرة متتبعين الطريق الذي سلكه محمود في تلك الحملة التي قادها الى الشمال كما استرنا ببعض المعلومات العسكرية من بعض ضباط القوات السودانية المسلحة في محاولة لفهم بعض المواقف والاسلحة وطريقة استعمالها واهميتها .

نارجو أن يوفقني الله في بسط ما جمعته بالطريقة المرضية كما آدعو بالتوفيق لكل من كان له الفضل في توجيهي في هذا البحث وابدأ بالبروفيسور مكي شويكة والدكتور عباس ابراهيم الذين كانت لتوجيهاتها اتسد الاثوار ، كما اشكر السادة الدكتور محمد ابراهيم ابراهيم مدير دار الوثائق المركزية لجمهورية السودان لسماحها لي بقرأة المصادر الهامة التي كتبت في غاية الحوجة لها كما لفتا نظري الى بعض الوثائق ذات الاهمية الكبرى كما اشكر كثيرا السيد وداه حسين صطفى مراقب الارشيف بدار الوثائق الذي بذل كل جهده

ففى تحضير كل من احتجت اليه من شائق
وامانى نس ترحبها بفرض الاستفادة منها دون مشقة ،
وتذكرى ايضا الى الانسة لوسى بولس بقم الجمالوجيا
بجامعة الخرطوم للمساعدة فى رسم وتصوير الرسومات
اليمانية المرفقة ، كما اشكر غير هؤلاء كل من امانى
بالصح الشعر والارشاد المفيد •

والله الموفق •

الفصل الاول

امادة فتح السودان وموقف الخليفة فيه

ظلت مسألة السيطرة على حوض النيل وما تبعه جزءاً هاماً من السياسة الخارجية لبريطانيا منذ سنة ١٨٨٢ بعد استيلائها على مصر ، فقد كانت مصر تعتمد على النيل في كل جوانب حياتها ، والدولة التي تسيطر على منابعه كان يمكنها ان تتحكم في مصير مصر بعمل الخزانات والسدود على نهر النيل او احد روافده ، وان كانت تلك الدولة معادية لمصر كان يمكنها ان تجعل الحياة جد صعبة لمن يحكم مصر (١) ، ولذلك لم تكن مصر تحتل وجود قوة معادية لها في السودان وقد عبر بها عن اهمية أسر السودان لمصر بقوله ان

" هناك حقيقة واضحة لا يمكنها ان تكون ان النيل هو حياة مصر " ، والان فان النيل يعني السودان ، ولا يمكن قطعها كالرابطه بين الروح والجسد " (٢)

في عام ١٨٨٥ استطاع محمد احمد المهدي ان يفرض سيطرته على السودان الأوسط ، وان يكون حكمه معادية لحكام مصر في ذلك الوقت ، وصار لزاماً على بريطانيا التي تتولى شؤون مصر في ذلك الحين ، واسترجاع تلك الاراضي التي اجبرت على اخلائها لجيوش المهدي ، ولكن لم يكن ذلك الامر هاما في عام ١٨٨٥ ، ولم تكن هناك عجلة لاسترجاع تلك الاراضي .

(1) W.L. Langer: The Diplomacy of Imperialism , NewYork, 2nd Ed. 1951, PP.105-107

(2) Egypt. No. 1 (1883) Memorandum of Dec. 9th. 1888, No. 35 enclosure, from Riaz Pasha to Sir Evelyn Faring . see Ed Appendix A. (1)
Quoted from , W.L. Langer Ibid , P. 107 .

وذلك لان حكومة المهدية لم تكن لها الامكانيات الفنية ،
والمادية ، والهندسية التي تمكنها من التحكم في مجرى النيل
بغرض تحويله وتهديد مصر ، ولذلك فقد كانت الحكومة
البريطانية ترجو ان يظل الامر على ما هو عليه ، دون ان
تتدخل اى حكومة اخرى تملك الامكانيات الفنية للسيطرة
على حوض النيل ، وبالتالي تتحكم في مصر مصر ، وقد
عبر اللورد سائرس من هذا بقوله " ان الاهاش من السودانين
لن يشككوا من تلقاء انفسهم من الحصول على القدرة
الفنية التي يستطيعون بها التلاعب بماء النيل ، ولكن
بالرغم من ذلك فانه وضع غير صحيح ان تكون موارد ماء
هذا النهر العظيم ، الذى هو شريان الحياة لمصر ، دائما
معرضة للمخاطر مادامت ضابطة لا تخضع للسيطرة
المصرية " من ذا الذى يستطيع تقدير ما قد يحدث
اذا استطاعت احدى الدول المتضررة ان تقيم السدود
لتحويل ماء النهر التى لا يمكن لصرا الاستغناء عنها للزراعة " (١)
وقد كان لوجود حكم المهدية فائدة موقته اخرى هى التى
عبر عنها كرومر في خطابه للورد سالسبرى في ١١
ديسمبر ١٨٩١ - ٩ يناير ١٨٩٢

" ان الدرايش قد تلقوا هزيمة نكراء في كل
من - ولكن وحوض النيل ولذلك فانهم لن يفكروا في العداوة نفس
المستقبل القريب " ان الدرايش بوضعهم الحالي لا يشكلون
اى خطورة على مصر ، بل انهم فوق ذلك يقدمون لنا
خدمة جليلة الا وهى العبيد ضد اى تغير للوضع في السودان " (٢)

(1) Alfred Milner : England in Egypt , London
1892, PP. 197-198 .

Quoted from W.L.Denger=On. cit.P.107

See Appendix A. 2.

(2) The Marquess of Zetland : Lord Cromer,
London 1932 PP. 220-221

See Appendix A. 3.

ولهذا جعلت بريطانيا همها الأكبر هو محاولة المحافظة على الوضع القائم " Status quo " ومحاولة إبعاد كل الحكومات الأوروبية من احتلال أراضي حوض النيل حتى يأتي اليوم الذي تتمكن فيه مصر من استعادتها • ولكن لم يكن لبريطانيا أي سند قانوني أو عملي يحكمها من منع أي من تلك الحكومات من الاستيلاء على تلك الأراضي • وهذا الموقف قد جعل الحكومة البريطانية في موضع غاية في الحساسية من التوجيه الدبلوماسية • وأدخلها في محاورات سياسية ومفاوضات كثيرة مع العديد من الدول الأوروبية والتي كان لها نشاط ومصالح بالقرب من تلك المنطقة • مثل إيطاليا • وفرنسا • بلجيكا • وكان خطر تدخل هذه الدول في أراضي حوض النيل ماثلا على الدوام • يقول هـ • د • تيل " (١) في ذلك " ضائع النيل التي هي شريان الحياة لمصر قد صارت لأول مرة في تاريخها الطويل في متناول أيدي بعض الدول الأوروبية الكبرى وقد تتمكن إحدى تلك الدول من السيطرة على تلك الضائع فتفرض بذلك سلطاتها وتتحكم في حياة مصر • "

وكان نشاط إيطاليا في شرق إفريقيا يزعج السياسيين في بريطانيا • بالرغم من أنه كان هناك تفاهم بين بريطانيا وإيطاليا حول هذا النشاط • بالرغم من المعاهدة التي أبرمت بينهما والمسماة بمعاهدة (Lord Dufferin's Convention) والتي حددت المجالات التي يمكن لإيطاليا أن تمارس فيها نشاطها • فقد كتب كرومر يمدى يده لارتياحه لنشاط الإيطاليين في نوفمبر ١٨٩٤م إلى اللورد كامبرلي يقول : -

(1) H.D. Trail : England, Egypt, and the Sudan London 1900, P. 149

Quoted from W.L. Ganger= Op. Cit. P. 287.

See Appendix A. (4)

«أن الدراويش ان فكروا في الحرب سيمنون
 بالهزيمة على ما اعتقد ولكن ألا يفكر الطليان حينئذ
 في التقدم الى ما بعد الخط الذي حددته معاهدة (دفرن) .
 ان مفاوضي دائما هي ان تفرض علينا مشكلة السودان هذه
 قبل الاوان المناسب»^(١) ولم يكن هناك حل نهائى لهذه المسألة،
 بالنسبة لبريطانيا ، الا باحتلال تلك الاراضى بواسطة عليهما
 سيطرة فعلية . ولكن كانت هناك صعوبات كثيرة تثق دون
 تحقيق تلك الغاية . اولها الحالة المالية التى كانت عليها
 الحكومة المصرية . وقد صبر كرومر عن ذلك بقوله : -
 " ان السودان يعنى الكثير بالنسبة لصر ولكنه لا يرقى
 الى الدرجة التى قد تؤدى الى افلاس خزينتها وفرض
 ضرائب غير محتملة على مواطنيها . " كانت الحكومة
 البريطانية ستعتمد على حق الخديوى القانونى فى محاولة
 استرجاع اراضى السودان بعملية كان لابد من فتحها باسمه .
 وقد كان اللورد كرومر يهاوش بشده اى اتجاه للزعيم بصر فى
 اى مفاصلة عسكرية من شأنها ان تنال على كل المجهودات
 التى بذلها لاعلاج حال الخيانة المصرية التى كان الخديوى
 اسماهل قد اجهدا بالديون . وقد كتب كرومر فى هذا
 المعنى الى روزبرى يقول : -

(1) Zetland : Op.Cit., P. 221 See Appendix A 5

(2) Ibid., P. 213 See Appendix A. 6

" ارجو ان الفت نظرك الى نقطة واحدة هامة وهي ان المسألة العسكرية في الواقع مسألة مالية بموازاة مع المشكلة المصرية كلها نجدها لا يمكن فصل المسائل المالية عن المسائل السياسية . " (١) وكان اهل الحكومة البريطانية ان تظل ايطاليا وفيها من الدول خارج حوض النيل الى ان يأتي اليوم الذي تستعد فيه مصر ماليا وعسكريا لاسترجاع ماوان تكون حكومة المهدية قد انهارت من تلقا نفسها بمرور الزمن من جراء الانقسامات الداخلية في السودان . وفي خطاب شخصي من بيرنج الى بارنبتن في ١١ يناير سنة ١٨٩٠ يقول ممبرا عن ذلك بقوله : -

(٢) اذا كان هو - - - - - لا يستطيع الوصول الى اتفاق مع الطليان على اى حال فيجب عليه معاظمتهم وايقائهم خارج حدود السودان لئلا يكون السودان في خلالها قد ساد لسيطرة مصر دون مشقة . ان تدهور المهدية يسير بخطى اسرع مما توقعت وخوفى الان - كما كان من قبل - هو ان نجد انفسنا مضطرين لحل مسألة السودان هذه قبل ان يأتي الوقت المناسب لحلها . وطامح حوض النيل لم تسيطر عليه قوة اخرى فانه يمكننا التأيي لاختيار الوقت المناسب لـ . (٣) ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن . فان الحكومة البريطانية وجدت نفسها مضطرة لحمل الجيش المصري على اتخاذ خطوات عسكرية في حوض النيل بالرغم من الصعوبات المالية . وذلك قد املت بعض الاعتبارات الدبلوماسية الملحة على بريطانيا (٤) فقد هزمت ايطاليا في الاول

(1) Zetland = Op. Cit. P. 228 See Appendix A.7

(2) Salisbury Papers, Egypt 1890, Baring to Barington, Private 19th. Jan 1890.

" Copied from extracts collected by Dr. G. Sanderson, Univ. of Khartoum 1961."

See Appendix A.8

(3) W.L. Langer : Op.cit., ch. IV & IX and and also.

.Shibeika : British Policy in the Sudan

(٦)
١٨٩٤

من مارس سنة ١٨٩٦ في موقعة عدوة في اشيوميا ،وقد حتم ذلك
على بريطانيا ان تقسم ببعض التحركات العسكرية لارضها ايطاليا،
التي تحتاج لصدقتها لتقوية موقفها الدبلوماسي في اوروبا كما
ان تحركات فرنسا وبلجيكا في بحر الشمال كانت قد اقلقبت بريطانيا .
وقد فكرت الحكومة البريطانية في اول الامر بأن تقوم
ببعض التحركات العسكرية في جهة طوكو وشرق السودان ، وذلك
لقرب تلك الجهات من اشيوميا والجهات التي بها الجيش
الايطالي (١) ولكن رؤى عدم جدوى هذه الحركة واستبدلت
بفكرة الزحف في وادي النيل نفسه ،حتى ((نسطاد صفورين
بحجر واحد)) كما قال لورد سالسبري رئيس وزراء بريطانيا في
ذلك الحين في خطابه الى اللورد كرومر في ١٣ مارس ١٨٩٦
" ان القرار الذي اتخذه المجلس بالامس كان
الدافع له هو الرغبة في مساعدة الطليان في كمالا ليمنع
المندرايش من نصر قد تكون له عواقب وخيمة ،بالاضافة
لذلك يمكننا اصلياً صفورين بحجر وان نستعمل نفس
المجهود الحربي لدفع الحدود المصرية خطوات الى الامام
في حوض النيل ،ولهذا فائناً بفضل هذه الحركة على
اي حركة اخرى في جهات سراكن او كمالا لان الثأمة
لأنجني من ورائها اي فائدة " (٢)
وبهذا بدأت الاستعداد للزحف نحو دنقلا وبعدها احتلال بقية
اجزاء السودان الاخرى .

١٨٩٣

وقبل منتصف الليل في الثاني عشر من مارس سنة ١٨٩٦
وصل الى كشنو تلغراف يخبر بأن الحكومة البريطانية قد وافقت على
زحفه بالجيش المصرية لاحتلال فكاشه (٣) فبدأ كشنو في عمل

(١) هذه الفكرة كان الداعي لها هو اللورد كرومر وكان دائم التحسين لها
(2) Marquess of Zetland : Op.cit., P. 213, &
(٣) يذكر لانير بأن الامر قد وصل الى كشنو في تلك صباحاً
من يوم ١٣ مارس Langer : Op. cit. 285

٤- أبريل ١٨٩٤
 الترتيبات اللازمة للقيام بذلك وفى يوم ١٤ مارس سنة ١٨٩٦
 استندى الاحتياطى وفى يوم ١٥ مارس طلب من " هنتر " أن
 يرتب فرقة تكون مهمتها استلام عكاشه وفى يوم ١٨ منه بدأ
 الزحف واستلمت عكاشه فى يوم ٢٠ من مارس ١٨٩٦ وبدأت
 بذلك تحركات جيش كتشينو . وقد اتخذ كتشينو كل الاحتياطات
 لضمان نجاح حملته هذه ، فقد حشد عددا كبيرا من الجنود
 فكون كتيبتين مصويتين جديدتين هما الكتيبة الخامسة عشر ،
 والكتيبة السادسة عشر وأرسلت أحدهما الى سواكن بدلا من
 الكتيبة التاسعة السودانية التى كانت هناك والتى أرسلت الى
 حوض النيل . وفى منتصف ابريل ١٨٩٦ كان قد تم له حشد احد عشر
 الف جنديا فى وادى حلفا . وقد اولى كتشينو كثيرا من اهتمامه
 لمسألة الغذاءات بالنسبة للجنود والعطال الذين يعملون فى خط
 السكة الحديد فقد كان يشرف على توزيعها بنفسه ، وقد اوكل مهمة
 جمعها للكولونيك روجر . وقد كانت هناك خائفة فى العيش فى مصر
 فى سنة ١٨٩٥ وكانت المحصولات فى سنة ١٨٩٦ قليلة جدا ، ولكن
 كتشينو اشترى اربعة الاف طن من الذره واثلاثين ألف طن من الشعير
 من الهند وروسيا ، وبدأ هذه الحملة . وتم تخزين كميات كبيرة
 من الغذاءات فى اسوان ، ولم يسمح لاي احد باخذ شئ منها الا
 باذن خاص من المبردار مباشرة ، وكذلك الطال بالنسبة للمخزونات
 فى وادى حلفا . (١) اما المواصلات فقد فطن كتشينو

(١) W.S. Churchill : The River War , London
 1933 , P. 179 .

لا هيئتها القصوى في مثل هذه الحملة ، ولذلك فقد أولاها
ايضا عناية شديدة بان أمم شرع في تنظيم شبكة للمواصلات
وتجهيزها قبل بداية الحملة بعمل الطراري المحركة في سكة ،
واستولى على بعض الابار الصحراوية ثم عمل محطة نهريسة
في بليمانه ، ومدها سلسلة من الخطوط الحديدية والنهريسة
تنقل المعدات والغذائات الى حلفا ومن حلفا الى صرص بالسكة
الحديدية ، ومن صرص جنوبا بالجمال . واشترى حوالي الاربعسة
الاف وخمسة مائة جملا لهذا الغرض . واولى كمشتر خط السكة
الحديدية اهتماما خاصا بتمديد له عددا كبيرا من القنا والمعدات .
وكانت للخط فعالية واهمية قصوى في نقل الجنود والمعدات والمواد
ما جعل تشرشل يقول :-

" ان اهم عنصر في هزيمة الخليفة كان هو مد خط سكة الحديد ^(١)
ولم يتصور كمشتر في المواصلات النيلية باستفاد من الاجزاء
الصالحة للعلاحة فيه ، واستجاب عددا من الوابورات النيلية ، وكون
منها اسطولاً صغيراً كان له اكبر الفعالية في تنظيم مواصلاته ،
وفي زعزعة جيوش الانصار وخطوط امداداتهم . وبالرغم من كل هذه
الاحتياطات والاستعدادات فان جيش السودان قد قابله بعض
العشاكل ، فقد تفشى مرض الكوليرا في جيشه مما اضطره لوقف الحركة
في خلال شهر يوليو سنة ١٨٩٦ . كذلك في أغسطس قتلت الاتربة
والرياح كثيرا من الجنود . وفي سبتمبر تحطم اكبر الوابورات من
الاسطول عندما كان يحاول تعدي الشلال

(1) W.S. Churchill : Op. Cit. P. 163

" The Khalifa was conquered on the
railway "

ولكن مع كل هذه الصعوبات فقد استمر كشنو في التقدم
بجيشه حتى استولى على دنقلا بعد هزيمة وديشارة
في موقعة الفيصر في ١١٦ سبتمبر ١٨٩٦
٢١ سبتمبر ١٨٩٦

بعد استيلاء جيوش كشنو على دنقلا وأجلا* سعد
وديشارة عنها اتضح للخليفة ان " الترك " تعد عتداءات مزمنة . م
على التقدم للاستيلاء على اراض المهدية كلها . يهود يوسف
مخائيل الاتى على لسان عثمان شيخ الدين الى الخليفة عبدالله
يتحدث يوسف مخائيل عن جلسة جمعت بين الخليفة عبدالله
واخيه يعقوب وسعود احمد وابراهيم الخليل وعثمان شيخ الدين ابن
الخليفة الاكبر للتشاور في امر الدفاع عن اراض المهدية ضد
جيش كشنو . ولما انقضت تلك الجلسة بقى شيخ الدين مع والده
وقال له " اعلم يقين ان الانجليز لهم ترك كبير عندك تار هكسى وتار
فسودون وطرات الانجليز الذين قتلوهم بارى السودان والمصريين
لهم ترك كبير في كافيت جيوشهم من تركى الى مصرى بخلاف ملك بلادهم
وحاضرين الان لاجل اخذ الطار وملك البلاد وانت ملك البلاد لا غيرك
وانا انصح لك كل شى حيث اتى اخبر بحقيقة الحال وقيام هذا الملوك
من بلادهم كونه عندى من اعطى الاخبار وكافيت اولاد البلد السدين
عليهم المدار عندى ودايما يعطونى الاخبار ولا سيما اتى مظالمهم
التاريخ وطرف سير الملوك السابقين الذين ملكوا قبلنا . . . " (١)

و جعل الخليفة عبدالله يستعد لملاقاة هذه الجيوش
المتقدمة نحوه . ويتضح من استعدادات الخليفة انه كانت تنتظره
فكرتان تارة يتبع واحدة منها وتارة يتبع الاخرى حسبما كانت تعليمه
الظروف . ولم تكن له خطة مدروسة يسير على هديها فمـــــرة
كان يعمل على أن يجمع كل قواء وجهتها ويتقدم بها نحو الشمال

(١) مخطوطة يوسف مخائيل عن التركيه والمهدية ١٩٢٤ - في دار
الوثائق المركزيه لجمهورية السودان .

لملائكة الاعداء وحدهم قبل ان يصلوا الى " البقعة
 العنسورة " . والفكرة الاخرى هي أن يجمع قواء يستعد
 بها في امدرمان وتحصنها لملاقاة الاعداء هناك فعشلا
 في سنة ١٣١٣ هجرية استنفر الخليفة الناس للجهاد بنية
 التقدم نحو الشطال ان صدر الامر في ١٤ شوال سنة
 ١٣١٣ الى احمد السنى في الجزيرة بارسال الجهادية
 والمهاجرين " والعازمية " وتجهيز العيوش وارسال الجميع
 الى البقعة . وقد وصل الرد من احمد السنى في ١٧ القعدة
 ١٣١٣ بانجاز المهمة (١) كما ارسل الخليفة في طلب الامير
 محمود من الغرب ((خفاني)) وعندما تأخر محمود في الوصول
 ارسل اليه خطابا اخر بتاريخ ١٣ القعدة يوضح فيه هذا
 بأن احمد السنى والامراء الآخرين قد انجزوا المهمة التي
 انيطت بهم وكان المرجو من محمود الخشور " خفانسي " .
 ولكنه تأخر بالايض . وقد رد محمود صلو ذلك في ٢٠ القعدة
 سنة ١٣١٣ معتذرا بسبب العرض " قد شرفنا بامركم المعززين
 له ١٣ الجار الحاوي طابنا خفاني لم يكن الا من اجل السر
 في الحضور . . . واننا مع ذلك تأخونا بالايض مدة لم نرفع
 لجنابكم الصلحة التي تشغلنا عن سرعة الحضور . . . اما تأخيرنا
 بالايض قدر هذه المدة فما كان برضانا ولا تعمدنا . . .
 ولا اننا منظمين احمد خلفنا . . . وانما كان السبب

(١) مبدية ١١٨/١/٩/١ من احمد السنى الى الخليفة بتاريخ

في تأخيرنا ابتداءً هي مسألة المسيرية بحصول
 المشغوليه فيها ليلاً ونهاراً ٠٠ وبعد انجازها صرنا على
 وشبة القيام في اواخر شهر شوال ثم حصل لنا لطف من
 الله تعالى بسدء الدم^(١) كما ان الخليفة امر حموده ادريس
 بالتقدم من صوارده الى الكوش ومنها الى فركه لملاقة
 الاعداء هناك وصحبه عثمان محمد عيسى "أزرق" ٠
 ثم سرعان ماغير الخليفة رأيه الى الخطة الدفاعيه
 عندما انهزم جيش حموده ادريس واستشهد في المعركة حموده
 ادريس نفسه (٢) ثم من بعده انهزم جيش محمد بشارة
 وصحبه مساعد قديم في موقعة الحفيس في الثامن
 عشر من شهر^{٩ ربيع ثاني ١٢١٤} سنة ١٢١٤م^(٣) فقد ارسل الخليفة
 القائد يسونس الديكم الى بربر وكانت الاوامر التي اعطيت له
 هي أن يجمع كل العيوش والاسلحة والجمال وكل مايمكن للعدو
 الاستفادة منه يرجع به الى العتمة ٠ كما امر عثمان محمد
 عيسى "أزرق" بالبقاء بالجهات الصحراوية لحاية الابار
 التي بها والمؤدية الى طريق العتمة ٠ وأمر محمود احمد
 باستنفار اهل الغرب للجهاد بعد أن يترك حامية في دارفور
 وأخرى في كردفان ويحضر ببقية الجيش الى ادرمس^(٤) ٠
 ثم بعد أن وصل محمود بجيشه الى ادرمان وجد الخليفة

(١) مبهدي ١٥/١/١٢٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠

العهده سنة ١٢١٣ ٠

(٢) واقعة فركه ٢٥ الحجه سنة ١٢١٣ هـ ٠

(٣) موقعة الحفيس ١٠ ربيع آخر سنة ١٢١٤ ٠

(٤) مبهدي ١٥/١/١٢٥ و ٢٧ من محمود الى الخليفة

بتاريخ ٢١ ربيع آخر و ٢٠ جماد آخر سنة ١٢١٤ ٠

أن " البتة " قد امتلأت بها لاطاقة لمهايه من الجيوش،
 فعاد الى فكرة التقدم مرة اخرى ،وبذلك امر محمود بأن
 يعسكر بجيشه خارج امدردمان في كسرى ، ثم امره بالتقدم
 منها نحو الشطال * .وهن بعد ذلك محمد الزاكي عثمان أميراً
 على بربر * واستمر الحال على ذلك بين فكرة التقدم لمقاومة
 جيوش كشمير ، وبين القوايج وانتظارهم قرب امدردمان وعليه
 كانت الاوامر الى محمود تتبع ذلك فتارة تمله الاوامر
 بالتقدم نحو بربر للاستيلاء على المضائق والشلالات
 التي تقع شمالها للتمكن من الاعداء والثكايه بهم ،وتارة تمله
 الاوامر بالرجوع جنوباً حتى السبلوقه للتحصن والاستعداد
 بالقرب من امدردمان ثم احياناً يستعد الخليفه بجيشه ويستعرضه
 خارج امدردمان في كسرى على اهبة الاستعداد لقياده بنفسه
 للتوجه به شمالاً كما ذكر في خطابه لمحمود بتاريخ ١٢
 القعدة سنة ١٢١٤ والذي رد عليه محمود بخطابه بتاريخ ٢٧
 القعدة يعتذر فيه عن التأخير بالغرب ويقول " . . . نبدى
 سسهدى اء قد شرف هدىكم بسرود امركم الكريم المنين له
 ١٢ القعدة المتضمن اء بعد مذاكرتكم من جنابكم بحضور الجيش
 من كردفان ورجوعنا اليها لم نحضروا لم ترد منا مخاطبة وحار
 ذلك محمولا على التأجيل الحسن وان المكورين محمد البصير
 والعباس العبيد وهذال له ابى سن حضروا بعن معهم من جيش
 الجزيرة ورائسهم تقدمت بالفعل وان سيادتكم قايمين
 نحو كركلاجل نصره الدين الخ " (١) . ثم يغير رأيه مرة أخرى فيقرر

(١) مهدية ١/١٥/٤ ٢٨٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧

القعدة سنة ١٢١٤ .

الاجتهاد في عمل المشاريع والطواحي استعدادا لملازمة اعدائه
في ادمرمان

وقد صار هذا هو طابع السياسة التي اتبعها
الخليفة فيما بين سنتي ١٢١٣-١٣١٥ وقد انعكس اثر تلك
السياسة في سير الحملة التي كان يقودها محمود الى الشمال
فقد كان طابعها التردد بين الاقدام والرجوع حسبما كانت
تليه الظروف والتكهنات لا بحسب خطة مدروسة واوامر
محددة وهدف واضح .

علاوة على ذلك عامل آخر هام حدد معالم سير هذه الحملة
التي قادها محمود الى الشمال وهو عدم ثقة الخليفة عبدالله
في قبائل " اهل البحر " كما يتضح من خطابات الاختلاف
التي كان يرسلها لمحمود في شاتهم " فنعلمك ايها العسكر
ان حال البرابرة واصولون اليك اشر هذا . . . وحيث لا يخفاك
ان الحزم في امر الجهاد مطلوب والبرابرة جميعهم غير سامرة
ساحتهم الان ولا تعويل عليهم في امر الجهاد بفردهم فعند
مقابلتهم بمحافلهم المذكورين لك قابليهم بالبشاشة ولا يراؤك
شرا في الظاهر ولكن في الباطن افكر لهم غاية الانتكاس
واحذرهم غاية الحذر ونفقد احوالهم ولا تأمن ساحتهم الى
ان ينتصر الدين ويهلك الاعداء " (١) وكذلك " فنعلمك
ايها العسكر اننا قد اسبقنا لك القول بالتفقد لاحوال
عمال اولاد الجبل الذين يعميه على الامين مثل عثمان اوزق (٢)

(١) مبدية ١/٢٨/٤/٦٤ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧ ربيع
اول سنة ١٣١٥ .

(٢) هو عثمان محمد عيسى " دنقلاوي " واحد قواد النجومي
وقد خلف محمود الرئيس بعد مقتل الاخير في دنقلا .

وكرم الله (١) وامثالهم والنظر في ما تراء حصلحة فيهم
فما زلت نفتقد احوال المذكورين ولا تقبل عنهم " (٢)
وصرح بعدم الثقة هذا كان الى الثورات التي قام
بها الاشرف ضد توليه الحكم بعد وفاة المهدي،
وقد ساندتهم في هذه الثورات قبائل " اهل البحر " .
ثم كانت له تجربة معهم في الحملة التي قام بها عبدالرحمن
النجمي ، اذ قبايلت كثيرا من الضيق وعدم التعاون
من هذه القبائل حتى هدها الجوع واصابها الهزال .
ثم ان بعض هذه القبائل قد ساعدت سلاطين في
الهروب من امدرمان عبر الصحراء الى مصر . وقد
ادى عدم الثقة هذا بالخليفة الى عدم الاعتماد
على هذه القبائل في ان يقفوا معه مداعمين
ضد جيش كشمستر . وعليه فقد صرف عنهم النظر
وركز على استجلاب قبائل الغرب " البقارة " الذين كانوا
بالجزيرة ، واساسا على الذين كانوا منهم بكرديان ودارغور .
وفي طيات هذا كانت تكمن بذرة الفتنة التي وقعت في
العتمة فيما بعد . وفي هذا ايضا كانت تكمن عناصر الضعف
في تلك الحملة التي قام بها محمود .

(١) هو كرم الله شيخ محمد كركساري وهو دقلاوي ايضا
وقد كان حاكما لبحر الفزال وهو الذي التقى القيص على
سادبو . ثم تم عزله من بحر الفزال وصار ملازما بالباب
في امدرمان وقد طلبهم محمود ليقفوا معه بعد ان علم
بوجودهم ببربر راجع مهدية ١/٢٨/٤ من محمود الى الخليفة
بتاريخ ١٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧
ربيع اول سنة ١٣١٥ .

كان الخليفة عبدالله قد استدى عامه محمدا
 أحمد " خفافى الى البقعة وعندما تاخر فى الحضر وخسه
 واستعجله ، وقد رد محمود بالاعتذار فى ٢٠ القعدة سنة
 ١٢١٣ هـ بأنه ينوى الحضر الى امدرمان بمسارعه •
 وعندما وصوله الى امدرمان لم يبق فيها طويلا بل أمر
 بالرجوع مرة اخرى بسرعة لاستئثار الانصار للجهاد •
 وتحرك محمود من امدرمان وفى يوم ١٥ محرم سنة ١٢١٤
 ورد منه ما يفيد بأنه وصل الى جهة " الشباناوى
 التى منها يكون الوصول الشقيق فى مرحلة واحدة وتوجيهين
 على غاية الاستعجال ومن هنا لقاية الوصول ليس لظا تاخير
 سوى مسافة الطريق بل المسافات تقطعها ان شاء الله
 فى ميعاد البوسطة المستعجلة وقد تحرر امامنا لسلك
 الاخوان بالاستعداد وان يجمعوا اطرافهم والمظنون بهم
 انهم يفعلوا ذلك على الوجه المطلوب " (١) ثم يرجو
 محمود بعد ذلك من الخليفة ان يحفظه علما بما يحدث
 فى " الجهات البحرية " حتى لا تزداد " المشغولية " بامرها
 فتعنه من انجاز المهمة التى ارسل من اجلها • ثم فى يوم
 ٢٨ ربيع اول سنة ١٢١٤ ورد من محمود ما يفيد اعتذاره
 عن التأخير بكونه فى امدرمان ، لأنه عندما وصلها وجد أن
 الاحوال بها غير مستقرة فبقى بها حتى هدأت • وذكر كذلك انه تاخر

(١) مبدية ١٥/١/٤/٢٥٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٥

محرم سنة ١٢١٤ •

لتوجيه القبائل المتحركة نحو اسد زمان للهجرة كما اوضح
 بان ٢٨٩١ رجلا ومعهم ٤٤٠٦ من العائلات قد توجهوا
 من النهرود . و اوضح بان توجه ((خفاني)) نحو القاشر (١) ،
 وفي يوم ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ ورد منه بانه " لمدى
 وصولنا النهرود قابلوا الرزيقات الذين حضروا من جهة
 شكا . . . وايضا برقي والعريقات والمحاميد والمهسرية
 والنوايسه ، وقد تأخر محمود بالنهرود لتنظيم هذه الهجرات
 (٢) ثم افاد بخطاب آخر بنفس التاريخ بانه " كاتي كسبل
 القبائل التي هي حمرة بالقيام للهجرة كالحمر الذين بجهة
 رينقا والذين بجهة كيك وغيرهما والمسيهه واقسى
 الرزيقات المتأخرين بجهة البحر وجهات شكا والهيبانمة
 الذين بالكلكه وداره وغيرهم . " وانه سيمسئرفي ذلك
 حتى لا يترك شيئا من هذه القبائل " وسيصير ارسالهم
 بالتوالي حتى يكون طريق الهجرة موصلا بالرجال طائفة اثر
 طائفة بعون الله تعالى . " (٣) ورغم كل هذا العجز من جانب
 محمود نجد الخليفة يرسل له خطبا يستحثه فيه على انجاز
 المصلحة التي توجه من اجلها اي ارسال الناس للهجرة (٤) .
 وفي ٢٠ جمادى آخر سنة ١٣١٤ ورد من محمود :- " انسه عملا
 بالحزم كافة القبائل التي بدارفور هي مظنة خفة الراس
 والميل الى ما يضرها في ديشها مثل يرقند وبسرتي
 وفور وغيرهم احضروا رجالهم معظا ولم تترك احدا من

(١) مهيدي ١٥/١/٤/٢٥٩-٢٦٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ

٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

(٢) مهيدي ١٥/١/٤/٢٦٤ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩ ربيع
 اول سنة ١٣١٤ .

(٣) مهيدي ١٥/١/٤/٢٦٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩ ربيع
 اول سنة ١٣١٤ .

(٤) مهيدي ١٥/١/٤/٢٦٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٣ ربيع
 آخر سنة ١٣١٤ .

اهمالهم الا (احضروا) مع الجيش وباقي الناس من العلاجز والضعفاء تركناهم مع وكلاء العمال ولهذا السبب وباعله من اهمية حضور الجيش لم يترك الا من اقتضت المصلحة تركه في البعثات المملوكة " (١) ثم تصل الاخبار الى محمود من الخليفة بأن الكفرة قد هاجموا محمد ودياره واجسادهم عن مركز العرض ، ويطلب منه الحضور بسريته " فلى حسب سابقه الاشارة " (٢) ويرد من محمود بما يريد انه مجتهد في الحضور بأسرع ما يكون ، وانه احضر معه فوايل الجيش حتى لا يفكروا في الرجوع ، اربين من الجهاد (٣) ولكن بعد ذلك بأسبوع واحد نجد أن محموداً يصله خطاب من الخليفة بتاريخ ٩ رجب يطلب منه التأخير بمركز الابيض الى ان تصله الاشارة من الخليفة بالتقدم مرة اخرى ، ولكن محموداً يكتب رداً على هذا الخطاب يقول فيه ان مركز الابيض لا يسع الجيوش التي معه من ناحية العيش والبقاء ، وعليه ناء قد فرق من اجل مهم بالجهادات وامر المتأخرين منهم بعدم الحصول بل يصبروا على استعداد في محلاتهم حتى تصله الاشارة من الخليفة ، وبعد ذلك يتحرك الجميع فلى حسب ما يرد فيها (٤) ثم يستمر الخليفة في سياسة عدم التعجل لتقدم الجيش هذه فتجده يطلب من محمود في شعبان سنة ١٢١٤ توجيه الجيش مع احمد القواد الى الجبال والحضور بفردة الى امدرمان

(١) مهيدي ١٥/٤/٢٦٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ جمادى آخر سنة ١٣١٤ .

(٢) مهيدي ١٥/٤/٢٦١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ .

(٣) مهيدي ١٥/٤/٢٧٤ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ .

(٤) مهيدي ١٥/٤/٢٧٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٣١٤ .

واقترح محمود على ذلك : " وقد ترا " لنا بتوجيه
الجيش وحده لا يجدي شيئاً في هذا الخصوص - كما
هو معلوم لنا في احوال الروسا ولا بعد بعد التشراف
بمواجهة جنابكم توفعه لصوصكم خصيلاً بل لو كان الامر
في عدم قضاء الحاجه المطلوبة فقط لكان سهلاً وخفيفاً
ولا يمنعنا من توجيهه الجيش مع احد الاخوان ولكن خشيتنا
من انه اذا فشل فشل يسرى ذلك وتصل به
اشاعات على ان الجيش اولا في مقابلة حروب كثيرة ومعدود
لمصادمة اعدائهم عدود وعدة والمحافظة عليه من دخول
ادنى فشل امر واجب " (١) وعلى ذلك فقد قرر
محمود عدم ارسال الجيش في اى غزوة وتركه في محلاته
في كردفان وذهب بخفره لمقابلة الخليفة في اهدرمان ،
ثم رجع منها بسره الى كردفان لملاحظة جيشه . بعد ذلك
بتقليل طلب منه الخليفة في ١٧ رمضان سنة ١٣١٤ احضار
الجيش جميعه والوصول به الى اهدرمان " على الحالة التي
تسر المؤمنين وتغيظ الكافرين " . وفي غاية ذى القعدة
يسرد من محمود مايفيد بأنه قد وصل الهلبا وتحرك منها
تاصدا النمل الابيض : " انه لقد صار تمام صدكم يوم ظهرته
من جبهة الهلبا حالة كونه بغاية الخفة ليس معه الا اربعة
أو خمسة من الاصحاب وجادين السير نحو البحر وعد بكره
ان شاء الله يتم وصولنا به اما الجيش فقد وصل اكشهر
بالبحر وكثيرا منهم متأخر بالطريق " (٢)

وفي يوم ٦ الحجة وصل محمود الى مشارق اهدرمان

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٨ من محمود الى الخليفة بتاريخ غاية شعبان
سنة ١٣١٤ .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ غاية القعدة
سنة ١٣١٤ .

وانتظار تكامل جيشه عليه حتى يوم ٨ الحجة اذ جاءه
اشارة من الخليفة بان يدخل " اليقعه " لادراك العيد
بها وان يكون جيشه في حالة الدخول " على ترتيب
بسيط ونسق جميل يسر المؤمنين ويخيف الاعداء وان
يكون الجيش جميعه نظيف الثياب " وبقي محمود خارج
امدرمان في انتظار رد الخليفة على بعض الاستفسارات
منه في كيفية الدخول بالجيش : هل يكون على هيئة المسروسة ؟
ام على هيئة الحرب ؟ ومن يكون نزوله ؟ هل بالهجرة
الموازية له ام في مكان آخر ؟ (١) ٠٠ " وفي يوم ٨ الحجة
دخل محمود بجيشه الى امدرمان وعسكره في كبرى .

كان الخليفة يعتقد بان اى خطر يأتيه من الشمال
سيمسلك نفس الطريق الذى سلكه ولساى في سنة ١٨٨٥ عندما
قاد الحملة التى ارسلت عبر الصحراء لانقاذ غردون بمقد
قوى هذا الاعتقاد عنده بعد هروب سلاطين في اواخر
سنة ١٨٩٥ عبر الصحراء ايضا . كذلك كانت هناك تحركات
" العرمان " المناوئة لحكمه ونشاطهم حول الابرار
التي بطك الجهات بين المتعة ومروى . وبعد سقوط دنقلا
كان الخليفة يعتقد بان جيش كشمير سيمزحف مباشرة
على امدرمان سالكا طريق الصحراء الى المتعة أو قريبا
منها ، ولذلك صار لزاما عليه تأمين المتعة والحفاظة عليها
بقوة اذ انها كانت بغازا ذا اهمية قصوى فهي ملتقى الطرق
من الصحراء ومن النيل وكانت لها اهمية تجارية ومن ماصمة

(١) مبدية ١٥/٤/١٩١٤ و ٢٩٩ من محمود الى الخليفة بتاريخ

الجعيلين الذين هم من أهم القبائل العنصرية في الشمال .
ولكل هذه الأسباب كان لابد من الدفاع عنها (١) .
كان العبدى يستند أساسا على أهل السدار
في الدفاع عن أراضيهم ويولى عليهم أحدا منهم لحكمهم
ولتسيير أمورهم ، فقد أعطى إمارة الشرق لعثمان دقنه ،
وفى الشمال كعب بها للشيخ العبدوب ، وقد قسم جيشه
على رايات بحسب القبائل ، وجعل لكل راية رئيسا
من أهلها ، وكان هذا رايه حتى مات . وعندما تولى الخليفة
عبدالله الحكم من بعده لم تساعده ظروفه لتطويق
نفس السياسة بأذ شار عليه الاشراف ، وقد ساعدتهم
في ذلك " أهالي البحر " فتزعمت بذلك ثقة الخليفة
في هذه القبائل ، وصار يعتمد كل الاعتماد على أهالي الغرب
في كل أمورهم . وازدادت الثقة اتصالا بينه وبين " أهالي
البحر " بعد حملة ود النجوم الى الشمال ، فقد تأكد للخليفة
بعدها انه لا يمكن الاعتماد كثيرا عليهم في حروبه ، كما أن " أهالي
البحر " قد لاقوا كثيرا من المصاعب من تواجد جيوش النجوم
في تلك المنطقة ، فقد كانت المنطقة فقيرة قليلة العيوش وقد
ضايقتهم تواجد جيوش كثيرة بها ، ثم انه حصل خلاف بين أهالي
البحر " وأهالي الغرب من كانوا يشتركون في الحملة نفسها .

(١) وقد فطن محمود الى هذا وفصله في خطابه الى الخليفة مبيديه
٨٢/١/٨/١ بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ حيث قال " ...
ان جهة العتة هي الحزم لكافة الطرق التي هي العتلة لحضرة
الكفرة بها كمثل جندول وطريق القرعة ، وطريق ابو حراز ولتوسطها فمسي
دار الجعيلين ٠٠ الخ "

ثم جاءت بعد ذلك مسألة هروب سلاطين بواسطة بعض
 "أهالي البحر" فصار الخليفة يتوجس خيفة منهم بهشك
 في ولائهم له، معتقد أنهم يتآمرون ضده، مع "التمسك"
 وقد كان هناك ما يبرر هذا الشك من جهة الخليفة إذ أن
 كثيراً من أهالي تلك الجهات بدأوا يتخللون عن حماسهم للمهدية
 (١) كما أن البعض منهم صار على صلة مع الجيش المصري وقد
 كان قسم المخابرات تحت رئاسة ونجت يتلقى تقارير وأخباره من
 الأحوال الداخلية في السودان * وقد أدى عدم الثقة بين
 الخليفة وبين "أهالي البحر" إلى هذا الوضع وبعد ثورة
 الأشراف استجلب الخليفة كثيراً من أهاليه البقارة من
 الغرب إلى الشمال ووضعهم في كل مراكز السلطة الهامة
 ولم يرهق أهالي الشمال بذلك * كذلك سم الناس في الشمال
 من كثرة مرور الجيوش على أراضيهم صا إلى خرابها
 وبطال زراعتهم وتجارعتهم التي كانوا يعتمدون عليها في أمر
 معاشهم * ثم حتى بعد استيلاء كوشتر على دنقلا وبعد
 الخليفة قد أرسل قائده موسى الدكيم وأمره بالاستيلاء
 على العيوش والجمال وكل طائر نافع للجيش في المناطق القريبة
 من بحر * فزاد هذا من حنق أهل البحر على البقارة وارتفعت
 في أذهانهم صورة البقارى مقرونة بالسلب والنهب وأخذ حقوقهم
 ولذلك صار حكم الخليفة مكسروها في جهات الشمال
 بل أن بعض أهالي تلك الجهات

(١) يذكر إبراهيم فوزى باشا في كتابه السودان بين يدي فردون
 وكوشتر الجزء الثاني ص ٢١٤ أن الأسباب التي دعت الخليفة
 للفتح على علي سعد زعيم الجعليين ودفعته إلى قتله بالسهم
 هي أنه كان قد طلب منه أن يحضر قبائل الجعليين في
 أوائل سنة ١٢٠٦ لينضموا إلى التجوس في قزو مصر فلم
 يحضر مع علي وسعد بن الجعليين إلا القليلون جداً *

اتجهت أنظارهم نحو الجيوش القادمة من مصر لانقاذهم
 من حكم الانتصار . وظهر ذلك جليا في التعاون الشديد
 الذى حظى به قلم العظيمة المصرية ، وفى المساعدة
 الفعالة التى لقيها سلاطينه عند هروبه . بل أن بعض المصادر
 تشير الى أن بعض قبائل الشمال جاءت تطلب المساعدات
 من الحكومة المصرية للتخلص من حكم الانتصار . فى الخطاب
 الذى كتبه بيرنج الى سالسبورى فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ م
 يقول " ولكن مهما كان مدى الكراهية لحكم الدراويش عند
 بعض الطبقات فإن أهم القبائل المطربة ما تزال تؤيد حكم
 المهدية وهى قبائل الجعليين والبقارة . لكن الجعليين - على
 أى حال - قيل أنهم بدأوا يتغيرون خاصة بعد موت ود النجوم
 وقد اقتل بعض زعمائهم حديثا بالكونيل وودهاوس وتعتقد
 أوشق المصادر فى مسائل الحدود بأنه لن يضى وقت طويل
 حتى يمكن تحول الجعليين من تأييد حكم المهدية " (١)

اما فى التقرير الذى كتبه كشنر فى التاسع عشر
 من يونيو سنة ١٨٩٤ والمضمن فى الخطاب السرى الذى كتبه
 كرومر الى كمبرلى رقم ٦١ بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٨٩٤ يقول
 " الالتفات لامر السودان يأتى هذه المرة من زاوية أخرى -
 من السودانيين أنفسهم . عندما تولى عبدالله ودهعد رئاسة
 قبائل الجعليين القوية فى السودان مارسل أحد أقربائه فى الحال

(1) Baring to Salisbury , No 401 , 11 Dec.
 1889, P.R.O., F.O., 78/4243 .
 Quoted from Shibeika : Op. cit . P. 318
 See Appendix A. (10)

للتفاوض مع كتشمنر وقد طلب همدالك بأن يصدر العفو
عن كل ما ارتكب من أخطاء في الماضي وأن تبقى رئاسة
الجعليين عند همدالك ومالكه من بعده وأن تكون هناك
تمويضات عن الأغصان التي قد تنجم من تعرض الجعليين
للخليفة وأنه عندما يحضر الجعليون البقارة في أم درمان
ترسل لهم جيوش لترفع روحهم المعنوية • ولا يشك كتشمنر
الآن في أن هناك شعورا متزايدا بعدم الرضا عن حكم الخليفة •
وأمل قريب همدالك (سعد) بعد إسقاط حكم الخليفة
في أن تطالب القبائل بإرسال إداريين بريطانيين : لا من
الصريين ولا الاتراك ((١))

ولكن يجب ألا تدعونا كل هذه التقارير إلى الاعتقاد
بأن كل القبائل في الشمال قد أصبحت في حالة تمرد
على حكم المهدية وإنما تنتظر الخلاص منه على أحر من
الجمهر كما كانت الحكومة البريطانية تصور • فهذه الدلائل
التي تشير إلى أن الناس بعد سنة ١٨٩٠ ^{١٨٩٠-١٨٩١} بدأوا يستقرون
وقبلون بحكم الخليفة • وقد طلبت بعض القبائل
التي كانت قد هربت إلى مصر من دنقلا السماح
لها بالعودة إلى أوطانها كما يتضح من هذا التقرير :-

(1) Memorandum by Kitchener, 19 June 1894,
enclosed in Cromer to Kimberly, No 91
Secret, 20 June 1894, P.R.O, F.O.87/
4575 •

Quoted in Shibeika : Op.cit., P.330

See Appendix (A) (1)

١٢١٢ ١٢١٣

" ٠٠٠٠ وحتى فرد شهر نوفمبر من عام ١٨٩٥ عندما كان
والفرد شوهن بلت فسي زيارة الى وادي حلفا جساءه
عدد من الدناقلة وطلبوا منه الوساطة لاطمائهم
الاذن بالرجوع الى اوطانهم . وما يذكره عن حديثهم
معه في هذا الشأن هام وله قيمة اذ يقول : -
انهم حدثوني بأنه سيكون هلاك " امان " لهم
في السودان وان الخليفة يسره رجوع اللاجئين ،
وانه يمكنهم استعادة اراضيهم بدون صعوبات وان الكبت
صار اخف مما كان عليه ، وان حالهم سيكون احسن
هناك مما هو عليه هنا . . . ان الناس لا يعترضهم
احد ان هم اكثروا بزراعة قليل من الافدنة تكفي
لعيشيتهم . . . وما استنتجته من حديثهم هو ان
استقلال بلادهم عن الحكم (المصري) فيه كسب
لهم اذ به انتهى عهد الضرائب الباهظة . " (١) وفي
تقرير المختبرات المصرية عن ديسمبر سنة ١٨٩٢ نجد
شرحاً للحالة في السودان حسب المعلومات التي اوردها
احد التجار من الجعليين ويدعي مصطفى الامين يذكر
فيهما ان الصورة التي انطبعت في الازهان من حكم الخليفة
ومن بغض اهل السودان له ليست صحيحة بان ان
السودانيين قد قبلوا الوضع الذي هم فيه ، وتقبلوا حكم البقارة ،

(1) W.S. Flunt , My Diaries , pt.1, 1888 to 1900 , 201, London 1921 .
Quoted in , P.M. Holt . The Mahdist
state in the Sudan 1881-98. (London
1958, P. 179 .

بل أن أهل الغرب أنفسهم قد استوطنوا وأختلطوا مع قبائل " أهل البحر " وأن الضرائب المفروضة على الناس وإن كانت كبيرة إلا أنها لم تكن أكثر من الضرائب التي كان يفرضها الحكم (التركي) - وعلى حسب اعتقاد مصطفى الامين هذا فإن حكم الخليفة قد صار يلقى مؤازرة السودانيين ويحذر من أن أي هجوم على السودان تقوم به الحكومة المصرية سيلقى معارضة شديدة من نفس القبائل التي كانت تدعو إلى عودة الحكم المصري . وقال ان تعاطف الناس مع حكم المهدية صار يقوى يوماً بعد يوم ، وإن هناك شعوراً صار ينعش بين الناس بأن أي تقدم من جهة القوات المصرية يعتبر تدخلاً في استقلال وحرية بلادهم . (١) وقد أعطى هولت هذه المعلومات التي أخذت من مصطفى الامين أهمية خاصة وأورد أنها صادقة جداً ، وقال ان مصطفى لم يحاول فيها أن يشفي على الخليفة أو يذمه ، ولا أن يتعلق بالخدوى بالرقم من أنه كان يأمل في أن تساعد المعلومات التي أدلى بها في استصدار غفران أخيه المسجون في سواكن ، ولم يزد مصطفى عن الأدلاء بالحقائق فقط ، وقد كانت لأخباره أهمية لأنه كان من تجار ادمرمان لدوى النفوذ وكان ابن عم لاحمد على قاضي الاسلام وذلك فانه كان قريب الصلة بالاصطاط الحاكم . (٢)

(1) Egypt Intelligence Report No 9 -Dec. 1892 - See Appendix (A) p. 1.

(2) P.M. Holt ; Op. Cit., P 186 .

صحيح ان الخليفة قد استتب له الامر كما ذكر
عصطفى الامين ، وان كل القبائل قد ارتضت حكم المهدية
بصورة او باخرى بعد القضاء على ثورة " الاشراف " ولكن
هذا القول لم يرق الى درجة الاندماج في الوضع والحاس
للدفاع عنه ان دعا الطل بوضوح ان الاحوال قد هدأت في
الشمال وان الذين كانوا قد هجروا ديارهم ولجأوا الى مصر
في اوائل ايام حكم المهدية قد بدأوا في العودة الى اوطانهم ،
ولكن ذلك لم يكن يعني ابتهاجهم بالملاوضاع ، وصحيح انهم شعروا
ان نظام الضرائب الذي فرضه عليهم حكومة المهدية اقل
تعسفا من ذلك الذي فرضه عليهم الحكومة التركية ، الا ان
ذلك لم يكن يعني اكثر من قبولهم له على انه اخف الضربين ،
ومن ناحية اخرى فان الخليفة بالرغم من استتباب الامر له لم
يطلعن الى ولا " اهالي البحر " ولا يتطرق اليه الشك
فهو دائم التبحر لا مجالهم وفي حذر شديد من طاعتهم ، بل
كان يأمر قواده بالحذر كذلك من رؤسائهم فتجده يكتب
لمحمود في هذا المضمار فيقول : " فعلمك ايها العظم ان
عمال البرابرة راضون اليك اثر هذا .. وحيث لا يخفك
ان الحزم في امر البنات مطلوب والبرابرة جميعهم غير مأمونة
ساحتهم الان ولا تعول عليهم في امر الجهاد بفردهم فعند
مقابلتهم بمطالبهم المذكورين لك تأبلهم بالبشاشة ولا يراؤك
شرا في الظاهر ولكن في الباطن افكر لهم غاية الافتكار
واحذرهم غاية الحذر وتقد احوالهم ولا تأمن مساحتهم
الى ان ينتصر الدين وبهملك الامداد " (١)

(١) مهديّة ١٢٨/٤/٦٤ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧

ربيع اّول سنة ١٣١٥ .

ولهذا فان الخليفة لم يكن بمقدوره الرجوع الى الطريقة
التي اتبعها المهدي في الاعتماد على اهالي المنطقة
في الجهاد وفي الدفاع عن منطقتهم ، فاضطر المي
الاعتماد على جيش من غير اهالي المنطقة يقوده
امير من اقرباك .

والحملة التي قادها محمود نحو الشمال
فرضتها هذه الظروف التي املت على " اهل البحر "
قبول حكم المهدي دون الحاس له ودون الرغبة في الدفاع
عنه ، بل تركوا ذلك " للبشارة " ولسان حالهم يسرد
القول السوداني السائر " يا ذليقين حلوها ، بها حقوقه " (١)
واملت على الخليفة فرض جيوش قريشه على المنطقة فنتج
عن ذلك ما تعرضت له تلك الحملة من صعوبات مما تعرض له
اهالي تلك المنطقة من مشاعب ، وهذا تمكن بذور الفتنة التي
ادت الى واقعة العتمة والتي كان لها اسوأ الاثر في
الاستعدادات لمقاومة جيش كوشين ، والتي ما تزال اشارها
باقية في النفوس الى اليوم .

عندما احس الخليفة بالخطر الذي يهدد حكمه
باستيلاء كوشين على دنقلا استقر رأيه على ارسال
جيش لمقابلته في الشمال واستقر رأيه كذلك على ان
يتولى قيادة ذلك الجيش ابن عمه محمود احمد .

(١) يجب الا يدعونا ذلك الى الاعتقاد بان اهالي البحر " كلهم قد
امتنعوا عن الدفاع بل ان هناك كثيرا من القبائل التي طارت ضد
كوشين ، وان هناك كثيرا من الامراء الذين ماتوا في المارك منهم
مثل العظا اصول في عطبرة .. ولكن العيب الاكبر وقع على
البشارة .

ولد محمود احمد بالكلكه ((دار البهائم))
 بجنوب غرب دارفور وسمى " جبريل " بن احمد وهو ابن عم
 للخليفة عبدالله اذ انهما يلتقيان في جدهما علي بنو جبريل
 بن احمد بن علي . والخليفة اسمه عبدالله بن محمد بن علي (١)
 وقد فات الامر علي رتشارد هل " R. Hill " الذي ذكر
 بأن محمود هو ابن اخ للخليفة عبدالله (٢) ويظهر ان الذي
 قاده الى هذا الاعتقاد هو ان محمودا واخوانه وابناء مصوتهم
 الاخيرين سموا بالخليفة عبدالله . على طريقة المهاجرة القيمة
 ضد اهل الغرب حتى اليوم " للبحر واسمهم كوالدهم وكانت
 معاملته لهم علي هذا الاساس اذ كان هو دلالهم واكثرهم
 وفي حالة محمود بالذات فانه قد راء علي يديه حتى جعله
 اميرا . وقد حضر محمود مع الخليفة لبقابلة المهدي في اوائل
 ايام الدعوة المهدية مع كثير من ابنا مصوته الاخيرين . ولما
 قابلهم المهدي لم تعجبه بعض اسماهم فاختار لهم اسما
 غيرها سماهم بها . فتغير اسم جبريل الى محمود والطهيري " احد
 اصرا محمود في مطهره واسمهم " تغير اسمه الى محمد فضل الله (٣)
 وشهر محمود الى هذه التسمية بواسطة المهدي في خطابه الى
 الخليفة بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ اذ يقول . . .
 بل منذ ما سيطرنا المهددي بمحمود " الخ (٤)

(١) مهديه ١٠٧/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٣ جماد
 اول سنة ١٣١٥ - فتعلمك ايها الحكم انك العون على الدين والاخ
 والنفس وابن العم . . . الخ "

(٢) R. Hill Biographical Dictionary of the
 Anglo Egyptian Sudan 2nd Ed. (Oxford 1951)

(٣) مهديه ٢١١/٢/١٥/١ بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٢ كشف
 بمسان الاحوال الخ نجد اسم الطهيري مقسوما " صحتهم
 محمد فضل الله .

(٤) مهديه ٢١١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٧ صفر سنة
 . ١٣١٥

وتربى محمود تحت رعاية الخليفة منذ صغره ، ولزمه حتى صار الخليفة له بمشابة الاب ، وفي ربيع آخر سنة ١٣٠٨ اختاره الخليفة ليكون اميرا على الغرب (١) - كردفان ودارفور - خلفا للمرحوم الامير عثمان ادم " جاتو " الذي كان قد توفي في صفر سنة ١٣٠٨ بداء " اب دم " السحائي (٢) بعد عودته من غزوة الى دار البسرقة التي ذهب اليها بعد ان انتهت حركة ابن جميزة . وعندما تولى محمود امانة الغرب وجد ان كثيرا من المشاكل الكبرى قد انتهت ، ولكن كانت هناك مشاكل اخرى مازالت تنتظر الحل . فقد وجد ان كثيرا من جهات كردفان قد طوعها حمدان ابوعنجه ، وفي سنة ١٣٠٣ مثلا طوع الحوازمه ورجال تقسلى وقدير ورجال التوبه وغيرهم . ثم جرد محمد خالد زقل الذى كان اميرا على دارفور وظهر منه ما يثب من نية التمرد على الخليفة ابان ثورة الاشراف ، كذلك انتهت حركة ماديو وقتل في سنة ١٣٠٦ ، وكذلك انتهت حركة الشيخ صالح زعيم الكباشى وقتل ، وانتهت حركة يوسف بن السلطان ابراهيم الذى كان زقسل قد خلفه في دارفور وقتل في سنة ١٣٠٧ ، ثم اخيرا انتهت حركة ابن جميزة في سنة ١٣٠٨ . وعندما تولى محمود الامارة كانت كردفان هادئة تقريبا الا من بعض الحركات البسيطة في الجبال من بعض النهابين ومهريس الاسلحة .

(١) مهيده ١/١/١٤/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٥ ربيع
آخر سنة ١٣٠٨ .

(٢) تميم شقير " جغرافية وتاريخ السودان دار الثقافة ، بيروت
١٩٦٧ - ص ٤٦٥ .

امبا في دارفور فقد قُضِيَ محمود جل وقته بين
سنة ١٣١١ وسنة ١٣١٢ في محاولة فرض سطوة
المهدية على كثير من قبائلها مثل الفور والبركو
والصالحات والقصر والزغاوة والفرات وغيرهما
من القبائل .

كان محمود عندما تولى الامارة صغير
السن " ٢٦ سنة تقريبا " (١) ولم يقل كثير
من عمال الارباع هذا الامر ، وكثير منهم ممن عاصروا
امارة سلفه عثمان ادم جانو لم تعجبهم رئاسة محمود
عليهم واختلّفوا معه وكثرت شكواهم منه الى الخليفة ،
كما انه اشتكى كثيرا منهم للخليفة ايضا ف عزل بعضهم
عن ارباعهم وارسل البعض منهم الى ادرمان (٢) . وقد
استمر خلاف بعضه معهم الى ان حضر بجيشه
الى ادرمان متوجهين نحو الممتدة فتخلّفوا عنه وتخلّصوا
في ادرمان . ومن هؤلاء حليى المصون الذى يعتبر
خالا لمحمود في النسب ، وقد ادى الخلاف بينهما
الى حبس حليى المصون ثم عزله عن ريعه فيما بعد (٣) .

(١) لا يمكن تحديد السن بالضبط لانه لا توجد اى معلومات ثابتة تحدد
تاريخ ميلاده ولكن وضع هذا السن بالتقريب راجع

(٢) مهديّة ١٥/١/٢٣٤ بتاريخ ١٢ رمضان سنة ١٣١٢ من محمود الى
الخليفة تم عزل اهلى الرضى ، ابراهيم الشريف حليى المصون . كذلك
راجع مهديّة ١٧/١/٢٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٧ صفر
سنة ١٣١٥ بتعيين حليى المصون وعلى البايه .

(٣) مهديّة ١٥/١/٢٢٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ جماد
اول سنة ١٣١٢ ،

ومهديّة ١٥/١/٢٥٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ جماد
اول سنة ١٣١٣ .

ولكن رغم صغره ، ورغم ما ظاه من خلافات من مجال
ارباعه ، ومن ثورة الجهادية عليه ، (١) فان الفترة التي
قضاها في الغرب كانت حافلة بالنشاط والغزوات خصوصا
في دارفور ، وقد عمل كثيرا لاثبات سطوة المهدية في
تلك البقاع ، ولكنه في نفس الوقت احدث زعزعة شديده
للقبائل التي تسكن في الغرب ، والجدير بالذكر ان هذه
القبائل الى تحت زعزعتها هي نفسها القبائل التي كان
يعتمد عليها الخليفة في مساندة حكمه ، وفي خيال
السنين التي قضاها محمود في الغرب سنة ١٣٠٨ الهـ
سنة ١٣١٤ لم تبقى قبيلة من قبائل الغرب الا وقد وصلتها
جيوش المهدية وزعزعتها وقتلت رجالها او ارسلتهم الي
الجهاد وفنت محمولاتها وحيواناتها ، وقد شمل ذلك
الزيقات ، بني هلب ، المسيره ، التعايش ، الحوازمه ،
اليمدوب ، الكمايش ، الفور ، البرقو ، المساليت ، القرو
زفاوة ، وكثيرا من القبائل الاخرى (٢) ، ولكن بالرغم من
كل هذه الزعزعة للقبائل وشيئتها فان الاستاذ
موسى المبارك يذكر في رسالته بان فترة حكم محمود
في الغرب كانت (بالمقارنة لما سبقها) فترة سلام حتى
ان الناس هناك كانوا يسمونه " محمود عمل " بالمقارنة
لسلفه " عثمان بعل " (٣) ولم تنف زعزعة هذه
القبائل عند حمد فرض سيطرة المهدية على اراضيها
بين سنة ١٣٠٨ والى سنة ١٣١٣ ميل ان محصورا عدة مرة
اخرى لاختفى رجالها للجهاد في سنة ١٣١٤

(١) تمرد عليه الجهادية في سنة ١٣٠٨ راجع مهديه ٨٣/١/١٤/١
من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ الحجة سنة ١٣٠٨ .
(٢) انظر الكشف المرفق Appendix A فيه ملخص للاعمال التي
قام بها محمود كما يروى في خطباته للخليفة .
(٣) راجع رسالة الاستاذ موسى المبارك للماجستير عن تاريخ دارفور
السياسي والتي توجد نسخة منها بمكتبة جامعة الخرطوم ص ١٤٧ .

عندما طلب منه الخليفة ذلك .

ارسل الخليفة في طلب الأمير محمود الى امدرمان
 " خفاني " وقد وصل محمود ومن معه الى " البقعة " في
 السابع من ذي الحجة سنة ١٢١٣ (١) ولم يبق بها
 طويلا اذ ان الخليفة طلب منه الرجوع حالا لاستنفار
 القبائل للجهاد ، فقام في محرم سنة ١٢١٤ قبل ان يقضى
 شهرا كاملا منذ حضوره . وقد قضى سنة ١٢١٤ كلها
 في اتيار المعركة التي اركله الخليفة بها وجعلها كل هممه ،
 وضيق على الناس في الغرب اشد التضيق ليجبرهم على
 الحضور للجهاد ، ولم يتسرك حيله من الحيل الا واتبعها
 معهم لاجبارهم على الحضور معه ، حتى انه اخذ عوائلهم
 معه حتى لا يفكروا في الرجوع (٢) وعندما ترك محمود امدرمان
 في محرم سنة ١٢١٤ كان يعرف ان الغرض الذي طلب من اجله
 احضار الجيوش من الغرب هو تطور الاحداث في الشمال
 ولكنه لم يكن يعرف تفاصيل تلك الاحداث ، وعليه فمما
 طلب من الخليفة ان يعرف بها حتى يكون على بينة من امره
 ويضمن قلبه " انما سيدي منذ قيامنا من جنابكم
 فاننا في قاية المشغولية حيث تركنا واردات الجهة البحرية
 يرد منها ما يدعى الالتفات لامرها وما يكون كذلك يمنعنا
 القرار ونعتمد معه الاصطبار وفي مثل هذه الحالة
 لولا الاششارة الكريمة لما رضىنا بمغادرة سيادتك

(١) مهدية ١٥/١/٢٥٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧

الحج سنة ١٢١٣ .

(٢) مهدية ١٥/١/٢٧٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ

٢٠ جعد آخر سنة ١٢١٤ .

ولا الاشتغال بشيء سوى ما يكون نحو الجهة التي بها
الاشتغال ولكن نظرا للإشارة ولأن حركتهما في ذلك
من باب المساعدة في الدين رضى ولكن ظاهرين على
الجمهر من شدة الافتكار فإن رأ (رأى) سيادتكم أن يفرج
عنا بإدانة تعريفنا بما يتم في ذلك ففيه الراحة
والامر إليه ١٠٠ (١) وفكر مشغول باخبار " الجهة البحرية " ^١
' شرع محمود في تفسير القبائل وجمعها لتكوين الجيش
الذى سيثبته اليها وفى ٢٨ ربيع اول ارسل كشفا بييمان
بعض من جمعهم من الرزيقات والعريقات والبرى والسدين
وصل عددهم الى ٢/٨١٠ مجاهدا ومعهم ٤/٤٠٦ من العوائل
(٢) ، ووصله رؤسا المسيحية الذين ارسلهم الخليفة
لاستقار اهلهم ، كما انه طلب من الريح الذى كان قد ارسله
الى شكا ان يرجع لينضم الى الجيش " من اجل الصلحة
الدينية " (٣) وكاتب القبائل : " ندى سيدى ان عدكم
منذ حضوره بهذه الجهات في هذه المرة لم يزل متلفا
ليه ونهاره في ظعنه وقراره الى ما به اتساع امر الدين
وادخال العباد فيه بمهمامكن من الاوجه الموصلة الى عام
المراد ومن ضمن ذلك فانظ في هذين اليومين ارسلنا
وكاتبنا كافة القبائل التى هي حوية بالقيام للهجرة
كمثل الحمر برينقا والحمر الذين بجهة كهلك وغيرهما من جهاتهما

(١) مهدية ٢٥٦/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بطريرخ ١٥ محرم سنة ١٣١٤

(٢) مهدية ٢٦٠/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بطريرخ ٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٤

(٣) مهدية ٢٦٠/٤/١٥/١ الى ٢٦٥ من محمود الى الخليفة بطريرخ

٢١ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

وكمثل الصيرية الذين بجهة الخلا وكمثل باقى الرهائنات
 المتأخرين بجهات البحر وجهات شكا وكمثل الهباتية
 الذين بالكلكه والذين بداره وغيرها وكلا منهم قررنا
 له من الدعاية بالترغيب والاعتناء بأمره ما هو كميل
 بقيامه وقطع علاقته ان شاء الله تعالى فى هذه
 الايام وفى عزم عهدكم ان يستمر الاجتهاد فى امر
 الهجره حتى لا يترك شئ من هذه القبائل التى هى
 مظنة الرغبة فى الدين والصبر فى جهاد الكفرة
 المعرضين وسيصير ارسالهم بالتوالى حتى يكون
 طريق الهجره متصلا بالرجال طائفة اثر طائفة
 ١٠٠٠ (١) وفى خطاب اخر يوضح للخليفة مدى اهتمامه
 بهذا الامر يكتب ردا على خطاب ورد له من الخليفة
 بتاريخ ١٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ مستفسرا من عدم
 وصول الاخبار من محمود وعن الامر الذى ارسمه
 محمود لانجازه فيقول " ١٠٠٠ اما الصلحة التى
 توجهنا فى شأنها فلم يكن لنا اشتغال اننا اليه
 وأطراف النهار غيرها ولم ندع شيئا فى طاقتنا ومعرفتنا
 فى تدبير القريب والبعيد وحزم امره الا فعلناه
 بحمد الله تعالى ولم نزل على ذلك بدون ادنى فتور
 ولا قصور ان شاء الله حتى يتم المرغوب كما لا يشكركه

(١) مهدية ٢٦٥/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
 ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

الكريمه التي تلقيناها من جنابكم وتوبينا نرفع
لسيادتكم نجازها وتعامها على مايسر الخطير
الكريم ونحظى فيه الرضا المستديم ٠٠٠٠ كمبذا
سيدي انه من ضمن الاحوال التي يجب رفعها لجنابكم
ان قد تواتر لنا من الغرب بان جهة بنى هلبة صارت
مشحونة بالقبائل المحضرين من الغرب سودان وعرمان
٠٠٠ " (١) وزاد اهتمام محمود بأمر الجهاد وجمع القبائل
اكثر من ذي قبل عندما ارسل له الخليفة خطابا بتاريخ
٢٤ ربيع آخر سنة ١٣١٤ باخبار " الجهة البحرية "
" ٠٠٠ المتضمن بان اعداء الله الكفرة حاربوا المكرم محمد
بشاره بمركز العرض ورموه من البحر واننا نحضر
بالجيش على حسب سابقه الطلب قد شرفنا بمروده والاخير
ساحوا احطانه علما والحال سيدي انه قد حصل
الاهتمام بالحضور من عدكم اهتماما لايفرله معه توارحت
صار قيام الجيش جميعه على احسن طاه وصار قيام
عبدكم بعده كما توضح في غير هذا ولكن هذه الواقعة
قد شغلتنى سيدي وامرست فكري وابلغتنى من الاهتمام
بشأنها حالة لايعبر عنها ومنذ ورود الخبر اليقال لم نطعم
النوم ولم نعل الى شئ من الراحة في ليل ولا نهار وماذا
من شئ سوى انسى انسى ان يسبقونا
هؤلا الكفرة يهلكهم الله قبلنا " (٢) .

(١) مبدية ١/١٥/١٢٦٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع

آخر سنة ١٣١٤ .

(٢) مبدية ١/١٥/١٢٧٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ جماد

آخر سنة ١٣١٤ .

وتحرك محمود بجيشه الذي جمعه متجها نحو
 البقعة وقد اوضح ان الاسباب التي اجبرته على التأخير
 هي كثرة الامطار ، وأنه رأى ان الصلحة تقتضى ان يتأخر
 لأنه لو تحرك في تلك الاونة بالجيش فان الناس لن يتسوموا
 معه للجهاد في زمن الخريف لانعدام الغلال . ولذلك فإنه
 تأخر ووصل الى الفاشر في مدة شهرين من الشهود وكان
 في خلال هذه المدة قد كتب للاعمار بالفاشر بالاستعداد
 وجمع القبائل هناك لمقابلته . وعندما حضرته القبائل
 واخبرهم بأنه ينوي اخذهم للتشرف بمقابلة خليفة المهدي
 «...» ارتجعوا جميعا فرأينا اننا اذا دعوتهم مرة اخرى فعلى
 فرش الحضور لابد أن يرتجعوا كما فعلوا في المرة الاولى
 وتركهم بهذه الحالة مما لا يوافق ولا تقبله الصلحة والعرف
 يسوّر على رغم انفسه ولم تروى في اوجه الحزم ابلغ من قيامهم
 بعلايتهم وتسليم كل طائفة منهم الى احد الارباع لغاية
 وصولها والمفاوضة مع رؤسائهم اعني اهل الوطن ومع
 الاخوان خاصة فالجميع قد وافق لديهم ذلك وصار العمل بموجبه
 والحالة هذه قاموا جميعهم وتوجهوا امامنا منذ ايام (١) ولم
 يتمكن محمود من حصر اعداد الجيش الذي قام معه ولكنه يصفه
 بأنه جيش كبير جدا «...» فان اوله الان بكردخان واخره قريباً
 من دارفور هذا في الطول واما العرض فان حده من الصعيد
 العجلد دار الحمران هي طريق العكرم الختم موسى وربع الشهيد
 محمد جوده ومن جهة الشمال حده داركاچ وهذه الطرق
 جميعها مشحونة بفضل الله تعالى خيلاً ورجالا وايضا لابد من
 الزيادة في جهات كردفان لان قبائلها تبعا للارباع وفيها من رجال
 الحرب اناس كثيرون وبفضل الله تصل لصوبكم على حالة جميلة وفي العزم

(١) مهديّة ١/١٥/٤ - ٢٧٠/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ

ان ذلك لا يعدل عندكم ان مسافعتهم سابقا ولا تحقا من
نحو الاشارات لا ينبغي التأخير بعده ولا تأنيده نفس
عندكم ونسأل الله الاعانة والتوفيق والرشيد ببركات
جنابكم امين " (١) وارسل محمود كتبنا بالقبائل التي
حضرت معه للجهاد من دارفور " وقد بلغ عددها تسعة
وخمسين قبيلة كلها حضرت من دارفور مستجدة بخلاف
قبائل كردفان " (٢) ولما وصل محمود بجيشه الذي
الايض طلب منه الخليفة ان يترك الجيش هناك ويحضر للمقابلة
معه بمصر فتمنع في نهاية شعبان وتشارع من الخليفة
في الطريقة التي يحضر بها ذلك الجيش ومن يتركه ليحافظ
على الامن من وراءه . ورجع بعد ذلك الى الايض مرة
اخرى في ١٧ رمضان سنة ١٣١٤ ، وحسب الاوامر التي ترد
بها فانه قد ترك الختم موسى ومعه الجهاد التي كانت
مع الجيش ، وكذلك ترك اغلب عوائل الجيش بدارفور ومعها العسكر
عيسى زكريا ومعه قليل من الانصار كما ترك بعض العوائل
في اماكن اخرى من كردفان مثل آدم وغيرها " بحيث لا تخلوا
جهة من جهات كردفان من بعض العائلات ماعدا جهة الصعيد
وقد تركت هذه العوائل وليس معها الا القليل الذي لا يكسرون
اقل منه من الاصحاب للمحافظة عليها " (٣) وتحسرك
بالجيش في ٢٧ القعدة سنة ١٣١٤ متوجها نحو امدرمان .

(١) مهيدي ٢٧٢/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤
رجب سنة ١٣١٤ .

(٢) مهيدي ٢٧٩/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠
شعبان سنة ١٣١٤ .

(٣) مهيدي ٢٨٦/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٧
القعدة سنة ١٣١٤ .

ولم تكن هذه المرحلة من مسيرة الحملة
سهلة بالنسبة لمحمود ، فقد قابلته فيها صعوبات
كثيرة في المحافظة على الجيش من الرجوع ، مثل الحفاظ
عليهم بشتى الطرق ، ولكن ذلك ادى الى تأخير بعض
الشيء ، ف ارسل اليه الخليفة يؤنبه على ذلك
التأخير ويقول له بأن " المكرمين محمد البصير والعباس
العميد وعبدالله ابن سنان قد حضروا بمن معهم من
جيش الجزيرة وأن رايات دقيم قد تقدمت بالتفصيل ...
وان الخليفة نفسه متقدم نحو كررى للجهاد (١) وصف
محمود الصعوبات التي قابلته بقوله " ١٠٠٠٠ بحسب
ما يعلمه داعيكم في أهمية نزول الجيش بكامل هذه فعند
رجوعنا لكرديان باذلين جهدا ليلًا ونهارًا في جمع البعيد
منه وفي تقديم من نخشى ارتجاءه والمحافظة على من تقتضى
الصلحة المحافظة عليه الى غير ذلك من اوجه الخزم ...
ولكن رغم ذلك " ... بلغنا ليلة البارحة بالتواتر ان كشميرا
من الانصار ارتجعوا الى جهة ياره والى مركز الابهض والبعض
تأخروا بجهة ادم باسلحة نارية وخيول (٢)) ويعتقد محمود
ان ترك هؤلاء قد يؤدى الى ارتجاء الآخرين وان هؤلاء انفسهم
لم يكن رجوعهم الى الفسدة وان يرجو من خليفة المهدي ان يكتب
الى الخثعم موسى وموسى زكريا وعبد القادر رحمه بخصيتهم وارسالهم
وارسال كل من يرجع بعد ذلك وان يكتب لهم الخليفة بما يحسم هذا الامر (٣)

(١) مهادنة ٢٨٧/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بطارنخ ٢٧ القعدة
سنة ١٣١٤

(٢) هدية ٢٦٦/٩/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ الحـ
سنة ١٣١٤ +

وهكذا بعد جهد وتمديد وباستعمال الكثير
 من اساليب الضغط والممارسة استطاع محمود ان يصل
 بحمله التي اراد لها الخليفة مقابلة جيوش كشمينو
 في الشمال . وقد قطعت هذه الحملة في مسيرتها،
 الاولى من الغرب مئات الاميال ودخلت في كثير من المدن
 والقرى واحتكت بالكثير من القبائل والاجناس وتوكت اشار
 سيرها في كل الرقعة التي سارت عليها حتى وصولها
 الى امدردمان الا ان المرحلة الثانية من مسيرة هذه
 الحملة - من امدردمان الى عطبرة - هي التي تركت الاثر
 الاكبر وما زالت بعض اثارها باقية في نفوس الناس الى يومنا
 هذا وان نسي كثير من الناس ما خلفه تلك الحملة في النفوس
 من ذكريات عند نزولها بالايض وساره وامدم وتضييقها
 على قبائل السيرية والصر وغيرهم فان نزولها بالمتعة
 وتضييقها على قبائل الجعليين واهالي بربر وغيرهم من قبائل
 " اهل البحر " مازالت ذكراه باقية الى يومنا هذا
 وواقعة المتعة " هي اول ما بدأت به هذه الحملة المرحلة
 الثانية من مسيرتها

الفصل الثاني

واقعة المتعصية

في يوم ٢٢ محرم سنة ١٢١٥ كان محمود يشأهب للقيام ليلاحق بجيشه السدي كان قد تقدم قبله السي الشطال • وهو في ذلك ان ورد اليه خطاب من رؤساء الارباع بجيشه يخطرونه فيه بمصبيان همداله ولد سعد على العهدة : " بسم الله الرحمن الرحيم الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى اله مع التسليم وبعد فعن عهد ربهما على السنوس والبشاري بعهده وصلاح ابوه وعبدالقادر دليل الى حضرة سيدنا المكرم محمود احمد نصره الله امين • بعد تشييل الايادي الكرام ندلم سيدي انه بنهار الثلاثاء الموافق ٢١ الجاري قد نزلنا بجهة مديسيه ولد حامد السمتاعة من التهار وتتايها ولغاية الشاه من الليل قد حضرنا لطرفنا اديس ولد حمزه وباكرو ولد على ويهدهم بوسطة لنا من احمد حمزة التوم السعداي يذكرو فيها انه بيوم الاثنين الموافق ٢٠ محرم هذا أن همداله ولد سعد قد اصبح منافقا وخالف الله ورسوله والعهدى وخليفته عليهما السلام وجاهر بالمصبيان فتعزوا بالله من ذلك • وحيث ان المذكور صار كافرا فعندما قرأنا الجواب الوارد لنا من احمد حمزة المذكور قمنا ليلا ساعة تاريخه وتوجهنا على بركة الله تعالى لنحو الممتة باستعداد ونهضة صادقة لانه والله ان كان المتعصية وغيورها وكافة اعداء الله فيها لا تقاروننا ودين الله منصور

وعنده مقهور ولا يبالغكم الا كل خير ويعون الله تعالى تقطع
 دابرهم قيل لحوق العتاكخين ان ذلك فهو مقصدنا
 ونسأل الله تعالى النصرة والمعونة وذات ولد حمزة السدي
 حضر بالبرسطة واصل اجنابكم سيدي والسلام " (١) .
 وكان جيش محمود عندما تحرك من امدرمان قاصدا
 القنصة يسير نحوها في طمأنينة ، ولم يكن يتوقع اى مواجهة
 مع اهاليها وكانت مقدمة الجيش قد وصلت الى قريب من
 القنصة على غير استعداد للحرب ، الى ان اوقفهم احمد
 حمزة (٢) وارسل يحذر رسلا الارباع : " بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الوالى الكريم والصلاة والسلام على محمد وآله مع التسليم
 ومحمد فمن يدريه احمد حمزة التوم السعداين الى المعكم الاكبر
 سيدي على السنوسى والبشارى ربه . صلاح ابو وعبد القادر
 الدليل امراء الارباع حفظهم الله وتولاهم امين .
 بعد السلام احبابى تعرفكم انه يوم الاثنين الموانس
 عشرين محرم ان عبدالله سعد فرج اصبح منافقا وخالف
 للعهدية وهانحن خباطط خليفة المهدي بذلك واتوا الاخوان
 رحمة ومحمدين ومن معهم متوجهين الى القنصة بدون خبر فلما
 اتونا عرفناهم ورجعناهم اليكم فالبعض منهم توجه بهم لوصول
 البرسطة والبعض منهم يقسم معكم اليما ليوصلكم لمنزلنا والسلام " (٣)

(١) مهديه ٢/٣/٨/١ من الامراء الى محمود بتاريخ ليلة محرم
 سنة ١٢١٥ .

(٢) وهو جعلى من الانقرياب ومن اقرباء عبدالله سعد وكان اخوه
 محمد حمزة احد عطل رايات محمد بشارة وكان اميرا على قبائل

الشرفا . راجع فى ذلك : Egypt. Int. Rep. No. 48, 22nd May to 21st June 1896, Annex 3 and
 Egypt Int. Rep. No. 49, 22nd June to 18th. Aug. 1896

(٣) مهديه ١/٣/٨/١ من احمد حمزة الى على السنوسى بتاريخ
 ٢١ محرم سنة ١٢١٥ .

ومن جهة اخرى ورد خطاب من رادى بشارة من مرشود
اميدى وسيد احمد ~~بهم~~ وقبح الله وهما وكلاء الربيع
النايع لمحمد بشاره مؤكدا ما اورد احمد حمزه فى
خطابه "فهم يكتبون الى امير ربههم : " ٠٠٠٠ وبعد فمن
عبدى ربهما مرشود اميدى وسيد احمد وقبح الله الى سيدنا
المكرم محمد بشاره كان الله له امين .

بعد اهدت جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ثم نعلك الى المكرم انه في تاريخه (فى تاريخه) السابعة
من ليللة الاربعاء ٢٢ الجارى قد بلغنا اكيدا بان عبد الله
سعد قد اغراه الشيطان وارثد عن المهدي ونكس على
عقبه وجاهر بالعصاة وبل سيئه وصرخ بالتمتة وقصد
مطاربة المهدي وذلك لـ بوق شقاوة الازليه اعانظ الله
والمسلمين من ذلك وهما نحن ارسلنا مخلصين من طرفنا
للجهة لكشف المسيح من احواله واحوال غيره من اهل الجبهة
فعند عودتهم سنطلع الامر بها يتضح ولملاوتكم بما اوخذناه
لزم ترقيه ونحن في غاية (فى غاية) التحزب والاستعداد
سعيدى السلام ٠٠٠ وقد قيل ان عبد الله المذكور اول وصوله
التمتة ركب خمسة جمال الى المربان وطلب ولد الفزاري
ونخسه جمال ايضا قد ارسلهم الى الكفرة وحينئذ نحن
في حالة (فى حالة) تحرير هذا قد بلغنا ان اثني باشات
خضروا بجهة جندول والله اعلم بالحقيقة وكذا ارسلنا
في تاريخه (فى تاريخه) لتلك الجهة من اجل كشف
الخبر وهذا لزم الحاشية " (١)

وتحذير احمد حمزه لرؤساء ارباع جيش محمود

(١) مبدية ٤/٣/٨/١ من مرشود اميدى وسيد احمد
وقبح الله الى محمد بشاره بتاريخ ليلة ٢٢ محرم سنة ١٢١٥ .

كان له اكبر الاثر في تنبيههم عن غفلتهم ، وشحروهم في
الاصعداد اللانزيم لمواجهة الموقف بما يقتضيه . واول
ما فعلوا هو ارسالهم في طلب الذخيرة التي لم يكن
الجيش يحمل منها ما تقتضيه الضرورة فكتبوا الى محمود :
" بعد ثقيل اليمادى الكرام سيدي انه لا يخفاك حال
الجيش من عدم الجيخان ، ولذلك وان اهمية الامر الذي
مقرناكم عنه توجيهنا بما معناه من الجيخان القديم التسي
بايمادى الانصار وحيث ان امر الجيخان فهو ضرورى وسيادتكم
اعلم بذلك فالامل بوصوله لجنابكم اسعافنا بالجيخان
الكفاية واما نحن بعون الله تعالى خلافا المتعة ما يكون لنا
وتسوف دونها على مقتضى اشارة سيد الجميع خليفة
العهدى عليه السلام وان شاء الله تعالى بالموجود عندنا
من البارود تنصر دين الله تعالى ولو بالحراب والعكاكيز
ولا يبلغكم الاكل خبير والقصد حضور الجيخان فقطوى ذلك
فالامر مغوض لسيدنا وساعة طريقه السعافة من الليل
صرفت لنحو المتعة كما عرفنا سيادتكم والسلام " (١)
كما ان تعذيب احمد حمزه كان له اثر كبير في نفس محمود
الذى رأى ان تأخيرها عن جيشه بعد حدوث ذلك الامر
فيه شئ من التراخي ولكن ذهابه الى الجيش بدون ان يحمل
لهم معه ذخيره ايضا لا يجدى فكتب الى الخليفة والى يعقوب
اخى الخليفة وامين بيت الاماء لاسعافه بها "

(١) مهدية ٣/٢/٨/١ من على السنوس وآخوين لمحمود
بشأنه ليلة ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ .

بحسب ما علم لنا من احوال عبدالله سعد لم نستبعد
 ما نسب اليه وقد صرنا على صزم جد التفسير ومداركة
 الامر بهما امكن الا ان اليه خاله امرها ضروري وقد تحرر
 ضا الى سيدي العكبر يعقوب بن محمد باسم حافظ بهما
 ونرجسو مع الموافقة ان تكون مائة صندوق بالبر اعنى توصل
 على الجبال لسرعة الاسعاف لانها مفقودة عندنا وعند
 عموم الجيش بل الذي بلغنا يوم تاريخه ان اول الجيش ممن
 الاصحاب وصل بالعمرة ولذا صار امر الجبه خاله لا يمكن اهم
 منه . (١) كما ان محمود زيادة منه في الاحتياط رأى ان يامر
 رؤساء الجيش بعدم دخول التمه قبل ان يصل هو بنفسه اليهم
 واما رسول الجيش للعمرة فلم يتحقق عندنا وانما بلغنا
 بدون حقيقة وقد ارسلنا مخلص الى رؤساء الارباع بان
 الحركة اذا كانت حقيقة ينتظرونا ولا يصلوا التمه وذلك لعدم
 الجبه خاله وان لم تكن حقيقة يصلوا فيها مع غاية الحزم . (٢)
 كذلك عبر عن قلقه مما وصله من اخبار مع عدم وجود الذخيرة
 بقوله " نريد سيدي ان اجوبة الاصحاب هذه وان كانت تخيد
 شديدة الحزم منهم وعدم ميالاتهم بهذه الحركة لكن داعيكم في
 غاية الشفقة لوجهين اولهما عدم الجبه خاله لان الذي ذكره
 منها لا ينف بالصراف لهم وجه وجه وشانهم ان عبدالله سعد
 وان كانت حركته ضعيفة لكن الحسبه من ان يكون له مكر وخداع لم
 صدرك عندنا ونرى ان تاخيرنا بعد هذه الحالة لا يمكن ابدا

(١) مهدية ١/١/٨/١ من محمود الي الخليفة بتاريخ ٢٢ محرم

سنة ١٢١٥ .

(٢) نفع المصدر السابق .

والحقوق بالجهش ضرورى جدا ولكن وصولنا لهم بدون
البيعة خانه لايجدى شيئا ولذا حررنا هذا راجين الاسعاف
ولاجل معرفة ما عليه داعيكم من المشغولية والاهتمام
باللحوق هذا والايادى دامت مقبله والسلام " (١)

اما لماذا قرر احمد حمزه تحذير محمود
وبهشبه بعضيان عبدالله سعد فامر يحتاج الى نظر
وبحث . (٢) وقد كنا نعتقد ان السبب هو تطلع احمد
حمزه الى رئاسة الجعليين ، وقد دفعنا الى هذه

الاعتقاد ما ذكره كتشنو فى تفسيره السرى فى ١٩
١٤ ^{١٤١٢ هـ} يونيسوتة ١٨٩٤ والمضمن فى خطاب سرى من كرومر لكامبرلى
١٥ ^{١٤١١ هـ} فى ٢٠ يونيو سنة ١٨٩٤ من انه بعد تولي عبدالله سعد
رئاسة قبائل الجعليين ارسل رسولا الى كتشنو للتفاوض
معه ، وقد كان من اهم مطالب عبدالله سعد ان تظل
رئاسة الجعليين عنده ثم فى يوم من بعده ساعد
على ان عبدالله سعد كان عنده احسان بان هناك
من كان ينافس فيه من الجعليين السعداب من غير
اهل بيته . ولكن كل من تناقشت معهم من اهل تلك
المنطقة من الكبار . . استبعدوا ان يكون الدافع هو ان
احمد حمزه كان يطمح فى رئاسة الجعليين ، كذلك استبعدوا
ان يكون الدافع لذلك خلافات شخصية بين وبين عبدالله سعد ،

(١) مهيديه ٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ محرم

سنة ١٣١٥ .

(٢) يذكر نعيم شقير " جغرافية و تاريخ السودان بان عبدالله
سعد " جمع كبار قومه واسر اليهم مانوى فمن وافقه ضمه الى
جيوشه ومن لم يوافق استخلفه على كتم السمسمر "

(٣) ~~مطابقا لما ذكره كتشنو فى تفسيره السرى فى ١٩~~

~~١٤ يونيسوتة ١٨٩٤ من انه بعد تولي عبدالله سعد~~

والمرجع ان يكون احمد حمزه مثله مثل بعض اهل المنطقة
من الجعليين وضميرهم ممن اثنقوا مع عبدالله سعد على
ان سرور جيش محمود بجهتهم فيه غاية الضرر بها الا
انهم اختلفوا معه في الاسلوب الذي يجب ان يعالج
به ذلك الامر وأما ان الطريقة التي اقترحها عبدالله سعد
فيها بعض التهور (١) • وإذا كانت اكثر قبائل الشمال " اهل
البصر " قد بدأ حساسها للمهدية يقل منذ ايام حملة الاصر
عبد الرحمن النجومي ، وإذا كانت قبائل الجعليين بالذات قد
بدأت تتخلى عن المهدية منذ موت زعيمهم على سعد (٢) ،
فان ذلك لم يصل بهم الى الدرجة التي يقوون فيها العصيان
والثورة عليها • (٣) وقد عرف محمود هذا اذ كتب للخليفة " •
وان شاء الله لا يحصل شيء الا نصرة الدين لان عبدالله سعد
وان كان نفاقه لا يحجب بين عينيه من هذا المسموع فيه
كثير لكن لا تجدى حركته لمقاصده شيئا الا الكفرة لا نصرة
لهم ولا لغيره ومع ذلك جهتهم بعيدة وبعيد ايضا ان يدركوه
وكذا الجعليين نفسهم ولو المشهور متابعتهم له في اقواله
وافعاله لكنهم جميعا لا يرضوا هذه الصالحة ونرجو الله ان
يرميه هو في القبض وان يهدي من يريد هدايته من الجعليين • " (٤)

(١) كثير من تحدثت معهم من شيوخ تلك المنطقة بالذين طامسوا تلك
الفترة مثل الشيخ عبدالكريم الفاغل وهو ممن اشتركوا مع عبدالله
وسعد في العصيان فاتفق رأيهم على ان على وسعد كان رجسلا
عاقلا جدا ولكن عبدالله اخاه لا يخلو من بعض التهور والاندفاع •
(٢) هناك اعتقاد بين اهل المنطقة بان على سعد قد مات مقتولا
بالسم الذي وضعه له الخليفة في طعام الكده الثينة • ويذكر
ابراهيم فوزي باشا في كتابه " السودان بين يدي غردون وكشنو
الجزء الثاني مطبعة المؤيد مصر ١٣١٩ هـ ص ٢١٤ " روايه قريبه

من هذه • راجع النص في Appendix B

(٣) تورد المظاهرات المصرية تقريراً عن هذه الحالة التي كان عليها
الجعليون في : Egypt. Int. Rept. No. 44, 1896

راجع النص في Appendix B

(٤) مهدي ١/٨/١٢٨١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣

حق وقد كان قرار عبدالله سعد بالعصيان مفاجئاً
 لهم لأن بعضهم تشكك فيهم كما يذكر محمود في خطابه
 للخليفة شارحاً ذلك " ٠٠٠٠ هذا وعد مقتل ولد سعد
 وجدت مكاتبات في جيب جيبته واردة اليه من رساله
 الذين ارسلهم لدنقلا تفيد ان الكفرة شاكين في امره
 ومثلهم عربان الصانیه ٠ (١) والقرار الذي اتخذه احمد
 حمزه انبنى على اساس ان فكرة العصيان هذه فيها
 كثير من التهور وعدم تقدير العواقب ، وانه مثل مثل
 بعض زعماء الجهليين الآخرين وقبائلهم قد تشكك في جديتها
 وقدر معارشتها .

عندما قرر عبدالله سعد اعلان العصيان على
 المهدية والوقوف اعلم تقدم محمود احمد لم يكن ذلك تنفيذاً
 لأمر مديهم التخطيط له من قبل وانفقت الاراء على
 اجرائه ، ولا كانت حركه جزواً من مخطط اللطاحه بحكم
 المهدية فلم يكن عبدالله سعد قد عمل لهذا الامر من قبل
 ولا استعد له ولا هيأ الاذهان له ، وقد يكون محمود محظ
 في اعتقاده بان هذه الحركة قد بدأها عبدالله سعد
 بعد رجوعه الى المتعة من ادرمان : " ٠٠ هذا وعد
 قتل ولد سعد وجدت مكاتبات في جيب جيبه واردة اليه
 من رساله الذين ارسلهم لدنقلا تفيد ان الكفرة شاكين
 في امره ومثلهم عربان الصانیه ورساله يعودو بحصول
 النجح في رسالتهم . وعلم من ذلك ان هذه المسألة

(١) مهديه ١/٨/١٤١١ من محمود الى الخليفة بتاريخ غاية
 محرم سنة ١٣١٥ .

لم يكن لها امد من سابقا وانما ابتدأها بعد رجوعه
 من البقعة العنصرية " ٠٠٠ " (١) ولذلك فانها جاءت
 مفاجأة للخليفة ولحمود ولاهالي المنطقة والجيش
 الغازى . ولم يكن ذلك فى مصلحة عبدالله ان اذله
 لم يتمكنوا من ارسال المساعدات له ، و يمكن هناك
 الوقت الكافى لتسليح اى امدادات من فرق جيش كتنزير
 التى كانت بدتقل " ٠٠ " اما احوال المخدول ولد سعد
 فلم ياتنا منها شئ مفصلا ولكن المشاع انه لم يحضر
 اليه احد لا من العربان ولا من الكفرة وان اهل الجبال
 بالنظر لخوفهم على اولادهم وتعلقاتهم لم يأتى لهم
 الاجتماع عليه وبلغنا ايضا ان الحركة خاصة بجهته
 والله اعلم " ٠٠ (٢) وقد فطن محمود الى مواطن الضعف
 هذه فى حركة عبدالله سعد " ٠٠٠ " وما ذكره (عبدالله
 سعد) من موافقة القسمين له على العصاة امر وصى
 لديه وان كان دخلوا معه فلا ينفعو بشئ لأن كل
 احد منهم لا يقدّر ان يفوت اولاده وماله وأتى السى
 المتعنه وشغل هذا من الفشل له مالا خفا فيه وان شاء
 الله تعالى قهرها يذهب امره ويصير عبيرة للمعتبرين " (٣)
 وبالرغم مما ظهر لمحمود من ضعف الحركة
 الا انه لم يتهاون ففى امرها بل كان حذرا
 كل الحذر واتخذ الاحتياطات اللازمة

(١) مهدية ١/٨/١٤٠١ من محمود الى الخليفة بطاريسخ
 غساية محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١٤٠١/٢/٣ من محمود الى الخليفة بطاريسخ
 ٢٧ محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١٤٠١/١/٣ من محمود الى الخليفة بطاريسخ
 ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ .

ولا هالي المنطقة والجيش
هداله آل ان اهله
يمكن هتلك

لم يكن لها اسد
من البتة المنسبر

مفاجاة للخليفة ولحمود
الغازى • ولم يكن ذلك فى صلحة

لم يتمكنوا من ارسال المساعدات له ، ولم
الوقت الكافى لتصله اى امدادات من فرق جبهه

التي كانت بدتقل " ٠٠ اما احوال المخدول ولد سعد
فلم ياتسب منها شئ ، فصلا ولكن المشاع انه لم يحضر
اليه احد لا من العربان ولا من الكفرة وان اهالى الجهات
بالنظر لخوفهم على اولادهم وتعلقاتهم لم يأتى لهم
الاجتماع عليه ولغنا ايضا ان الحركة خادعة بجهته

والله اعلم " ٠٠ (٢) وقد فطن محمود الى مواطن الضعف
هذه فى حركة هبدالله سعد " ٠٠٠ وما ذكره (عبدالله

سعد) من موافقة القسمين له على العصاة امر وهم
لديه وان كان دخلا معه فلا ينفعه شئ لان كل
احد منهم لا يقدر ان يفوت اولاده وماله يأتى الى
المتة وفى هذا من الفشل له مالا يخاف فيه وان شاء

الله تعالى قريبا يذهب امره ويصير عبرة للمعتبرين " (٣)
وبالرغم مما ظهر لمحمود من ضعف الحركه

الا انه لم يتهاون نى امرها بل كان حذرا
كل الحذر واتخذ الاحتياطات اللازمة

(١) مبهدي ٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
غاية محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مبهدي ٢/٢/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
٢٧ محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مبهدي ١/٣/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
٢٦ محرم سنة ١٣١٥ .

لعمادتهم " ١٠٠٠ ان عدالة سعد وان كانت حركته ضعيفة
 لكن الحسبة من ان يكون له مكر وخداع لم مدركه عندما ①
 كما ان هذه الحركة كانت تشكل خطرا كبيرا
 على فرق جيش المهدي التي كانت في الجهات الشمالية
 ففرق العتمة في جهات بربر واي حمد ، وقد حدد عدالة
 سعد فعلا بقطع مواصلات هذه الفرق " ١٠٠٠ يذكروا انه
 كاتب الكفرة سرارا وعبرتهم بان يسد طريق بربر على
 الانصار الذين بها حتى لا يصلوا اليها الى غير ذلك مما
 ابلغوا لنا الرسل شفاها ١٠٠٠ (٢) وقد حاول فعلا قطع
 ذلك الطريق اذ انه تمكن من قهر بعض الانصار من جماعة
 بربر وحسبهم بالعتمة حتى دخلها محمود فوجدهم بها " ١٠٠
 انه من قبل دخولنا بالعتمة كان حضرت مركب من بربر
 فيها جماعة من الاصحاب الذين كانوا مع العكر يونس الديك
 والهايك عدالة سعد مسكنهم وارسل بعض رواسيهم للكفرة
 وقد خلدتهم الله الجميع طاهم المسجونين خلصوا في يوم
 الواقعة والذين سفروهم لدنقله تخلصوا في الطريق حيث
 حاربوا القفر وخرجوا منهم وبالقوف على مقدارهم بسلفوا
 الاربعين نفر مجاهد من اولاد عرب وجهادية وكشف اسماهم
 واصل في طي هذا " ١٠٠ (٣)

وتخوف محمود من حركة العتمة اكثر مما يجب واتخذ
 من الاحتياطات اكثر مما كانت تتطلبه تلك الحركة ، فشدد

(١) مهدي ١/٨/٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ محرم
 سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدي ١/٨/١/١/٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ
 ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدي ١/٨/١١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠ صفر
 سنة ١٣١٥ .

ففى طلب الجيخان ، ووقف المراسلات بيده وبين الفرق
التي فى سرير وفوق ذلك طلب روسيا الارباع الذين تقدموا
قبله ان يزيدوا فى الحذر " ٥٥ وقد تحرر لهم منا باخذ الحذر
ليلا ونهارا وان الطلائع التي يرسلوها تكون فى فاية
الاحتراز " ٥٥ (١) كما انه طلب منهم الا يدخلوا العتمة قبل
وصوله لهم " ٥٥٥ ندى سيدى انه لوجب الاخذ بالحزم
فى كل الامور والاحتياط فى امر الحرب دون غيره من
الشئون كان فيما حررته من الى الاخوان روسيا الجيش
اشترط لهم بانهم اذا لم يسبق دخولهم بالعتمة قبل
وصول محررنا فالاولى ان ينتظروا وقد كان وصل اليهم
الامر وهم على حالة القيام من الهوى فطخروا على
موجبه حالة كونهم مستعدين ومتنظرين لقدومنا ونحن لم نحذر
لهم بذلك الا لعلنا بعدم الجبه خانة عندهم وان يكن بطرفهم
منها شيء فهو كعدمه والحرب بدون جبه خانة عرضة للفشل
كما معلوم " ٥٥ (٢) وقد تردد محمود كثيرا وتكأ قبل ان يصل
الى جيشه بكل ذلك زيادة فى الحذر حتى تتم كل الاحتياطات
ولم يلحق محمود بجيشه الا بعد ان كتب له الخليفة يستفسره
عن سبب تأخير رجوعه على الاسراع بعقابة عبدالله سعد
٥٥ فتعلمك ايها المكرم ان المبادرة الى الاخذ بالحزم
فى امور الجيخان من المهمات وان المخدول عبدالله سعد

(١) مبدية ٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٧

محرم سنة ١٢١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

ولم يكن الخليفة ليتحمل تردد محمود في استلام
المتعة لانها كانت بالنسبة له مكافأة هامة جدا لوضعها
الاستراتيجي في ملتقى الطرق الخارج من الصحراء ومن
بربر على النيل ومن الشرق وقد كان الاعتقاد السائد
هو انها ستكون المكان الذي ستكون فيه المعركة ضد جيش
كشمير (١) ولذلك فان الخليفة كتب لاهاليها منشورا يطلب
فيه منهم ان يأخذوا كل ممتلكاتهم وحاجياتهم ويتحولوا بها
لاى جهة يريدونها بالشرق ليعتدوا عن طريق الجيش (٢)
وقد استدعى زعيم الجعليين عبدالله سعد مع آخرين من زعماء
القبائل الاخرى مثل حسنين برى من الكابراب ومحمد العجيل
من الكوشاب والشيخ ود الازرق من الشهدىاب

(١) الدافع لهذا الاعتقاد هو تاريخ الحملة التي ارسلت لانتقام
غردون فقد حضر قسم منها بطريق ابار جندول عبر الصحراء والقسم
الاخر من طريق النيل بالتفصيل في المتعة حيث دارت هناك معركة
ضد جيش المهدي الذي كان يقوده النور عنقره . راجع تفاصيل
هذه المعركة في : تدمر شير " جغرافية وتاريخ السودان ص ٨٤٣ " .
(٢) P.M.Holt : A calendar of the Correspondance
of the Khalifa Abdallahi and
Mahmoud Ahmed Khartoum, 1950, P. 9
يورد نص هذا المنشور مترجما الى اللغة الانجليزية انظر
Appendix B.

فيذكر انه موجود ضمن مخطوطات المهديّة تحت رقم مهديّة ٦٠/٢
وقد بحثنا في دار الوثائق المركزية لجمهورية السودان من غير
هذا المنشور فلم نوفق في العثور عليه ولكن مايسع من الروايات
عن اهالي المنطقة يؤيد احتمال وجود مثل هذا المنشور فالتس
يوردون على لسان عبدالله وسعداه قال " حارقان قومة نمر
من شندو " على اساس انها كانت لتبرير رفض هذا الامر

وغيرهم وذلك لتطعيمهم بخبر مرور جيش محمود بمناطقتهم
لتسهيل مهمته وقد كانت هذه هي عادة الخليفة التي
اتبعها من قبل عندما قرر ارسال حملة الامير
عبد الرحمن النجومي في سنة ١٣٠٦ اذ انه استدعى
زعماء القبائل للتشاور معهم . ولكن في هذه المرة
كان غرور الخليفة الاساس هو التلويح بمرور جيش محمود
اكثر من التشاور يظهر ذلك من ان الخليفة كان قد طلب
تفسير القبائل في الغرب وفي الجزيرة للجهاد ولكنه لم
يطلب قط تفسير قبائل الشمال لذلك الغرض بل العكس
اذا انه كتب لمحمود " . . والبراهمة جمعهم فمير مامون ساحتهم
الان ولا تعول عليهم في امر الجهاد " (١) . وبعد مقلبه
للخليفة مع بقية زعماء تلك المنطقة رجع عبدالله ودسعد
الى المتعة وهناك أعلن العصيان على المهدية " وعرض " .
استعدادا لحاربة جيش محمود المتقدم نحو الشمال . اما
لماذا جاهر عبدالله سعد العصيان وما هو السبب المباشر
الذي دفعه لذلك فانه لم يتحدد بعد بمرور قاطعة
ولكن هناك روايات كثيرة تذكر في هذا الصدد نذكر
هنا بعضها .

يذكر تشرشل رواية قريبة جدا من قصة العك نمر
مع اساطيل الخليفة واثار قصة العك نمر واضح جدا فهي
رواية تشرشل هذه فهو يقول ان الخليفة كان قد عقد
العزم على ارسال جيش كردفان الى العتمة ليجبرهم
اما على الطاعة او على العصيان قبل ان تصلهم
الجيش الغازية فاستدعى زعماء الجمليين عبدالله ودسعد

(١) مهديّة ١٤/١/٢٤ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢

ربيع اول سنة ١٣١٥ .

الى ام درمان واخبره بان منطقة الجعليين تهددها جيوش
" الترك " رآه سيميرسل الامير محمود وداحمد للدفاع
عنهم فتوجب على عبدالله ان يبرهن ولائه للمهدية بتجهيز
المؤن والعمل على راحة جيش المهدية . . . وقد احتج عبدالله
بانه مخلص للمهدية وان قبيلته لها المقدرة الكافية لصد
جيوش " الترك " وطلب من الخليفة ان لا يثقل عليهم
بارسال جيش لتلك المنطقة خصوصا وانها منطقة قد
هددها الفقر وسوء الازمان التي توالى عليها . وقد غضب
الخليفة غاية الغضب من هذا الحديث ولم يستطع السيطرة
على مواظفه وانفجر في سيل من الاتهامات والسباب لعبدالله
سعد واخبره بأنه يشك في ولائه منذ مدة بعيدة وأنه
يحتقر اساليبه وأنه يستحق ان يموت معه مشيئة
وأنه وقبيلته سبة على وجه الارض وأنه يأمل ان ياتى
محمود ليعلمهم الادب هم وزوجاتهم . . . وانسحب عبدالله
سعد من مجلس الخليفة ورجع الى المتعة وهو في حالة شديدة
من الغضب والاستياء وجمع زعماء القبيلة واخبرهم بما دار
بينه وبين الخليفة ونية الخليفة بارسال جيش محمود . وكان
هذا كافيا ليقنعهم بضرورة العصيان على المهدية والانضمام
الى الجيوش الغازية . وبهذا فان عبدالله سعد كتب خطابين
احدهما معنون الى السردار ووصل الى جنرال رندل في مروي
٢٤ يونيو سنة ١٢٩٧ هـ ^{١٢٩٥ هـ} ^{٢٤ محرم ١٢٩٥ هـ} اعلن فيه عبدالله ولائه للحكومة
المصرية وطلب فيه اسعافهم ببعض الامدادات بالجيوش
ان امكن او السلاح وانتهى بقوله انه ان اتتهم مساعدة
او لم تاتهم فانهم «معمون على مقاطعة جيش المهدية»
والدفاع عن المتعة حتى الصوت باما الخطاب الثاني فقد كان
معنوا الى الخليفة يتحداه فيه ويعلمه فيه بالتحديان
الى اخر القصة التي اوردها شرشل والتي تعود توجهه لها هنا :-

((وطد الخليفة عبدالله عزمه على ارسال جيش كردفان للاستيلاء على الممتعة ومن ثم يجبر قبيلة الجميليين للخضوع أو يدفعها دفعا الى العصيان والثورة من قبل ان عمل الجيش المصرية وتتفكك من مديد المساعدة . واستدعى الخليفة زعيم الجميليين عبدالله ودسعد الى ادرمان وقال له ان الترك يهددون ارض الجميليين بوانفسه حيا في الخير لهم لانهم من انصار المهدي وانهم من المسلمين الصادقين فانه يجب الدفاع عنهم من اعدائهم الترك الغزاة . واحنى زعيم الجميليين رأسه موافقا لماضاف للخليفة قائلا ان محمودا وجهشه سيتم ارسالهم الى العتقة لهذا الغرض ، وان عبدالله يمكنه ان يثبت ولاه بتجهيز المؤن والاقسامه لهم ثم اشار الخليفة بنهاية المقابلة . ولكن زعيم الجميليين كانت عنده الجرأة التي تمكنه من الاحتجاج فاكد للخليفة ولا . ومقدرة قسبيته على صد اعدائها ، ورجاء الا يثقل عليهم بغرض جيش ليقسم في منطقتهم بالغ في وصف سوء الحالة في الممتعة وجور الزمان عليها ، ثم طلب العفو من الخليفة لانه تجرأ بمثل ذلك الاحتجاج . وتملك الخليفة الغضب حتى اخرجه من وقاره ولم يستطع كبح عواطفه فشرع في حديث طويل مسمى قال فيه انه ظل يتشكك في ولاه عبدالله منذ امد بعيد ، وانه يستحق المسوت المشين ، وان قبيلته وصفا في جبين هذه الارض وانه يرجو ان يصلهم محمود ليؤدبهم ويؤدب نساءهم . وانسحب عبدالله من مجلس الخليفة وهو يتهيز غيظا ورجع الى العتقة .

وسعد ان جمع شيخ قبيله اخبرهم بما حدث له ونواييسا
الخليفه . ولم يكونوا بحاجة لتخريفهم بأن نزول جيش محمود بالتمتة
كان معنى التسليم عليهم ونهب ممتلكاتهم ، وخراب بيوتهم واغتصاب
نساءهم . وانطلقوا على العصيان والانضمام الى القوات المصرية .^(١)

والرواية الثانية في سبب عصيان عداله وسعد يرويهـا
اهل المنطقة نفسها وفيها كثير من مساوطة ابعاد التهمة والخطا
من عداله وسعد و اظهار الخليفه بالرغبة في التشفى وسؤاليه
واستعمال كثير من اساليب الدكتاتورية " ومساوطة رمى كل الخطا
والتهمه عليه فيقولون ان الخليفه استدى عدالله وسعد الى
ام درمان وكان ينوى ان يقتله بدس السم له في " الكبد التيمه " .
مظان فعل مع اخيه علي وسعد من قبل ، ولكن كانت هناك صداقة
حميمة بين عدالله وسعد وبين عثمان شيخ الدين ابن الخليفه عداله
حتمت على شيخ الدين هذا باخطار عداله سعد بالمؤامرة وساعده
في الهروب الى التمتة ليملا بعددما وصل عداله الى اهله اخبرهم
بما حدث له " فعرضوا " معه واملنوا عصيانهم على المهدية
ويتفق مع هذه الرواية مارواه ابراهيم فوزي باشا في " ذكر موت
الحاج علي سعد " حول قصة قتل علي سعد بدس السم له (٢) كذلك
رواية أهالي المنطقة هذه يتفق معها يوسف ميخائيل في مسألة الهروب
مع انه يختلف معهم في ان الذي ساعده عداله وسعد في الهروب
هو يعقوب اخو الخليفه بعد ان رشاه ببلغ من المال : (٣)
وفي الروايتين المذكورتين نقطة لابد من مناقشتها وهي ان خروج
عداله وسعد في كلا الروايتين فيه ملحد منو الخليفه

W.S. Churchill : Op.cit. P.P. 187-8. (١)

See Appendix B 3

(٢) ابراهيم فوزي باشا : السودان بين يدي غردون وكشعر مطبعة المؤيد

حرس سنة ١٣١١ هـ الجزء الثاني ص ٢١٤ .

انظر النص الكامل في Appendix B, 4

(٣) مخطوطة يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية ١١٢٤ ص ١٠٤

" مسألة التمتة : انظر النص : Appendix B 5 .

للريبة في امره وجعله حذرا من صاحبه وكل ذلك يغرض على الخليفة ان يحذر جيشه الذهاب الى الشال قبل ان يصل العتمة وان يمسده بالاسلحة ويجعله مستعدا لكل الاحتمالات ففي الرواية الاولى خرج عبدالله سعد متسلحا من مجلس الخليفة وذهب للعتمة وهو في حالة شديده من الغضب اما في الثانية فانه خرج هاربا بالليل وبمساعدة ابن الخليفة نفسه ولكن مع كل ما يدعى الى الريبة فاننا نجد الجيش الخليفة قد ترك ام درمان وتوجه الى العتمة وهو في غاية الاطمئنان والاسترخاء غير متوقع لاي شئ من جهة عبدالله سعد فقائده محصور ما زال يكسرى عندما وصلوا الى البهوسى قريبا من العتمة ولم تكن معهم الذخيرة الكافية فندما علموا بخبر صبيان عبدالله ودسعد .

والرواية الثالثة هي رواية تعبر شقير التي يقول فيها " . . . هذا وكان الخليفة لما علم بانهمزام ودبشساره من دنقلا استندى اليه عبدالله ودسعد امير الجعليين وفرض عليه عددا معلوما من اهلك يستغفرهم للجهاد وقدر معيناً من المؤونة يقدمها للجيش المنوى ارساله الى العتمة فشق الطالب على عبدالله ودسعد وقد طالما ارهقه الخليفة من قبل فعقد اليه على عيانه ولكنه اظهر الطاعة وعاد الى العتمة فجمع كبار قومه واسر اليهم مائتين فبن وافقه منه الى جيشه ومن لم يوافقهم استجلفه على كتم السر فاجتمع اليه نحو ٣٠٠ رجلا من اهلك الاذنين وارسل في طلب المدد من جيش الحكومة في نقله وكان له عدو من اهلك يدعى احمد ودحجزه

والرواية الرابعة هي التي يوردها هولت والتي يذكر فيها ان الخليفة ومجلسه استقر رأيهم على ارسال جيش ليبحث في العتمة التي تلتقى عندها الطرق الخارجة من الصحراء مع النمل . وهذا البلد هو عاصمة قبائل الجميليين الذين كان الخليفة يشك في ولائهم له . وبعد التشاور مع زعيمهم عبدالله سعد فرج اصدر الخليفة امرا الى اهالي العتمة بان يحزموا امتعتهم ويرحلوا الى اى جهة يخطرونها في الشرق (١) وقد قرر عبدالله وسعد واعالي العتمة معارضة هذا الامر . وقد وصلت اخبار عصيانهم الى محمود في يوم ٢٢ محرم وفي اليوم التالي وصل رسولان من عبدالله سعد الى مروي يطلبان من جيش كثر اسعافهم بالسلاح

قرر الخليفة عبدالله واعوانه - بتنا على تجربتهم السابقة مع حملة انتقال غردون في عام ١٨٨٤ - ٨٥ هـ (١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ) ارسال قوات محمود لتعسكر في العتمة حيث تتصل الطرق الواردة من دنقلا عبر الصحراء عن طريق جقدول وطريق ابو طليح مع النيل . وهذه المدينة على اى حال هي عاصمة قبائل الجميليين الذين يشك عبدالله في ولائهم . وبعد مداولة مع زعيمهم عبدالله سعد فرج اصدر الخليفة امرا الى اهالي العتمة بان يتحولوا جميعهم ومعهم كل ما يمكن حمله من امتعتهم الى اى جهة يختارونها على الضفة الشرقية .

P.M.Holt: A Calendar of the Correspondence etc Op.cit., P.9 (١)

يورد هذا النص متوجها الى اللغة الانجليزية . . ارجع اليه

كما اورده " هولت " في : Appendix B.6

وعندما ووجه بهذا الامر قرر عبدالله سمعد
 واهاليه العصيان والحرب * ووصلت الاخبار الى محمود
 في يوم ٢٢ محرم سنة ١٢١٥ (٢٣ يونيو سنة ١٨٦٧) وفي
 اليوم التالي وصل اثنان من رسل عبدالله سمعد الى مروى
 ووضعوا بين يدي كتشتر طلب زعيمهم امداده بالاسلح
 والعون والرجال ان امكن ذلك لمساعدتهم في ثورتهم على
 المهدي * * (١)

تجمع الروايات كلها على ان الخليفة عبدالله
 استقدم عبدالله ودسمعد زعم الجعليين الى امدردان وتناور
 معه حول امر مرور جيش محمود بالفتنة ولم يتفقا في
 الرأي * وقد ادى ذلك الى عصم عبدالله سمعد وك العصيان
 وليس هناك شيء مدون عن مصادره بين الخليفة وعبدالله
 ودسمعد في تلك المقابلة في امدردان فاختلقت الروايات
 فيها فالبعض نظر الى قصة الملك نصر مع ^{الشيخ} اسماعيل ^{بن مسعود} التميمي
 التي حدثت في نفس المنطقة وصاغ رواية قسرية التأثر
 بوثائقها * والبعض الاخر اعتمد على القصة التي تسري
 من بطش الخليفة ببعض من كانوا يخالفونه الرأي والطرق
 التي كان يستعملها في التخلص منهم وصاغ رواية على منوالها *
 ولم تساعد الروايات الشعبية كثيرا فقول عبدالله ودسمعد
 خارقان قسوة نصر من سندي "يوردها بعض الرواة على اساس
 ان عبدالله قالها ليبرر بها عصيانه على الخليفة وعصمته
 على مقابلة جيش محمود بدلا من ان يترك له الفتنة وفي هذا تأكيد
 للرواية التي تقول ان الخليفة في مقابلة مع عبدالله ودسمعد
 كان قد طلب منه ان يرحل باهله عن الفتنة *

ولكن نفس القول يسرده بعض الرواة وعلى أساس ان عدالة
 ودسعد قتاله ليس قبل العصيان ولكنه بعده وبعد ان قامت
 الحرب بينه وبين محمود وبعد أن تساكد لاصطاب عدالة
 ودسعد انهم هالكون وأثاروا عليه بالفرار فعقد المقابلة
 بين فراره من وجه محمود وبين فرار الكفرة من وجهه
 الدنتردار من قبل . الأرجح ان يكون الخليفة في تلك العقابلة
 مع عدالة ودسعد قد اوضح له انه ينوي ان يرسل جيش محمود
 ليحسرك في التمتع وامره كط امراؤه على من قبل
 ايمان حملة النجوم بان يجمع شبان الجميلين وينضموا
 الى جيش محمود اما النساء والعجزة فيبعدهم عن طريق
 الجيش . وقد كان هذا الامر سهلا ، نسبيا - للقبائل
 الرعيية التي مر على جهاتها جيش محمود في مسيرته
 الاولى من الغرب الى اذربايجان فقد اعتادت تلك القبائل
 على الرحيل وسار جزء من حياتها دائما بالنسبة للقبائل
 الزراعية في النيل فان ذلك يعني خراب ديارها كما ان فان
 اخذ الشبان للجيش كان يعني خراب السواقي والعمارة
 والزراعة . رجع عدالة بهذه الاوامر الى المتعة وتشاور
 مع اهله فيها فاشاروا عليه بعدم اطاعتها واستعدوا
 للوقوف ضدها فكتبوا الى جميع فروع القبائل الجميلين
 يستفرونها على العصيان " انه قد اتفقت كلقة الامل
 بقسمي المتعة والزيداب على حطية العروني كالنساء والاولاد
 من ام كواك واشقر الدار واه يلزمكم الحضور بكافة رجالكم
 او تحاموا على نفسك بمحلكم لحقن الدمسوم " (١)

(١) مبهنية ١/٨/١/١/٣ من محمود الى الخليفة بتسايفخ

وكان عبدالله ودسعد يأمل في ان يصله بعض الامدادات من جيش كشنو وتجتمع عليه قبائل الجعليين قبل ان يصله محمود ويكون بذلك في منعه وقوة تمكنه من صد اي هجوم على المتعة ، ولكن قائد حامية جيش كشنو في دنقلا " رندل " والذي وصله رسل عبدالله ودسعد تردد كثيرا قبل ان يرسل الامدادات ولذلك فسانها لم تصل الى المتعة في الوقت المناسب (١) " . . . هذا وبعد قتل ولد سعد وبيد مكاتبات في جيب جبهه وارده اليه من رسله الذين ارسلهم لدنقلا تفيد ان الكفرة شاكين في امره ومثلهم عربان الحسانه " . . . (٢) ولم تجتمع القبائل على عبدالله كما كان يتوقع " . . . الشاع انه لم يحضر اليه احد لا من العربان ولا من الكفرة وان اهالي الجبهات بالنظر لخوفهم على اولادهم وتعلقاتهم لم يأتى لهم الاجتماع عليه ولاننا ايضا ان الحركة خاصة بجبهه والله اعلم " . . . (٣) ولهذا فان عبدالله ودسعد وجد نفسه يقف مع عدد قليل من اهله - حوالي ٢/٥٠٠ مقاتل ومعهم ثمانين بندقية كما يذكر تشرشل (٤) وذلك في مواجهة جيش محمود . ورتب عبدالله ودسعد جماعته في داخل حيطان المتعة وركز كلهم على الجبهة الجنوبيه منها حيث كان يتوقع هجوم محمود من تلك الناحية فوضع هناك حملة الاسلحة النظرة ومعهم كثير من الرجال الاشداء وترك الجبهات الاخرى فيها القليل من حملة السيوف والفؤوس والرماح وغير ذلك من الاسلحة

(١) حارب كثير من المؤرخين امثال تشرشل ونعوم شقير وغيرهم ممن كتبوا عن حملة كشنو ان يبعدوا تهمة التردد عن رندل ولكن ما اورده محمود من وجود خطابات في جيب عبدالله سعد تفيد شكك رندل في الحركة يتضح انه لابد ان يكون قد تردد قبل ارسال تلك الامدادات .

(٢) مهيدي ١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بطريق غلابة محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهيدي ٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بطريق ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ .

(٤) W.S. Churchill : The River War Op. cit, P. 188

الخليفة الاخرى ولكن في خطاب من محمود الى الخليفة يصف فيه الحالة التي حارب بها عبدالله ودسعد يقول محمود ان عبدالله لم يرتب جماعته ترتيباً عسكرياً " بل كان كل واحد منهم يحارب بمفرده " قبل ان ذلك اتباعاً للكلام احد علماءهم حيث قال لهم بانكم اذا متم محامين على نسائكم وذرايكم فانتم الشهداء حقاً (١) ولكن في موضع اخر من نفس الخطاب يذكر محمود " . . . وبيوم الخميس صباحاً استعدينا وتوجهنا نحو البلد ولدي وصولنا بادرونا بضرب الاسلحة النارية من وراء الجدران لأن المخدول ولد سعد عمل البلد كلها مزاويل " (٢) ما يدل على انه كان هناك نوع من الاستعداد العسكري والتدبير ولم يحارب كل واحد بمفرده كما قال محمود ولكن بعد ان هجم محمود بجيشه الذي كان يفوقهم عدد وعدة انحل نظامهم وحاروا يحاربون بالطريقة التي وصفها محمود كل واحد منهم بمفرده داخل البيوت والحيشان (٣) بدأ هجوم محمود من جهة الجنوب كما توقعه عبدالله سعد وقد تمكن حصة الاسلحة النارية من ضرب بعض رجال محمود وقتلهم ولكن تكاثرت عليهم الاعداد فانهزموا الى داخل العنازل فقتلهم رجال محمود قتلاً حتى قضوا عليهم وبينهم عبدالله ودسعد نفسه ووصف محمود الواقعة في خطاب ارسله الى الخليفة يقول فيه " نبدى سيدى ما صارت به النفوس مستهشرة وتتوالى نبرة الدين وثفتت الاشارة في الفتنة وتبدلت سعادة المخدول ولد سعد شقاراً وهزه ذلاً حيث اهلكه الله بسوء فعله واتقلب

(١) مهدية ٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ غسالية

محرم سنة ١٢١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) وصف لى الواقعة الشيخ عبدالكريم الفاضل وهو من اهالى الدامر ولكنه " عرس " مع عبدالله ودسعد وحضر معه واةفة الفتنة فقال انهم ابعدوا النساء بعيداً عن مكان المحاصي " واستعدوا استعداداً حريماً لمقابلة جيش محمود .

مع الهالك عبدالله سعد ٥٥٠ هذا ولم يحصل للاصحاب بفضل
الله اقل ضرر ما عدا قتلهم فبازوا بالشهادة ومثلهم
مجروحين والجميع من سائر الاصحاب ليس فيهم احد ممن
الاعيان * وراس المخلول عبدالله سعد * ارق قطعة وارسله
مع حاملين البوسطة * (١)

وقد كانت نتيجة الموقعة مجزة كبيرة مات فيهما
عدد كبير من رجال الممتعة تدرعهم عموم شقيق باكثر من
الالفين (٢) اما الذين ماتوا من جيش محمود في الموقعة فقد
بلغ عددهم ٥٠ من اولاد العرب و٣٨ من الجهادية وجرح ١٤٧
من اولاد العرب و١٨٣ من الجهادية ومن الخيول مات ١٧ حصان
وجرح منها ٥ خيول حسب ما ورد في الكشف الذي ارسله
محمود الى الخليفة (٣) وهناك ستة من الاعيان ممن ماتوا
ولحق بهم بعد يوم من المعركة احد اولاد الجيش العدوي
خالد وهناك خمسة فقط من الاعيان من بين المجاييع * ويدوا
من تفاصيل الكشف المذكور ان الارباع التي تحطت على
المعركة في ربيع محمد ولد على ربيع على السنوس ربيع البشاري
ريده اذ مات من الريح الاول ٢٦ شخصا وجرح ٥٧ والثاني
مات منه ١٦ شخصا وجرح ١٧ اما الثالث مات منه ١٥ شخصا
وجرح ٣٧ *

(١) مبدية ٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ غداية
محرم سنة ١٢١٥ *

(٢) عموم شقيق : جفرانيه وتاريخ السودان ص ١٢٢٥ *

(٣) انظر الكشف : مبدية ٥/١/٨/١ من محمود

الى الخليفة بتاريخ ٧ صفر سنة ١٢١٥ *

وقد انتهت معركة العتمة في مدة وجيزة جداً يبالغ محمود في تدميرها فيقول أنها انتهت في " ثلث ربح ساعة أو أقل " . مما يدل على أن محموداً كان قد استعد لها استعداداً شديداً وجهز جيشه لها من كل الفواحي وأنه كان يتخاف من أن يكون عداله سعد قد دبر له مكيدة " . أن عداله سعد وإن كانت حركته ضعيفة لكن الحسبة من أن يكون له مكر وخداع لم يدرك عندئذ " (١) فحزم أمر جيشه لمقابلة كل الاحتفالات .

ولكن بالرغم من أن محموداً كان شديداً الحذر على تجهيز جيشه من ناحية العدد والمدة إلا أنه لم يبذل كبير جهد في حزمه من ناحية الضبط والرياسة ولهذا نجده يقابل كثيراً من الطامع من أفراد الجيش بعد واقعة العتمة ، والاضرار التي لحقت بها هؤلاء الأفراد بعد الواقعة اسراً وأبديت أثاراً مما حدث في المعركة نفسها . فلم يستطع محمود أن يمنعهم من التعدي على الأهالي ، ولم يستطع أن يأخذ منهم حقوق بيت المال من الغنائم ، ولا أن يمنعهم من خراب الجبهة كلها بفبالرفم من مطولاه المتكررة ومجهودات أمراء الأرباع ومشهورات الخليفة فقد تعاودوا في تعديهم على أهالي الجبهة شرقاً وغرباً ، وعلى عدم الظهور ما هو مفيد من الغنائم وأخذوا إلى أم درمان أو كردفان أن وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، وحرروهم عن الأرباع حتى وصلت بهم الحال درجة

(١) مبدية ٢/١/٨/١ من محمود إلى الخليفة بتاريخ

شعر فيها محمود نفسه بعدم الارتياح ، فكتب بالشكرى
الى الخليفة : " تهدي يدي ان يمدكم منذ تمهيد...
لهذا الجيش سنة ١٣٠٨ فهو يقاسى من احواله امر شيب
النواصى وتذيب الرواسى نارة من عدم الرضا بالحكم وتارة
من عدم الشهرة فى مجاز الامر رطارة بعدم سماع النواصى
وارتكاب ما لا يرضاه الله ويسوله حتى ان الاغلب منهم
يرتكب ما يحرم شرر فعله عليه فى نفسه مع الضرر
فى امر الدين الذى لا يرضى بآدى خدشه فيه كما يعلم
رب العالمين ومع كل هذه الاحوال فانتا ساكتين وللصبر
ملازمين وللمرارة عدم المساعدة والموافقة متجرعين اذ كل
هذه المدة لم ترفع بان فلاننا خلفنى ولا فلاننا ارتكب
المخطىء الفلانى الى ان ادى ذلك الى تسيه التصدير
منى ٠٠ والخالقة هذه خشييت على نفسى حيث ان ما سبق
من الموعظة الى والتذكير فى عدم رفع الاحوال اذا حصل
منى السكوت الان وتترتب عليه اذى خلل او تشييل
فى الدين اكون مسئولا عنه فى الدنيا والاخرة وحقيقة
العاقل من يستمر فى ... الامعة نفسه بالبدار قبل ان
تحتوشه الموقنات فى هذه الدار فلذا انجبروت وحسرت
هذا وان اقم رجلا وارآخر اخرى لعدم سبق مثله منى
وذلك الذى جعلنى ان هذه الجهة لم تكن كجبهات الغرب
لا فى ارضها ولا فى اهاليها وسمعنا غير مرة بل تكسرت
الامصر الرسمية بظمن اهاليها فبعد واقعة الهالك هذا الله
بعد امناهم وحررت لهم ما يفسد عدم مواخذة أى أحد
منهم الا من كان مع الهالك المذكور فتراجعوا اغلبهم فطالكان من

الاحباب الا خروجهم ثلة بعد ثلة مشاة وركبانا غربا وشرقا
 حتى اتوا عليها وجعلوها حميدا كان لم يفتن بالامس
 حيث اخذوا البهائم وقتلوا وجرحوا كثيرا من الرجال واستولوا
 على النساء بعنفات منكرة يفتن عنها الطبع ويحرمها الشرع
 نحو اخذها لتحمل الباء على رأسها لسقياية الحصان أو حمل
 الغلال مع ان البحر قريب ولا هناك داعي لهذا الامر سوى
 محض الخلاف للأوامر ثم مع هذا كبرنا لهم التنبه بان
 يجتمعوا ويتركوا هذه الامور وكاننا امرناهم بها اذ لم
 يزالوا بالجهات ٥٥٠ ثم ان ذات غلظ المنة لم يرضوا
 باخراجها مع التنبه لهم بعد ورد ارشاداتكم لعموم الجيش
 تلونها عليهم وسعدهم فردا فردا فكانها زادتهم حرصا
 عليها وقد اجتمعت الحملة فيهم " (١) وقد وصلت شكاوى
 كثيرة جدا للخليفة عن سلوك جيش محمود بتلك الجهات
 بعد واقعة المنة فيكتب لمحمود في ٢٤ صفر " فنعلمك ان
 هذا الامر لا يخفان انه الدين وان القصد فيه بوجه الله
 سيطانه وقد بلننا ان بعض من معكم من خلو راسهم يقولوا
 لاهل الجهة ان تلس الزير بالبطارة فعلوا بدارنا كذلك ونحن
 الان نفعل بجهتهم وهذا امر لا يصدر من عاقل اذ ان هذا
 هو الامر الذي اتى عليه العهد المنتظر وهو السديس
 الذي لا هواد فيه فافتكر لذلك وانه اصطب خفة الراس من
 الظفر الذي لا يلوحي بالعقل وذكرهم بوجه الدين والسلام " (٢)

(١) مبدية ٣٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ليلة
 ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مبدية ٩٢/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ
 ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

وكذلك يصل الى الخليفة " ان الجيش الذي بالشحسر
تحت قيادة العكرم فضل المسك فعند حضوره بل من قبل
وصوله تراكت الشكوى من اهالى الجهة في تعديه عليهم
ياخذ اموالهم وتعلقاتهم يضرب البعض بالرماح حتى صارت
كالجهة الغربية في الخراب " (١) وفي امر الفخيم ونسائه
المتعة يكتب الخليفة لعسود " ففعلك ان الاهتمام بامر
المدين مطلوب وواجب والمهاونة لا تليق بمن يقصد سلامته
عند الله وان من الامور احاطت خلاص الذمة فيها والاعتناء
بشأنها الغنائم وهي مما انزل الله سبحانه الوعد في غلوعها
وان مسألة النساء خصوصا من اهم العبادات وكان اول انتباه
امر المتعة ورد ملك الطلب في الواوير بقصد ارسال
النساء الغنائم لما رأيتهم من حصول الحزم في ذلك
والسلامة ولتقصد حصول السلامة اجبتك وارسلنا
الواوير لأن المذكورات اذا حضرن حفظ لا يدان يجرى فيهم
ما يوافق الصلحة الدينية والاوجه السديده والان من توجه
الواوير مضت له مدة حتى دخل الخريف وكان القصد من
الحال في امر النساء والان على ما هو متبالغ ان بعض النساء
حضرن بيد بعض نساء لهذا الطرف والبعض بيد الجهادية
واما الفخيم الاخر مثل الامتعة والرقائق والجمال وغيرها
فقد تفرقت بالجهات وكل ذلك لا يوافق ولا يليق التهاون
به خصوصا النساء الحارير امسوهن مهم وقصد رأيت
النتائج التي حصلت في مدة العهدى عليه السلام

(١) مبدية ٤٠/١/٨/١ من حدود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع

اول سنة ١٣١٤ هـ

فهو رأيتنا مكثا جدي من حرة مطلقا او بلفك ان
الاسام العبدى اجاز ذلك لان المذكورات وان كن غنائم
فلمعن الحرمة وتفسيرقهن لا يكون الا بالاوجه التي
توافق مصلحة الدين . . ما عطف النساء المذكورات
والغنائم التي شئت بالجنات أهل آخرت منها الخمس
واذنت بتفسيرقها قبل ان ترد لك اشارة بذلك ولم يحصل
منك استقهام ام ذلك لاعلم لك به ام ذلك حاصل
من المذكورين على وجه الغلول والسرقة . " (١) وكان
الخليفه قد ارشده محمودا في امر الغنائم من اول
هله بعد واقعة التمهة " فتملك حيث ان الله
سبحانه يفضله قد ايد الدين وخذل المتافقسين
فينبغي منكم ان تجتهد كل الاجتهاد في حزم امور
الغنائم والاعتكاف لما به يكون توام الدين في المستقبل
ومن اهم ذلك العيوش فانها تضيع فانكسر لها واجمعها
هي وكافة الزوامل من جمال وخيول وحمر وخلافها
وكذلك العبيد المذكور اجمعها فانكم اذا ما فتكرتم في
جمع ذلك من بديرى لابد يضيع في يد الاصحاب فانهم
ذلك وحذر الاصحاب جهديك من الغنائم والنصوص الزوامل . " (٢)

ولكن رغم كل الارشادات والتحذير

من الخليفه لمحمود والذين معه فان مسألة الغنائم
والغلول فيها من جانب افراد الجيش قد صارت من الامور
التي اتعت محمود تعبنا شديدا هو التي اتعت اهالي
تلك المنطقة التحب الحقيقي بعد واقعة التمهة لان اثرها
هم المنطقة كلها شرقا وغربا وقد كانت المنطقة فقيرة

(١) مبدية ١/٢٨/٤٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٥ ربيع
اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مبدية ١/٢٨/٤٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٤ صفر
سنة ١٣١٥ .

بتأجيلها فزادوها جديداً باخذ ما وجدوه فيها ، وكان عدد الجيش كبيراً جداً والمؤمن التي تحصله من أهدرمان تكاد تكون معدومة فاعتمد في مؤونته على المنطقة فاثقل بذلك على الأهالي ، وكان أفراد الجيش يأخذون كل ما تقع عليه العين فاشاعوا الفوضى ومع السلب والنهب مورغم ان محموداً كان يحتاج للايقار التي كسبت بعد الموقعة ليحمر بها السواقى لتوفير المؤن ، إلا ان أفراد الجيش كانوا مشغولين بكسبها وارسالها الى أهدرمان او الى كردفان او الاحتفاظ بها وهم اظهروا حتى تنأى الفرصة المناسبة " نهدى سيدى ان رافعه قطية هذا الغنى مرسل من ابايقار الفخيم التي وجدت بايدى الاصحاب لدى قيامنا من المتعة نحو بومر وهي السف راس ابقار " (١) " سيدى ان الجيش الذى مع داعيكم هو شئ وافر بحمد الله تعالى وهذه الجهة لا تفر ببعض المؤمنين اللازمه له فضلاً عن وفائها بها كلها وخصراً ما قبل بان القشون اللازمه للخسبول وللبهايم وغيرها ما لم تنعم السواقى وتدير لايتأتى الحصول على شئ منها على ان كافة ابقار الجهة صارت بيد الاصحاب واذا ارسلنا الابقار صارت الجهة خالية عنها وعن ساقية واحده ويحصل التلف للخسبول فيما بعد " (٢) وكتب الخليفة مشيراً عاماً الى الانصار فى شؤون الفخيم ويحذروهم من الغلو فى امرها ليتنبهوا لامر الجهاد ، وقاله محمود على الارباع جميعها ربيعاً " سيدى ان امرم الكرم العزيز له ٨ الجارى العظمى انه بالنظر لقصد امتداد نصرة الدين وطا معلم من شئون الفخيم تحرر للاصحاب منشور بخصوصها واشير بتلاوه عليهم والعمل بموجبه تشرفنا

(١) مهدية ١/٨/١/١/١٠٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١/١٠٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٥ .

بسرورده وطيه المنشور الكريم المحكى عنه وقد صار موقعه
كموقع البرد من السقيم والما البارد من الظمان لانه منذ
دخولنا بالمتعة فنجح في معاناة الاصحاب بخروج الغنائم
والخصية منها ظاهراً وادخلاً طلباً للسلامة ولم يحصل منهم
اسعاف ٠٠ (١) كل هذا ادى الى خراب تلك المنطقة مما كان
له اسوأ الاثر في نفوس النجالي وزعمتهم .

شئ آخر دلت بهذا الخراب وهذه الزعمية
ما ترك اشراً شيئاً بقى حتى بعد المعركة وهو مسألة نساء المتعة ،
وقد كانت هذه مسألة فيها كثير من الحساسية بالنسبة لمحمود ،
فقد ارسل للخليفة بعد الجامعة يقول " سيدى اما النساء الاحرار
فان داعيكم عازم على اخراج الخمس منها وارساله لدى حضور الوابور
والاربعة اخطاى من النساء الحارير كذلك نرسلها بانكاملها لان تاخيرها
هنا لا شرة فيه ٠٠ (٢) وعيه فهو ينتظر وصول الوابور^(٣) لارسالهن
بدون انطاعة وعان حالة عبادة مع انسان امين نرفقه مع من يحضر
من صوكم الكرم كما الاشارة الكريمة وكذا طيات الهالك عدالله
سعد جميعها سترسل بدون تاخير شئ منها كما اشير ان شاء الله ٠ (٣)
وبعد ذلك ارسل الخليفة الوابور الى محمود حسب طلبه وكتب له
" فتعلمك ان الوابور هاهو باصل اليك على حسب الطلب وفيه كل من
يحطان الامين وابراهيم القصير وبعد حوّلها اليك فالشئ الخائن
من نساء الخس اليكن عند يحان وباقي الخس غير الخاص والنساء
الاخر اليكونا عند ابراهيم لقصير مع الامين الذى يتعين منكم وعلى
كل حال فليكن ارسال المذكورات على وجه الادعاء والستر بلا اشاعة والسلام (٤)

(١) مهيدي ١٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥

(٢) مهيدي ١١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٥ " الاشبه

(٣) مهيدي ١٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥

(٤) مهيدي ٢٦/٤/٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٣ صفر سنة ١٣١٥

وكان المفروض ان يرسل محمود النساء
 فد الوابر بعد أن وصل اليه ولكنه يكتب للخليفة في ليلة
 ٢٤ صفر يشكو من سلوك الانتصار الذين معه ومن
 خواصهم للجهة ومن تعذيبه على النساء فيقول " حيث أخذوا
 البهائم وقتلوا وجرحوا كاهنا من الرجال واستولوا على النساء
 بصفات منكرا ينفر عنها الطبع وحررها الشرع نحو أخذها
 لتحمل الماء على رأسها لتقاية الحصان أو حمل الغلال
 مع ان البحر قريب ولا هناك داء لهذا الامر سوى مضي الخلاف
 للأوامر " (١) وقد حضر محمود النساء استعدادا لارسالهن
 لام دربان بالوابر ويتفح من الكشف الذي ارسله ان العدد
 ليس قليلا " ندى سبدي ان الكشف مرفوعه يحتوى على
 اثنين وثلاثين بنت جيسها ابكار وهي خمس الخمس من نساء
 الغليم بواقعة الفتنة رند سلطنتهم الى ريجان الاصل ٠٠ " (٢)
 هذا من النساء الحواير الابكار فقط اما السراري فانه يذكر :-
 " ان رقم الغليم الذي وقع بين الاصحاب في واقعة الفتنة
 هذه قد صار حصره ثم صار اخراج الخن منه وبلغ قدره
 مايتسان اربعة وثلاثون خادما وجميعها سلطنتها لراثة
 صدالة ادم لوصولها لمحل لزومها ٠٠ " (٣) هذا بالاضافة الى النساء
 كبيرات السن وقد بلغ عدد من كذا يذكر محمود " زيادة من الستانية
 حرمه كبيره بخلاف الاقلان " (٤) فيكون عدد النساء حسب هذه
 الكشفات حوالي ٢/٥٧٠ امرأة تقريبا بخلاف الاطفال ونسبهم
 محمود على مجموعات لارسال بعضهم رأيت البعث " ندى

(١) مهيدي ٣٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ليلة ٢٤ صفر
 سنة ١٣١٥ .

(٢) مهيدي ١/٨/١/١/٣١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٨ صفر
 سنة ١٣١٥ .

(٣) مهيدي ٢/٣١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩
 صفر سنة ١٣١٥ .

(٤) مهيدي ٣/٣١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩
 صفر سنة ١٣١٥ .

« سيدي ان حريميات المتمة بعد حصول الواقعة وهلاك
المحاربين قد صار جمعهم وحصر ما يخص عليهم ولم ندع
منهم شيئا الا التي لا رُب للرجال فيها ثم صار اخراج
الخص منها وهو الذي رسل والحالة هذه بالسواهر وصار
الباقى من الحريمات لانفع منه ولا رغبة للاصحاب فيهن
لانهن لا يتقدرون على الخدمة بل ولا على الحركة الى اقرب
محل وكافة الاصحاب متعددين على التاهل بالحريمات اللواتي يتعم
بخدمة الرجال وراحتهم اما يجب ولهذا ولما حصل لهن من
التعب وموت البعض منهن فبعد مشورة الاخوان واتفاقهم على
ان تسلمهن لبعض اهاليهن بالضمان لغاية رفع الامر لاصولكم
وانتظار الاشارة فيهن وعلى ذلك فقد سلمناهم الى علي
محمد طي الله من اهالي المتمة والعذر كان حرمنا من
التيمة وهو من الجهليين العبوداب وشرطنا عليه بفضولهم
امانة لغاية رفع الامر الى خليفة المهدي (١) وقد اقام
على محمد طي الله المذكور بالنساء يشاطرن البحر في انتظار
الاشارة من الخليفة ليجري العمل بمقتضاها فيما يفعل بهن .
ويتضح مما آتته محمود الى الخليفة ان اسر
النساء قد حسم محمود ولم يترك اى ثرة فيه ، ولكن
الامر ليس كما ذكر محمود ذائنا نجد الخليفة يكتب لمحمود
في ٥ ربيع اول سنة ١٢١٥ معاتبا اياه على عدم صيانة
النساء الحرراير بعد واقعة المتمة ويتهم بالاهمال

(١) تفصّل المصدر السابق .

فى امرهن مما يتتافى وأمر المسدين " ٠٠٠ "
 وأن مسألة النساء - خصوصا من أهم المعضات وكان أول
 انشائها أمر العتمة ورد منك لنا الطلب فى السوابير
 لقصد إرسال النساء الغنائم لما رأيته من حصول
 الحزم فى ذلك والسلامة ولقصد حصول السلامة
 قد أجهشاك وأرسلنا الوابى ٠٠٠٠ ولان من شوجه
 السوابير مضت مدة حتى دخل الخريف وكان القصد
 ستر الحال فى أمر النساء ولان على ما هو متبالح أن
 بعض النساء حضرن مع بعض ثلثات لهذا الطرف والبعض
 بيد الجهادية ٠٠ وكل ذلك لا يوافق ٠٠ (١) وهذا يدل
 على أن الأمر لم يحسم الطريقة التى أداها محمود بل أن
 محموداً نفسه يتشرف بأن بعض الانتصار قد عاملوا النساء
 معاملة " ينفر عنها الطبع وحرمها الشرع " حتى أن البعض
 منهم - على حسب بعض الرايات (٢) فضلن الانتظار برمى
 أنفسهن فى البحر وكن بالرغم من وجود بعض

(١) مهيده ١/٢٨/٤٧. من الخليفة الى محمود بتاريخ ٥ ربيع
 أول سنة ١٣١٥ .

(٢) هناك رواية يتماثلها الناس حتى اليوم تقول بأن نساء العتمة
 وخصوصا الفتيات منهم قد رعين باغنسهن فى النيل ومات
 كثير منهم غرقا - راجع حرم شقير جغرافية وتاريخ السودان
 ص ١٢٢٥ عن واقعة العتمة أن يذكر فيها انتحار الفتيات بهذه
 الطريقة - ونعتقد أن ٥.٥ الرأية فيها بعض المبالغة فالانتحار
 شئ غير مألوف بين السودانيين بل هو شئ
 ينفرون منه . ثم أن الأعداد التى أرسلها محمود الى الخليفة
 بكشوفاته كانت كبيرة حوالى ٢/٥٧٠ امرأة .

الشفرات وبعض الاخطاء فوامر نساء العتمة الا انه يتضح ان هذه الشفرات وهذه الاخطاء لم تصل درجة الفوضى بل ان محمود اتخذ بعض التدابير السريعة في هذا الامر " ففي ساعة نزولنا من الحرب امرنا بجمع النساء الحواير ووضعناهن بالمحلات الصامتة وصار جهرهن الى ان سافرن بالوابور ونحن على اعتقاد تام في صيانتهم وسترهم (١) وقد ارسل نسي الوابور الذي ارسل اليه حوالي الخمسة امرأة من النساء صغيرات السن وابقى كبيرات السن منهن مع علي محمد طر الله الى ان يسمح لهن بالتفرق فيط بعد فندا اراد التحرك من العتمة ، اذ انه سمح لمن كان لها زوج او اقارب بالذهاب اليهم وبالبقية منهن تم تحويلهن الى الخارج حتى تتمكن من تويد الذهاب الى اهدمان من عمل ذلك او توجهه الى المكان الذي تويده . ولكن ورغم كل الجهود الذي بذله محمود في هذا الامر وكل ارشادات الخليفة له الا انه لم يتم بالطريقة التي اريدت له اى على حالة الصيانة والستر وعدم الشهامة .

ولم يقتصر الخراب على جهة العتمة وحدها بل تعداها الى المناطق الاخرى . باستثناء جهة الدامر التي بها المعاذيب . ففي منطقة بير قامت حركة بسيطة قادها حسنين برى وتم قمعها بسرعة كما يذكر محمود في محواره للخليفة " وبلغنا ان حسنين برى جمع له جموع قبل ان يسمع بهلاك الهالك محمد الله سعد واراد اشارة النتة على ناس على غرقار وهو في ذلك

(١) مهدية ١/٨/١٤٤٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ ربيع
ازل سنة ١٣١٥ .

ان هجموا عليه المذكورين فقتلوه هو وزك القتل واتي
الناس شسستوا بحالاتهم ومع ذلك فاذا ورد لنا مايفيد صحة
هذا الخبر ار منقضه "بد من رفعه لسوكم الكرم" (١) ثم
في محرر اخر يكتب له " بدى سيدى اته بيوم تاريخه ورد لنا
جواب من العكرم على فرار ببربر يذكر به ان حسين برى قد
اراد الله له من الشقاء باسباب العصاوة ما هو طيبق
الواقع على الهالك عبدالله بعد حيث انه جمع الجمع واعملان
بالنكوص واراد ابطال ام الله الذى لا تدفمه الحيل ولا ترد
قسوة مخلوق وان عمل ما عمل وقد عجل الله بقتله على يد
العكرم اليخيت الثمورى ومن معه من الاصحاب كما اوضح ذلك في
محرره العرفى بهذا " (٢) وبعد ذلك نال المنطقة مانال
منطقة المتعة من الخراب والدمار وقد اخذ الجنود في اخذ
الغليم وعدم اظهارها كما حدث من اقترانهم بالمتعة وقد كتب
الخليفة لمحمود يأمره بالكتابة لانصار ببربر ليوضحوا ما عندهم
من الغليم " استقر ان الغليم التي بطرف نلى العكرم على فرار
حور لهم بايضا حيا وقد الغلول فيها وبعد ايضا حيا فيدون
بها وانتظروا الاشارة انظروا فيها وجه الصلحة وفيدون
بما تروه فيها " (٣)

وقد اقلقت مسألة المتعة هذه خليفة المهدي

وازعجه اشتغال الانصار بامر الغليم وخرابهم للجهينة
والغرض التي سادت بعد واقعة المتعة ومقتل عبدالله ودسعد
فكتب لمحمود "فتعلمك ان الانتباه للعصالح مهم وانك توجهت

(١) مهديه ١/٨/١/١/٢٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧

صفر سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١/٨/١/٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٨ صفر

سنة ١٣١٥

(٣) مهديه ١/٢٨/٤/٣٦ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧ صفر

سنة ١٣١٥

لتأييد الدين وقتال أعداء الله الكفار ومسالمة ولد سعد
مسألة مبارزة ليست بشيء بالنسبة لأعداء الله الكفار
ولا يخفك أن الأعداء أهل مكر وخداع وإذا لم تفكر لمكيدهم
ربما دبروا لهم مكيدة في هذه الأيام بالنسبة لما جرى من
الاهالي ٠٠ " (١) وفي محرر آخر يكتب له " فتعلمك أيها المكرم
أن الأخذ بالحزم في أمر الجهاد مطلوب والاشتغال بأمر
الغنىم معوق عن الجهاد فامنع الانصرار من الاشتغال بأمر
الغنىم وكفهم عن التعديات على الاهالي حيث أن المتأفق ولد
سعد ومن وافقه قد هنكوا وليكن منكم الالتفات التمام
لتعلمين الاهالي وتشبيبتهم في محلاتهم وتأمينهم ورفع التعديات
عنهم ولا يكن لكم هم غير الانتباه لأمر الجهاد حيث أن الاوان قد
قارب والأعداء المنتدون جلادهم لا يخفك مكرهم وغدرهم فليكن
همكم حصر وفنا نحوهم لا غير " (٢) ولكن بالرغم من اجتهاد محمود
في حزم أمر الجهة ومك جتوده عن التعديات ووعده الخليفة
بذلك إلا أن الانصرار استمر إلى الاغارة على الاهالي واخذ حقوقهم
وخواب الجهة حتى أفقرت ولم يعد بها شيء من الناس أو العيش
أو البهائم أو المؤن وقد كان لهذا اسوأ الأثر على

(١) مهديه ١٩/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بطريق ١١ صفر
سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ٣٠/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بطريق ١٤ صفر
سنة ١٣١٥ .

موقف جيش محمود فيما بعد ، فبدلاً من أن يجد محمود نفسه في موضع صريح جداً في العتمة قريباً من امدرمان وعنده ما يكفيه من اعوان والعياء والعروش ينتشر جيشه كشنول يخرج له من الصحراء في غساية التعب والارهاق لينقذ عليه قبل ان يصل الى امدرمان بدلاً من كل هذا اصيب محمود بخيبة امل كبيرة بعد استلامه للمعتمة . فلم يحذر له الجيش من الصحراء كما توقع ، ليس هذا فحسب بل انه وجد نفسه في منطقة خربها جنوده بالتعديت على الاهالى وشتمت العيون والبهائم التي فيها فتركوها خالية من كل شئ ، وبين اناس قتل كثيراً من رجالهم واخذ كثيراً من نسائهم اسرى ، وصارت تتحكم في تحركات جيشه عوامل لم تكن في حسابه ، ووجد نفسه مستردداً بين الاقدام نحو بربر للسيطرة على مناطق المضائق والشلالات قبل وصول الاعداء اليها ، وبين البقاء في العتمة او الرجوع الى السبلوكة . وقد بقي زمناً طويلاً بالمعتمة قبل أن يستقر رأيه اخيراً على التحرك نحو بربر ولكنه تحرك لهساً بعد نوات الاوان .

الفصل الثالث

تحركات جيش محمود حتى وصوله نهر عطبرة

لم تكن هناك أي خطة مدروسة ومنظمة ليتحرك بموجبها جيش محمود النذاهب إلى الشطال ، خطة تتحكم في تحركاته من مكان إلى آخر ، وتحتسب حساب الأعمال بينه وبين السلطة المركزية في أم درمان ، وتضمن له وصول الامدادات والعون بسهولة وسر ، ولذلك فقد تحكمت في تحركات ذلك الجيش الظروف الوقتية ومتغيرات الأحوال ومجريات الحوادث وتغيراتها ، وعلى ذلك فقد أتت تحركاته فطرية " حمل الأوامر إلى محمود من الخليفة بالتحرك شمالاً من العتمة إلى بربر للاستيلاء على الخليفة ، والشلالات (١) واستعد الجيش لتنفيذ تلك الأوامر وحضر في التحرك ولكن حرمان ما يغير قواده رأيهم وقرروا البقاء في العتمة ، فتملأون بشق الأسباب لعدم مبارحتها (٢) . ثم تأتي الأوامر من الخليفة بتحريك الجيش راجعاً إلى السيلوقه (٣) فلا يرجع محمود ومن معه إليها بل يستقر رأيهم على البقاء بالعتمة ثم يغيرون رأيهم وقرروا التحرك منها شمالاً إلى عطبرة ، (٤) وقد صار هذا حال جيش محمود

(١) مهيده ٣٤/١/٨/١ من محمود إلى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع
أول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهيده ٤٠/١/٨/١ من محمود إلى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع
أول سنة ١٣١٥ .

(٣) مهيده ٨٢/١/٨/١ من محمود إلى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع
آخر سنة ١٣١٥ .

(٤) مهيده ١٨٦/٢/٨/١ من محمود إلى الخليفة بتاريخ ٢٢ شعبان
سنة ١٣١٥ .

مسيما التردد وعدم الاستقرار على حال الى ان قابل
جيش كتشتر *

كذلك كانت هناك تحركات لفرق الجيش المختلفة
على غير هدى وبدون سابق تنظيم فقد تحركت بعض
الفرق من القضايف الى شندى ثم الى العتة ثم الى شندى
مرة اخرى فالى مطهره * كذلك تحركت فرقة من بربر الى العتة
فمرة اخرى الى عطبرة ذك. لك عشان دقه وبعاده تحركوا
بأمر الخليفة من أدراما ثم رجعوا مرة اخرى الى عطبرة *

وقد كانت هناك عناصر كثيرة نرضت على ذلك
الجيش هذا التردد وعدم الاستقرار اولا لم يستقر الراى على
نوع الحرب التى كانت متوقعة هل ستكون " بحرية " ام برية
والاستعداد لكل له متطلبات خاصة فالعرب البرية كانت
تتطلب الاستعداد بالخيول والمدافع واخذ المواقع فى
الأرض الرحبة التى يكون فيها المجال للخيول للكر والفره
بينما البحرية تتطلب اعداد الراصد فى المكن الضايق
والشلايلات وأعمال الطوايز فى الأماكن الوعرة ، وقد صار
محمود يتخبط بين الاستعداد لهذه طارة ولطك طارة اخرى
فهو يجمع الخيول والجبال الذى تجر المدافع استعدادا للحرب
برية ، متوقفا خروج جيش كتشتر اليه من الصحراء ((٠٠٠٠
والظال سيدى انه بحسب المصلحة الحاضرة فى أهمية
وجود الخيول الكفاية معنا لاستطلاع الطلائع ولما عسى
ان نجد فرصة فى الأعداد بالخيول المذكورة نرى ان تأخيرها
معنا لو مدة قليلة فهو اولى وعلى ذلك مستجبرى
توزيعها على الارباع ان شاء الله تعالى

وتفضل تحت الطلب بحيث متى اشير بحضورها نبعثها بدون
 تأخير بمون الله تعالى ولزم هذا للمعلومية والامدادى دامت
 مقبله سيدي والسلام ٠٠ (١) وقد ارسل الخليفة الى
 محمود اعداداً كبيرة من الخيول ليستعد بها للحرب " بعد
 السلام عليك فنعملك ان خيول كطانه واصلة اليك تحت
 رئاسة محمد ابراهيم وهي طاية جواد وعلى اشهرها طائفة الخيول
 فيصولها اليك فلتود لنا الافادة بوصولها بارك الله فيك والسلام (٢)
 . وكذلك " فنعملك ان واصلة لك خمسين جواد من خيول
 الرزقات تحت قيادة عبدالله جطاع ومحمود فيصولهم اليك
 فاستقصى بهم خير عهد انهم من الرجال الصادقين ومجرد
 ما سديتاهم اليك بادروا الى القيام بالهمة العالية (٣)
 وكذلك " فنعملك ان طاية جواد من خيول البحر واصلة اليك
 تحت قيادة حامد وسيد ان السمر المذكورين لا يخفك مكانهم
 كونهم من الانصار الصادقين ولما تدبنتاهم اليك قاموا حالاً
 بهمة عالية لاسيما بهم حامد المذكور فانه من خاصية
 الاخوان الصادقين فاستقصى بهم خيراً بارك الله فيك
 والسلام (٤)

ثم بعد ذلك تطوراً فكرة الحرب البحرية فيطلب
 الخليفة من محمود ومن معه التحرك من القنص للاستعداد في
 المضائق والشلالات في بربر او في السبلوة .

(١) مهيدي ١٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
 ١١/ صفر سنة ١٣٠٠

(٢) مهيدي ١/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٨ محرم
 سنة ١٣١٠

(٣) مهيدي ٤/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢١ محرم
 سنة ١٣١٠

(٤) مهيدي ١/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢١ محرم
 سنة ١٣١٠

وعدم تحديد نوع الحرب المتوقعة هذا كان من اكبر
 الدوافع التي فرضت على جيش محمود هذه الزمرة وعدم
 الاستقرار الذي افسم في تحركاته .
 ثانيا : مسألة المحافظة على خطوط التموين والامدادات بين
 الجيش وبين البقعة . وقد كانت هذه دائما من اكبر المشاكل
 التي قابلت جيوش المهديا ، فمجرد ابتعادها عن البقعة يصعب
 الاتصال بها والمحافظة على خطوط تموينها كما حدث للتجنوس
 بالشمال من قبل ، وللزاكي المل بالشرق . وقد كان محمود شديد
 الحساسية بالنسبة لهذا الامر فلم يكن يريد ان تتقطع العلة
 بينه وبين البقعة خصوصا وهو في منطقة يصعب فيها وجود
 الغلال ، وهو في مقابلة اسداه تحتم عليه مقابلتهم ان يكون
 مستعدا بالامدادات والذون والغذائات . وقد زاد من حساسية
 محمود في هذه الناحية وجود بعض العربان المواليين للجيش الغازي
 في المنطقة الصحراوية حول ابار جقدول بوجود بعض الفرق
 من ذلك الجيش في دقلا بما يهدد دائما مؤخرته ان هو
 اراد التحرك شمالا .
 ثالثا : الاختلاف في التفكير في تسيير الجيوش بين جيلين .
 جيل يمثل الخليفة ومن معه وفي ذهنهم ذكريات ايام
 المهدي الاولى عندما كان الناس اكثر حماسا لفكرة الجهاد والظلي
 اكثر استعدادا للتضحيات وتحمل الجوع والعطش وقلة السلاح .
 وعندما كانت جيوش المهديا تطرب وسامدها الاهالي في المنطقه
 بالمؤن والاخبار وهذه الذكريات في ذهنهم ارسل الخليفة
 ومن معه جيش محمود على اساس " ان رزق العباد في سيده " ،
 وجيل آخر يمثل محمود ومن معه وفي ذهنهم الحاضر بما فيه
 من هروب الجهادية وثقة اراد الجيش عندما اشتد عليهم الضيق

من الجوع وعدم الاسلحة حتى اضطروا لعمل النقط لحفظهم من الفرار وفي ذهنهم ايضا مآقيلهم من صواب من معاكسة اهالى المنطقة لهم وكل هذه الاشياء تستدعي اعادة النظر فى فكرة " ان المجاهد رزقه فى سميه " بل انه يجب تدبيره وتنظيم الطريقة التى تضمن وصول المؤن والغذائات اليه قبل ان يتحرك من مركز الى آخر . وفى الوقت الذى يجرى فيه الخليفة ويوجب تحريك محمود ومن معه شمالا لملاقات الامداد نجد محمودا مصرا على عدم التحرك قبل ضمان وصول المؤن والغذائات اليه من القمم وضمان تأمين مؤخرته بعد تحركه شمالا .

رابعا : تحركات جيش كشنو المختلفة المتعددة تارة بجهات جقدول وتارة باهى حمد وتارة بالشرق ثم جا' مد خنسط سكة الحديد حتى دنقلا من جهة ثم سده من جهة اخرى حتى اهى حمد ثم تحركات لعربان بجهات جقدول والامدادات التى ارسلها رندل بتلك الجهات ووجود فرق من الجيش بدنقلا واخرى باهى حمد ثم تحركات الواهرات ثم تحركات كشنو نفسه الى كسلا ورجومه الى حلفا ثم الى دنقلا ثم نشاط الجيش العربى بجهات دنقلا وكذلك بجهات الشرق وتناوشتهم لعثمان دقم بذلك الجهات (١) كل هذه التحركات بمختلف الجهات ركزت محمود وجعلت الامر يخطط عليه فلم يستقر رأيه على مكان معاد يقف فيه لمقابلة كشنو ومن معه .

(١) لمراجعة تفاصيل هذه التحركات يمكن الرجوع الى :-

كانت وجهة جيش محمود الاولى التي توجه اليها من
 العتمة ليقسم فيهما معسكره وللقابلة الجيش الغساني
 بها عوقد قام الجيش بن كبرى في محرم متوجها نحوها •
 صنف من الخطاب الذي كتبه على السخوف وقمة الامراء
 الى محمود من جهة مدينيته بان الوصول الى العتمة كان
 غايتهم : * واما نحن بحمد الله تعالى خلاف العتمة ما يكون
 لنا وقوف دونها على مقتضى اشارة سيد الجميع خليفة
 المهدي عليه السلام^{١٠} (١) وكان محمود قد تأخر من
 الجيش فتقدم الجيش حتى وصل الى جهة الهويين وعندئذ
 علم محمود بحركة مدائه ووسع في العتمة ففضل ان
 يبقى الجيش حتى يلحق هو به ويدخل معهم سوا غارسل
 اليهم خطايا في ٢٢ محرم يأمرهم فيه بانتظاره بالهويين
 لحن وصوله اليهم * نهدى سيدي انه لوجب الحزم في كل
 الامر والاحتياط في امر الحرب دون غيره من الشؤون
 كان فيما حركناه من الى الاخوان رؤساء الجيش اشرنا
 لهم بانهم اذا لم يسهل دخولهم بالعتمة قبل وصول معرنا
 فالاولى ان ينتظروا وقد كان وصل اليهم الامر وهم على
 حالة القيام من الهويين فتأخروا على موجب حالة كونهم
 مستعدين ومنتظرين لقاءنا ووصلنا يومنا هذا تم وصولنا
 بجهة مدينيته حتى ومنها قايمن في ظهر هذا اليوم

(١) مديته ٢/٢/٨/١ من على السخوف والشاري بيده
 صلاح ابو وهذا القادر دليل الى محمود احمد بتاريخ
 ليلة ٢٢ محرم سنة ١٢١٠ •

وكرة ان شاء الله نجمع على الجيش وصهر توجهنا
للمقصة معها ودخوله * (١)

وكان كل هم محمود الوصول الى القبة لانها كانت ملقاة
للطريق المارة من الصحراء ومن النمل والمؤدية الى ام درمان
وقد كان يعتقد بانها ادسب مكان بالنسبة له للقاء جيش كشنو
الذى كان يتوقع حضوره رهنا عبر الصحراء بطريق جندول ١٠ ط
الجهات التي تقع شمال القبة فلم يكن الاهتمام بها كثيرا فقد كتب
الخليفة الى محمود في ٤ صفر سنة ١٣١٥ (٢) ان يرسل احدا
من معه الى بربر اذا دعت الى ذلك الضرورة والا تكون للشخص
المعين الى بربر مهمة اكثر من الاستكشاف * فتعلمك انه اذا
اقتضت الصلحة توجه احد الاصطاب لجهة بربر فحيث ان الكرم
على فرسار والاصطاب الذين معه لهم السابقة في الجهة
وقد نصرهم الله على اعداء الدين فالانسان الذي توجهه
لبربر اشترط عليه عدم التشبهش عليهم
والانسان الذي يتوجه فيمكن اعتناء بكشف احوال الجهة
ومعرفة احوال الاعداء والاستعداد لصددهم * (٣) وقد تمهر
محمود في اختيار الشخص المناسب لبربر

(١) مبدية ١/٨/١/١/٢٠٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٧

محرم سنة ١٣١٥

(٢) مبدية ١/٢٨/٤/١٠ بن الخليفة الى محمود بتاريخ ٤ صفر

سنة ١٣١٥ يخفى ان تعيين انسان حازم وتوجهه لبربر

وتوجهه بطريق الكفاية من امور الحزم والتهقظ ورفع الاحوال

(٣) مبدية ١/٢٨/٤/٢٦ بن الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧ صفر

سنة ١٣١٥

" سيدى ان مركز بربر نراه مهم وقد اشكل علينا
امر الانسان الذى تعينه به لاننا لا ندري هل تعين
انسان بدون جيش يكون غير رضاء الارباع ام تعينه بجيشه
وهل الاولى تعين احد من الارباع برمه ام غيره (١) ولكن
مع جهرة فقد اخطر محمود اثنين من الامراء الذين معه
ليكلفهم بمهمة الذهاب الى بربر وقد فضل احدهما على الآخر
لانه اكثر مقدرة على استكشاف اخبار الاعداء " وان كان
من حال الارباع فلا نرى اليق من اثنين وهما البشارى بيده
وعدا القادر دليل وكلاهما . وحزم رأى مهمة ولكن عدا القادر
دليل اكثر من استكشاف الاخبار وزيادة الاحتراز فان وافق
تعين احدهما بدون رمة ليتوجه للجيش الذى بربر ليستلمه
هقيم هناك فنرشد اليه سيدى " (٢)

وفى ازدياد الاهتمام بامر بربر الا انه لم يرق الى
درجة التفكير فى التحرك بالجيش كله شمالا من العتقة فالخليفة
مازال يحصى محمودا بالانتباء للاعداء بجهة جقندول " وارسل
الاصحاب والدوريات ليرصدوا الاشارة بجهة جقندول وخلافتهما
من الاماكن الممكن الوصول اليها . . . وجهات بربر افكر للصالح
بها . . . (٣) ولكن وصلت الى الخليفة بعض الاخبار من ادم يحيى
ابن الخليل تخمد احتفال تحرك جيش كشنو بجهات بربر
فكتب لمحمود يحصيه بزيادة الاهتمام بامر بربر ويفرق له
المكاتبات التى وصلت من جهات ادم يحيى ابن الخليل .

(١) مهيدي ١/٨/١/١/٨/٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٨ صفر
سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) مهيدي ١/٢٨/١/١١ من الخليفة الى محمود بتاريخ
١١ صفر سنة ١٣١٥ .

" اما جهة بربر فامرها مهم جدا لانها موالية لجهة
 الاعداء والاجوه الواردة من جهة ابن الخليل سفيدة تحرك
 الاعداء وتسرديهم في التأييد وماهي واصلة اليك فبعد نظرك
 لامانع من تعين المكرم عبدالقادر دليل بربره لجهة بربر
 وطس المكرم على فرغار حيث انهم صاروا من ضمن من معك
 فان رأيت الصلحة في ان يكون اليك المكرم عبدالقادر دليل
 فمره باكرام ناس على فرغار والاتحاد معهم وشاورتهم" (١)
 ثم الحقه بامر اخر بعد ذلك يومين يستعجله فيه لتعين
 شخص ليقوم بامر بربر " فتعلك ايها المكرم اطلاقا اسبقنا
 لكم القول قبل هذا مع ابد بشاره بصون عبدالقادر دليل
 للاقامة بمركز بربر لاجل مسك ورفع الاخبار لكم فوصول
 امرنا هذا اليك فانظر فيمن توجه به لمركز بربر بمعرفتكم
 ومن ترى فيه الكفاية للقيام بهذه الصلحة وتوسم فيه
 اللياقة لها وحصل الاتحاق عليه بالمشورة المسنونة سوا
 كان عبدالقادر دليل او غيره من رؤسا الارباع او غيرهم
 فمن ترى فيه اللياقة بذاك فعك الاذن في توجهه الى ذلك
 المركز " (٢) وشاور محمود من معه فاتفقت المشورة
 على تعيين البشاري رعد ليربر لعدة اسباب ذكرها
 محمود في خطابه الى الخليفة في ١٩ صفر سنة ١٢١٥ هـ
 هدى ١٥ بخصوص ورود زعم اوامركم السابقة واللاحقة بخصوص
 مسألة بربر وان تعين لها احد الاصطحاب للقيام بمصلحة الدين فيها .

(١) مهديه ٢٧/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٣

صفر سنة ١٢١٥ هـ

(٢) مهديه ٢٤/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٥

صفر سنة ١٢١٥ هـ

قد حصل الاهتمام منا في ذلك وصرفنا متكررين متدبرين في
أمرها وبعد طول التفكير ثم بعد مشاركة الإخوان روساء الأربعاء
جميعهم ومعهم الحكم محمد بشاره انقضت المشورة من محمد بشاره
والعطا اصول وعبدالقادر دليل بتعيين الحكم البشاري بهذه برعه
لها واتى الإخوان تشابهوا عليهم بموافقة ذلك . (١)

" ثم بعد ذلك . نظر محمود لأول مرة ان كثرنا قد لا
يحضر بطريق جندول بل نسد يحضر من طريق بربر ((ولكن عرض
لدايمكم في امره بل في امر بربر جميعه ماوجب الاسترشاد
حيث ان امر الحرب يقتضيه ان لا نكتم من جثابكم ما يحتاج بفكرنا
سواء وقع موقع الصواب او لم يقع وان كان نعرف من نفس العجز
والتقصير وعدم معرفة ادنى شئ من وجوه التدابير اذا ما علمنا
الا الاجتهاد ومن سيادكم ارشادنا الى السداد وذلك الذى
خطر ببالنا ان هؤلاء الكثرة خذلهم الله تعالى بحسب القترى
انهم سيجتركونا ولا على جهة بربر لقرىها ومولاتها واذ كان
كذلك وداعيتكم ومن معه من فهم بالفتنة فكيف العمل للاصحاب
الذين يبربر فهل يكافحوا الكثرة لوحدهم ام تتوجه لهم بمن معنا
عند اقتراب الكثرة او نجدهم علينا ام كيف . فان كان يكافحوا
وحدهم فبعدكم مع نصر فبه يرى هذا خارج من الحزم بل عرض
للفشل ودخول الخلل وان كان يجتمعوا علينا بعد تحرك الاعداء
فهذا ايضا كمثل جوابتهم لوحدهم وقد تكررت الخواطر وتضاربت
الافكار حتى صار عدكم في ذاية المشغولية به . (٢)

(١) مهيده ٢٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٩ صفر

سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

بل ان محموداً في هذا الخطاب لمح بفكرة التحرك بالجيش
جميعه الى بربر والاستعداد بها فهو يقول بعد ان اوضح
سامر له عن امر بربر وتحرك الاعداء بها " ومن الواجب
ان يكون استعداد الجيش بالمحل لاستعداد بالاسلحة
والجبه خاف بل مساعدة العمل تكايه بالكثرة عظيمة
حيث تنهياً المراسد الطرق من بدرى الوقت وقسم
الجيش في الجهة مدة ايام ليحرف مواضعها وتتخذ مايلزم
للحرب من مكائده ((١)) ولذا رغم هذا التلميح لا يستعد
بالجيش جميعه للتحرك شمالاً بل يعمل على اعداد البشارى
بيده ليذهب برعبه الى بربر " اما الحكم البشارى بيده
فانظ عديناه يوم تاريخه بالفعل ووجهته برعبه وحوارنا الى
الحكم على فرار بالاتحاد مع في مصلحة الدين والامثال
اليه ومؤازرته ظاهراً باطلاً واكدنا عليه بالتحرز من
الاعداء واستكشاف اخبارهم ورفعها اول باول ((٢)) ولكن قبل
ان يصل هذا المكتب بتعريف البشارى الى ادم دربان كان
الخليفة قد اتخذ قراراً بتعيين شخص آخر لبربر هو محمد
الزاكى عثمان وكتب بذلك الى محمود في ١٧ صفر " فنملكك
ايها الحكم ان قصد مساعدتك في امر الدين وراحتك
ولذلك رأينا ان ننظر من باب وجه الصلحة في جهة بربر
وحصول الشرة فان رأيت اوفقاً توجيه الحكم الزاكي عثمان اليك

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) نفس المصدر السابق .

كفى يصح من جهة بربرليها، بها فانه على سبق معرفة
من احوالها وله المعرفة بالادارة والاهالى لهم الفقه وسابق
سأله الا بعض الرسائل فبان وافقك رساله فأخبر الان ارسال
احد للجهة وحالا خاطبنا لتوسل لك المكرم المذكور ((١))

وتلاحظ في هذا التعمين عدم الاخذ بما عرض لمحمود
في امر بربر من احتمال تحرك جيش كشتو بتلك الجهات ولذلك
فقد تأجل ارسال البشارى بهذه وتاخر ارسال الجيش الذى
كان سيرافقه وارسل بدلا منه شخص ليس من اهل الحرب فقد
عرف من الزاكي انه كان رجل دين وكبيراً في السن وكان صاحب
" خلوة " لتدريس القرآن، ولم يكن من اهل الشدائد الذين
يرسلون في المقدمة، وذلك عندما تم تعيينه طلب محمود
من الخليفة ان يذكر الزاكي بهذه الشدائد " واعطى نجوا
ياسيدى عند تعيينه به لتكرره المذاكرات بما يلزم في
مثل هذه الايام التي هي من اكتاب الخيرات والرفقة
فيها عند الله .. وان يترك الراحة جانباً يقوم لله رافعا كما
هو الظن فيه)) (٢) وكان من اهم الواجبات التي طلبت من
الزاكي هي كشف الاخبار وليس الاستعداد لملاقاة العدو
الذى قد يحضر بتلك الجهات ((وان ما يلزم ايضا كشف
الاخبار فانه لا شيء ادم منها)) (٣)

(١) مهديه ٢٧/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٢ صفر
سنة ١٢١٥ .

(٢) مهديه ١/٢٨/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
٢١ صفر سنة ١٢١٥ .

(٣) نفس المصدر السابق .

" مركز محمود ، إلى جمع الجيش في العتمة فقد أرسل إليه الخليفة بعض الفرق من جيش أحد فصيل في القضايف " تهدي سيدي أن أمركم الكريم العزيم له ٨ الجارى العتمة ان اخواننا المكرمين فضل المسسة ومدا الله حامد توجيهوا نحول بارباعها وان تقابلهم بالاكرام والجشاشه ولين الجانب وان كان اقاموا بالشرق فهو اصوب لان القصد فى ارسالهم تلبية المناقطين واظهار مودة الدين)) (١) وقد اكد محمود وصول هذه الفرق بخطابه الى الخليفة فى ١٧ صفر والخال سيدي ان الاخوان المذكورين قد وصلوا بحلة الحوش قصاد العتمة يوم الخميس الموافق ١٤ الجارى وخابروا بموصولهم وحررونا لهم ماء جدير خواطرهم وامرناهم بان ياخذوا الراحة لغاية يوم الاثنين القابل الموافق ١٩ الجارى ثم يحضروا فيه باشخاصهم للمقابلة والذاكرة فى تحملهم بالجيش الى الجهة الموافقة وحسب نواه ان اقامتهم بحلة شندی اولى بعد العداولة فطيسست عليه الراى نرفعه لوصولكم الكريم)) (٢) وقد اذن الخليفة لمحمود كذلك بمكاتبة شان دقة على شريطة ان يكون مؤدما معه فى ذلك ((ايها المكرم لا يخفك ان المكرم شان ابي بكر دقة هو العمون والمضد والشريك فى الهم الدينى وكان الاخوار القبلك ليسومؤدبين واجب حقه وانت حري عندك بمعرفة حق المذكر فواصله بالاجهة العتمة والتكن المحبة بينكم كاحسن حال والسلام)) (٣)

(١) مهديه ١٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١٨/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ صفر سنة ١٣١٥

(٣) مهديه ١٢/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٤ صفر سنة ١٣١٥

" وتوسعت مسئوليات محمود وكثرت أعداد الفرق التي صارت تحت امره ولكنها كانت مشتتة فالجيش الذى حضر معه من ادرمان زادت اليه فرق من الخيول وصلت اليه زمرة بعد زمرة ثم صارت الفرق التي فى بربر تحت امره ثم جاءت اليها فرق من القصارف ثم كاتب شمان دقته تمهيدا لضم جيشه اليه ، وكان لابد من جمع هذا الجيش فى مكان واحد . وفى الوقت الذى كان يعتقد فيه محمود بان احسن مكان لجمع ذلك الجيش هو جهة الممنة فقد كان الخليفة على عكس ذلك يعتقد بان خير مكان لجمع الجيش هو جهة بربر ((اما اجتعاك الجيش فى مكان واحد فذلك هو الراى الضميد والقول السديد وان الجهة الذى لابد لكم من التوجه لها هى جهة بربر وهى مركز الجيش لان توجه الجيش بها ضرورى . لان العدو اذا سولت له نفسه الضمير فعمل مكافحه لابد ان تكون بين بربر والرباطاب كى تكون جهة بربر كلها خلف الاصحاب لاعمال العدد من البقعة ومن جهة العكر مشان دقته اذا اذمت الصلحة له . واما العدو اذا صار تكفه ببربر وام يصر زحفكم عليها بالجيش واقامة الجيش بها والافتكار لمحات العوامد كما ذكرنا من بدرى تحصل صعوة لان الامداد تمولهم هو على الواهرات والواهرات من قسمر بطواين وخط نار حصين تعصب مكافحتها وقد رأيت الواهرات عند حصار الخرطوم كيف اتعبت الاصحاب حتى حصل الاقتتال بالنار من بواسطة ناس المرحوم ابن عتبه وود النجوى)) (١) وكان هذا بحاطة الامر لمحمود ومن مع بالاستعداد للتحرك الى جهات بربر .

(١) مهيده ١٠٢٨/٤/٤٥ من الخليفة الى محمود بطريق ٢٥

ومستمع محسود ومن معه لتنفذ ذلك الامر
 بل يذكر بعض الامور التي تشجعه على التحرك الى جهات
 بره فقد وصله اخبار من ادم بن ابي الخليل وسعد الزين
 حسن بايى سعد واليهاب بتحركات جيش كشنر فهمسد
 بانهم كانوا فعلا قد تحركوا عن طريق جقندول ولكن عندما
 عرفوا ان المتمة قد انضمت تحت سيطرة الانصار قفلوا
 راجعين ((ومن ذلك انه وردت لنا احواله من العكرين محمد
 الزين حسن وادم بن ابي الخليل يذكروا بها اخبار اعداء الله
 الكفرة مقيمون بمحلاتهم واسداداتهم وارادة اليهم بالتواتر
 وحركاتهم حثيثة وطافى زمهم الان واهزموا عليه سابقا عندما
 بلغهم تحرك الهالك عبدالله سعد ٠٠٠ وقد زادت بها اليهم
 شائطا والنفوس انفسا لان الجهاد هو الموسم الاكبر
 الحظ الاوفر لمن له في الاخوة ادنى متجر والحمد لله فان
 داهكم ومن معه على ونسوق ظم بان الله يهلك هؤلاء الكفرة
 هلاكا يكون عبرة للمعتبرين ٠٠٠ وقد اتضح لنا الان انهم تحركوا
 بطريق جقندول بظا على الناس الهالك عبدالله سعد لقدوسهم
 اليه وسلكوا الطريق الذوقاني الى ان وصلوا جقندول
 المذكورة وكان وصولهم ايجبا بعد واقعة المتمة بخمسة ستة
 ايام ولما بلغهم خبر دخول المتمة وهلاك من فيها داخلهم
 من الخوف والرب بالايحبر عنه وارتجعوا هاربين خائفين)) (١)

(١) مهديه ٢٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع
 اول سنة ١٢١٠ هـ يتحدث محمود في هذا الخطاب عن
 الفرقة التي ارسلها " رداد " لتجدة عبدالله سعد .

مما رفع روح محمود المعنوية وطأه على مقدرة على ادخال
الرب في قلوب اعدائه " وزاد معه نشاطا " وهناك امر
آخر جعل تحرك الجيش الى بربر ضروريا وهو ((ثم انه ورد
جواب من ادم يحيى ابن الخليل يذكر به احوال الجيش الذي
معه وارتجاع افساحه الى بربر وانه خرج من يده لآخر مهابه
وذات جوابه واصل على ما ولا شك انه يتحرك الجيش من هنا
نحوهم يزول كل فشل وخلل بمعون الله تعالى)) (١)

واقترح محمود بان التحرك بالجيش الى جهات بربر
شيئا لا يد منه " وقد صار التحرك بالجيش نحو محلات
الشالات والمضائق امر لا بد منه لاجل الاستعداد من
بدري واتخاذ التوسيط والاحتياطات اللازمة)) (٢) ولكن
قبل ان يتحرك كان لابد له من الاطمئنان على مؤخرته
لضمان وصول المدد له من ادم ومان ولا بد له كذلك من
اخذ المؤن والذخائر الكافية . وهنا يبرز جلليا الخسلاف
بين شكير محمود ومن معه المعتمد على واقعهم الذي
يحتج عليهم تدبير مؤنهم واعتمادهم على مركز ليعدهم بهذه
المؤن مع ضمان خطوط المواصلات بينهم وبين هذا المركز ، وبين
شكير الخليفة الذي يعتمد على خبره الطافية ايام كسان
الاهالي يساعدون جيش الهدية . لهذا نجد محمود يكتب

(١) نفس المصدر السابق

(٢) نفس الخطاب سابقه

الى الخليفة عند ازماء السفر من المنة ((فنرجوا استعجال
الجيش الكفاية الى المنة هذه واقامه فيها كونها من البغازات
المهمة والا فالامر لنظركم سيدي)) (١) وهذا ليظن الى
ان مؤخره في اسان ثم يطلب بعض المؤمن والذخائر " ندى
سيدي حيث ان الاشارة الكريمة اقتضت قيام الجيش بحسب
بربر ومنها الى محلات المضائق والشلالات لاتخاذ المراسد
والطرابي وتلك الحالة تحتل الى المدافع الكفاية بالششرق
والغرب والان ليس معني من المدافع الا تسليح فلذا قد استعملوا
جميع الاخوان التماس زيادة المدافع والطوجية واستعملوا ايضا
ان تلتس لهم بارسال جانب من اسلحة الرمتون ولو الف ^{مترقيد} فقط
فقط لاجل غشيقها على اولاد العرب خاصة لان اسلحتهم
قليلة)) (٢) وصل اليه رد الخليفة على ذلك ((فتعلمك ان جوابك
الذاكر فيه لزوم الاف بتدعيمه لزيادة الاستعداد ولزوم المدافع
الخ طاه قد وصل ولهم وناسول لك ايها المكرم اني تحب لك التيميد
والتسديد ونحب ان ينصر الله سبحانه الدين على يدك ولعلمنا
ان النصره هي من الله سبحانه وان الوثوق به سبحانه هو اقوى
سبب فانا نحبك ان تكن وثقا معتمدا عليه طالبا منه العون
والتصبر وفضل الله سبحانه ان الاسلحة التي معك بكثرة وكذلك
الاسلحة التي بجهة بربر واسرة وان جهة الجعليين اذا دققتم
بالاوجه المناسبة في الاستحصال على الاسلحة القارية التي
ممكن جمعها بلا شوشرة ممكن ومع ذلك كله فليكن القلب وانظ بالله

(١) نفس المصدر السابق نفس الخطاب سابقه

(٢) مهيده ٣٤/١/٨/١ من ميعود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع

اول سنة ١٢١٥ .

فأما سبحانه يقول يا النصر إلا من عند الله وهذه
الأمم قتالها هو بالدين ليس بالدينه لان الدينها
لا تغلب ديننا فانهم ذلك وأعلم ان توى ان تقول عرضا
من الآف بشدة قسمة تركت على رب النهى بخالص القلب
وصفاً النهى فان الله يحب المتوكلين وقد قال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه (١)

وفي يوم ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ وصلت
الى محمود تقاير من جهة بربر تستدعي الاهتمام بامر تلك
الجهة وضروية التحرك اليها " نمدى سيدى اى يوم
تاريخه وردت لنا اجوبة من المكرم محمد الزاكي عثمان بتاريخ
١٠ الجارى تتضمن ان الكفرة خذلهم الله تعالى وصلوا
بابي حمد وطربوا المكرم محمد الزهن حسن واء ناز
بالشهادة .. وموتى قد زاد الاهتمام من داهكم بامر
الجهاد وشرفنا فى اتيان نحو بربر بالجيش جيههم
لاننا رأينا ان غزيتى فى هذه الايام لاوافق الحزم
المطلوب (٢)

وقد كانت بعض فرق الجيش بالشرق تطلب منهم محمود
الاجتماع مع بقية الجيش وذلك لان جهة الشرق بها المجانيب
وانا تحرك الجيش بتلك الجهات فربما ادى ذلك الى خرابها *

(١) مهيدي ٤٦/١/٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٨

ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهيدي ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢

ربيع اول سنة ١٣١٥ .

يمدى سعيدي ان الجيش اسدى بالشرق تحت قيادة المكرم
 فضل الحسنة وهذا له حامد فحينئذ حضروه بل قبل وصوله
 تراكت الشكوى من اهالى الجهة في تعديده عليهم واخذ
 اموالهم وتعلقاتهم وضرب البيض بالرصاص حتى صارت كالجبهة
 الغربية في الخراب ٠٠٠٠ والنظر لذلك وكون جهة المكرم
 الحاج محمد محمد الميذوب لم يسبق لها خراب والحالة هذه
 صار الجيش كله متوجها نحو بربر وهم اذا سلكوا طريق
 الشرق فيخربوا الجهة جميعها فلذا رأينا بعد مشورة الاخوان
 واعيانهم ان يكون قطع الجيش خليط وسيره معنسا بها ٠٠٠٠
 فنرجوا مع الموافقة صدر الامر لنا ولهم بذلك والا فالامر
 لما تروا خوض والسلا ((١)) وقد بدأت هذه الفرق مهيبة
 النهر الى الغرب بالفعل بعد ان وصلتها الاوامر بذلك . ومن
 جهة اخرى شرعت الفرق الاخرى التي كانت بالعتة في التحرك
 وحيث ان التأخير في مثل هذه الحالة لايسافق وحصل بسببه
 الفوات التي لا تكن مداركها واذا انتظرت الرد ربما يغتور
 فوات فقد اخذنا الجيش جميعه بحسب رأينا القاصر وتوكلنا
 على الله تعالى وفي الليلة لقادة هذه لايد من صصرف
 الجهة خاف الميذوب والمنظم انها قليله ٠٠ ثم وفي طريقه
 حورنا الى المكرم محمد الزاوي شتان بقدموط وحورنا ايضا الى

(١) مهيده ٤٠/١/٨/١ من . يعود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع

الكريم آدم يحيى ابن الخليل اذا أمكنه الصبر وانتظار قدومنا
 في محله فهو اولى والا فينتظرنا في الجبهة الموافقة له وعلى
 الجملة فانه ايام الجهاد حركاتها وقسمته والتأخير فيها لا يمكن
 وانتظار الرد فيما يحل في الفوات كذلك لا موافق فلذا كلما
 نراه من اوجه الحزم — تنجيه ونرفعه لعهود الكريم)) (١) وقد
 وافق الخليفة على هذه الاجراءات التي اتخذت في خطابه لمحمود
 بتاريخ ١٥ ربيع اول سنة ١٢١٥ (٢) وكتب محمود الى الزاكي فثمان
 مؤكدا تحركه بالفعل من السنة * حبيبى انه بوقتته اهتمامنا
 في القيام وسعون الله تعالى ساحة تحريره خرجنا من العتمة
 بكامل الجيش بل حرونا هذا ونحن بمسافة منه وما كان تأخيرنا يهاض
 هذا النهار الطاعد الا انتظار الاخوان الذين بالشرق فقط لانهم
 بمشورة الروما اغفقت بجمعهم صليبا والقيام مرة واحدة نعوكم
 والاطالة هذه قد استكمل تطعيمهم وسوم بكره هذا نحن وهم غايين
 خفاني وليس لنا تأخير سوى سافة الطريق ان شاء الله تعالى)) (٣)
 ومكر محمود بجيشه خارج العتمة بنية التمسك
 شطالا الى بربر ولكن وصله بمض المعلومات التي جعله يرتك
 في تحركه ومسير في حيرة بين التحرك شطالا والبقاء في العتمة
 فارسل جزءا من الجيش تحت قيادة عبدالقادر دليل ليتقدمه الى
 جهات بربر وفيه بقية الفرق الاخرى في انتظار رأي الخليفة *

(١) مهيدي ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع
 اول سنة ١٢١٥ .

(٢) مهيدي ٦٣/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٥ ربيع
 اول سنة ١٢١٥ .

(٣) مهيدي ٤٦/١/٨/١ ك من محمود الى الخليفة بتاريخ ليلة ١٥
 ربيع اول سنة ١٢١٥ .

صوره ماتحسره من محمود للاكي .

نهدى سيدي انتم كذا رفعنا لسيادتكم غير مرة قياض
 من المتعة وانتم لا تأخير لا سوى انتظار اجتاع ناس المكرم
 فضل الحسنة بمن معه عليا وقد كان واجتمعوا عليا اس
 تاريخه لداعي تفرق طائفتهم بالشرق وعلى حسب ما رفعته من
 السفر بالجيش كان خرجت من المتعة بغاية الاستعداد الذي
 هو في طاعتنا وصرت على وشية القيام بل كل يوم فنحن
 في حركة السفر نحو يربز الا ان الاحوال لم تساعد بالقيام
 مرة واحدة ولما لم يأتى ذلك تراء لدايمكم بعد العشرة قياض
 على طوائف وميم اول اس هذا وجهنا المكرم عبدالقادر دليل
 يربعه وطائفتهم على توجيه المكرمين فضل الحسنة ومداك
 حامد يربزه هذا باشره . يقوم بعدها بياتى الارباع جميعها
 بدون تأخير الى ان انظر الخبر من جهة جندول كما اوضحناه
 في الجواب مرفوقه (١) ورايت شاهد صدق بما موضح بجواب
 ادم يحيى ابن الخليل حيث اورد انه ستحضر الى جندول
 ثمانية عسكري وتسميته خبالة فبعد النظر والعشرة فسي
 هذا الامر حيرنا الى المكرم عبدالقادر دليل بأن ينتظر بجهة
 الكتاب ولا يتجاوزها . . . رأينا ان تأخر بمن معنا لغاية
 ورود الرد من هذا بما تراء سيادتكم (٢) (٣)

وكان محمود يفضل الرجوع بجيشه مرة اخرى الى
 البستمة لانه لا يهد ان يكون الطريق بينه وبين اسد رمان معرضا
 للخطر مع قلة المؤن التي معه " نهدى سيدي انه
 لوجب رفع الامر كلها لسيادتكم خصوصا احوال الجيش

(١) مهديه ٨/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ ربيع

اول سنة ١٢١٥ .

(٢) مهديه ١٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ ربيع

اول سنة ١٢١٥ .

في السفر والاقامة فهي هم المعوقات والاخرى في هذه الايام
ولذا فانتسنا كنا رفعنا لجناتكم قياما نحو بربر ولم يتيسر
السفر ولغاية تأريخه بخارج العتقة بكامل الجيش ولم يسافر
منا الا العكرم هذا التقدير دليل كما اوضحنا ذلك بالجواب مرفوقه (١)
... وانما الذي جهرنا على التأخير مانراه من اهمية امور الطريق
واننا اذا قلنا من ائتمنا ينسد الطريق ما بيننا وبين
البقعة المنورة وشكنا الاعداء من هذه الجهة فـ...
التكن)) (٢) وقال محمود انه قد تشارع مع من معه واستقر
رأيهم على ضرورة البقاء بالمتعة وارسلوا مندوب عنهم
ليشرحوا وجهة نظرهم للخليفة " فقد صار من المحتم الواجب
على داهمكم الالتفات الكلي للاحتياجات اللازمة ... والملاحظة
لذلك تأخرنا بالجيش جميعه بعد اغلاق ارايه ولا ندري هل
هذا التأخير يوافق لدى سيادتكم ام لا فلذا ارسلنا رافعين
هذا بشارة ولد خيس وعرف الدين هاشم وهذا الحميد محمد
وحامد محسني لاجل وصول هذا وامام سيادتكم بحال
الجيش وكونهم من ذوي الرأي والتدبير والشفقة على الدين)) (٣)
ولكن رد الخليفة جاء مخيبا لآمال محمود مصفا على
ترك الجيش للمتعة مؤكدا الاوامر له بالتحرك نحو بربر " فنعلت
ايها العكرم ان الاجوبة المتحررة منك في تاريخ ٢٤ الجاري (٢٣ الجاري)

(١) مبدية ٨/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ ربيع
اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مبدية ٦٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ ربيع
اول سنة ١٣١٥ .

(٣) مبدية ٧٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢١ ربيع
اول سنة ١٣١٥ .

وصلت بطرفنا جميع الاحوال والاخبار وما انتم عليه من التعزيب والاخذ بالحزم والاستتشار فهذه وقد شكرتك ايها العكرم اجتهادك الخير على ما فعله من الهمة والحزم وحسن التدبير وكشف اخبار الاعداء حتى فرغت جليلة امهم واحطت علما بما هم عليه من اعمال الطريدة التي لا تجددهم فعما بجهة جندل ٠٠٠ وقد اسبقك القبول قيل هذا بالتوجه لجهة بربر لاجل حمايتها من الاعداء ومداركة الاستحواذ فليس الشلال الذي ينواحيها لاعطال المراسد فيه قيل تمكن الاعداء منه وترك العكرم فضل الحصه وهذا الله حامد فيمن معهم من الانصار بجهة العتة بعد تحصينهم فيها وتكسيهم مالا لزوم له من حيطان العتة ومنزلها ٠٠٠ فعلى حسب سابق تحيره اليك اولا فليكن ترك المذكورين اعنى فضل الحصه وهذا الله حامد ومن معهم بمركز العتة ٠٠٠ وخذ الجيش الذي معك من سابق وتوجه حالا على بركة الله لجهة بربر (١) وقيل ان يتحرك محمود تنفيذ هذا الامر انتهى

امر بربر بخروج الزاكي عثمان عنها ورجوعه بجيشه وتركها للعبادة بعد أن كان قد الح في الدلب من محمود بوصول الجيش اليه دون جدوى ((والان ورد انا جواب من العكرم محمد الزاكي عثمان يفيد قيامه ومن معه من مركز بربر وانحاظه الى الغرب من المقرن بالاسلحة والجهة ذانة وذلك باحباب عدم شمس الانصار وخروجهم من مدد وحرقتهم للدم والاشاعة بان وامر الكفرة خضر ٠٠ بالنظر عدم امكان تأخير الرد عنه فبمشورة

(١) مهدية ١/٢٨/٤٢٢٨ بن الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٨ ربيع

اول سنة ١٣١٥ هـ

مسموم الاخوان في شأه حورثا له الرد بالضموم
الى مركز شندى بكافة من معه وحورثا ايضا الى المعكم
عشان دقنه بعثل ذلك ((١)

متحرك الزاكي عاظم من بربر تتفع صورة البركة
والاضطراب السدى صار عليه جيش محمود في تحركه ،
ففرق قفل الحنة ومبداء حامد طلب منها ان تصير
النيل من الشرق الى الغرب بمود القادر دليل طلب منه
التحرك شمالا ولكنه اوقف بجهة الكتاب فلا رجع السى
المتعة ولا اكل رحله هو نية الفرق مع محمود خرجت خارج
المتعة دون ان تستمر في سبيلها او تعود الى معسكرها
اما الزاكي عشان فهو حائد في الاتجاه المعاكس من بربر فس
غاية الانحلال ، واما عشان دقنه فقد صارت الفرق التى معه
في موضع حرج وطلب منه الحضور الى شندى . ولا حظ

محمود ايضا ان جهة الشرق من النيل صارت خالية من
الجيش ورما تحرك الجيش الغازى بظك الجهات " ———
انه بما تواتر لط يومين تاريخ من خمر الطلائع ومن الهجائن
الذين يحضروا من بربر ان الكثرة كلهم انحازوا الى الشرق
حيث من حداين حمد الر غاية اخرهم بدتقلا صاروا
بالشرق وذلك لما علم لهم من خلو الشرق من الجيش
لا غير ولذا فان وجود الجيش الكفاية بالشرق مطلوب ((٢)

(١) مبدية ١/٨/١٢٢٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع

اخر سنة ١٢١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

وازا^١ هذا الموقف وجد محمود نفسه متسمرافس مكانه
 وهو في حيرة شديدة من امره هل يتحرك نحو بربر اطاعة
 لاوامر الخليفة ام يرجع للعتة ؟ وقد وصله خطاب من الخليفة
 بتاريخ ٢٨ ربيع اول يحثه فيه على الذهاب لبربر ليسبق الكفرة
 الى مكان المضائق والشلالات ، واما به بتكسبر حيطان العتة
 وترك بها فضل الحسنة وصلى الله طامد بعد تحيينها " ٠٠٠ ولان
 ورد امركم الكرم المزين له ٢٨ ربيع اول سنة ١٢١٥ المتضمن الاشارة
 بقيامنا نحو بربر بعد تكسبر حيطان العتة وان نترك فيها
 فضل الحسنة وصلى الله طامد ٠٠٠ وقد خضعت فليط الارض بما رحبت
 لان القيام بعد هذه الحالة ضرره كثير ولا ينتج منه الا
 الفشل وانا نخطرنا كان التأخير بخلاف الاشارة من جنابكم فاي
 الامرين خطر عظيم وامتلكتنا الحيرة وصرنا بطلان لا يعلمها
 الا الله تعالى بين خواطر في رجاء العفو تشطني واخرى عند
 ذكر الخطر في تأخير الامر تشطني (١) وعذر محمود من
 عدم اطاعة الاوامر المتعددة التي وصله في شأن التحرك
 الى بربر هو ذكر اسبابها لذلك " ٠٠٠ فاني لما حضرت لهذه الجهة
 باشارتكم الكريمة لم يكن حضوري لاجل الاقامة بالعتة ولا انسى
 حضرت بتدبير استقل به ولا برأى استبد بعمله وانا حضرت
 باشارتكم الكريمة ومحتا وجهتي الاشارة فاني طوعها ٠٠٠ وعلى
 ذلك كنت رفعت لجنايتكم ماورد على خواطري من جهة بربر وقد ورد
 الرد بالقيام الى محلات المضائق واتخاذ العرايد فشاورت
 من معي وتسلط عليهم امركم الكرم ولو لا الاشارة باستعمال
 المشورة لما كنت اشاورهم فانادوا بان القيام لا يوافق طامد محضر
 لهم جيش وسلم العتة ٠٠ وفي هذا الكلام من ابلهتهم للسفر

(١) مبدية ٧٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٠ ربيع اخر

وعدم رضائهم به ما لا يخفى فيه ثم غصت من احوالهم
 واحوال الجهة بعد التدقيق ومعرفة الحقائق فرأيت ان التوجه
 الى بربر من الصواب . . . وشرعت فيه بالفعل فمما
 امكن القيام لمدة دوايس . . . فاولا الجيش الذى معنا
 قاطبة اسياء وافراده شاورتهم وقلبت اراءهم فما احدى
 منهم اشار بالقسيام مطلقا بل كلهم رفضوا التخليع بالهتة
 وذكروا فيه من الوجوه ما لو جبرناهم على القيام معه
 لما استقام حالهم . . . ثانيا تحقق لى ان القيام بعد معلومة
 حال الجيش بالصفة المتقدمة ضرره اكثر من الضرر بضياح
 بربر وجهاتها فصبرت حالة كوتى مركبا لاخف الضررين
 لافهم . . . وثالثا ان ذات اهالى بربر لا وشوق بهم فى الولا
 مع الانصار عند قدوم الكثرة لجهتهم والحزم يقتضى عدم
 تمكنهم منا ولو توجهت لهم لكائن النوى كلها اليهم ففى
 اتخاذ المراسد وفى التدابير التى نعملها ولتمكنوا منا غاية
 التمكن وليس شئ اضر من ذلك فى هذه الحالة فراهما ان
 قياما نحو بربر اقوى الدواعى لتكن الكثرة من الجيش الذى
 معنا لان تدبيرهم كله مصروف فى شأه ((١)) وقد قبل
 الخليفة الامذار التى ذكرها محمود * فنعملك ان جوابك
 المحرر فى ٤ الجارى المحرر . ردا لما صدر لك فى كيفية
 القيام بالجيش لجهة بربر وايضا حاك الوجه التى اوجبت

(١) نفس المصدر السابق .

عدم التوجه وطلب السماح ٠٠ الخ مذكروهم وصل زعيم
 ووقع موقع الاستمسان والقبول ٠٠٠ وجميع مذكروهم
 قد رأيناهم متأسبا بسوجه المصلحة حيث انك
 سامون فسدنا ولأن الشاهد يرى طاعة الغائب وانك
 غير متهم بالجهن (٠) (١)

بعد أن اطمأن محمود الى رضا الخليفة
 جعل يستعرض موقفه من جديد فذكر بان الطلائع
 التي كان قد ارسلها لاستكشاف الخبر قبل ان يتحرك
 من الممنة قد عادت وأن اخبارها عن تحركات
 جيش كشنر هي ((واخبرونا بان الكفرة تركوهم باي عدد
 لم يتحركوا منها وان وابوراتهم من وراء الشلال لم تغلص
 منها الا اثنان وهي اصفرها والباقي اربعة ومتعذر خلوصها
 باسباب نقصان البحر وظهور احجار الشلال وذكرنا
 ان وابوراتهم المتأخرة هي التي عليها المدار وانهم
 لا يمكن تحركهم من ابي حمد عالم تستكمل وابوراتهم وذكرنا
 ان احد الوابورات تعوق بالشلال وشاهدوا بايديهم
 وتركبا على الحجار وذكرنا ان عريان الحسانه بعد مقيمون
 بمجدول ومستعدين للحضور الى الممنة ومازال بعد يوم
 اويومين ظنهم دويمة من الكفرة على جبال تحوهم وترجع
 يومدهم بحضور الجيش الكفاية مع الهالك شياطين (٢)
 وحسن النجوس ٠٠٠ اما من جهة بربر لم يرد لنا خبر ولكن
 بلغنا شفاها بان المبكرين محمد الزاكي عثمان ومشان ابي بكر دقه

(١) مبدية ١/٢٨/٤٨٨ من الخليفة الى محمود بتسمياتهم

١٠ ربيع آخر سنة ١٢١٥ .

(٢) يقصد به سلاطين .

اجتمعوا معها وسألهن نحو شئندى بالشرق حسب
ما تحضر لهم منها سابقا)) (١)

ثم محمود يتشكك في امر حضور الكفرة)) واما
الكفرة فلم يتحقق لنا ان جهوشهم وصلت بهر ام لم
عمل ولا بد من وضوح امرهم ورفع اسياذتكم على اثر
هذا فضلا ان شاء الله تعالى كما وقد بلغنا من الطلائع
الذين كلف وجهناهم لجهة جندول وحضروا يوم تاريخه بسان
شاع عند العربان هناك بان جيش الكفرة جميعه سيحضر
بطريق جندول ومعهم سردارهم والهاك سلاطين وانبيهم
متواعدين مع الوابورات يوم معلوم بالمقابلة بالمتمة فهم
يحضروا من فوق وهي تحضر بالبحر وهذا الخبر بعيد عن
الصحة بحسب القياس ولكنه ان صح فيالها من غنمة باردة
ونصرة تدوم احاديثها الى اخر الدهر بلا تعب بل بحول
الله وقوته والظاهر ان هذا وخيره كله تحيلات وتدابير
واهمة)) (٢)

ومن جهة اخرى استعرض الخليفة ومن معه الموقف
فاستقر رأيهم على ان يبقا محمود وجيشه بالمتمة لم يعد
يخدم غرضاً ولا بد من رجوعه الى السهلوقه لاقامة
الطوائس بها وقد كتب الخليفة الى محمود بهذا المعنى ففى
خطاب ارسله له فى ١١ ربيع اخر سنة ١٢١٥ " ندى سبى
ان امركم الكرم العزيز له ١١ الجارى المتضمن الاوجه السديده

(١) مبدية ٨٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠ ربيع
آخر سنة ١٢١٥ .

اما من خبر اجتماع الزاكي عثمان وثمان دقه فهو غير صحيح
ال ان عثمان دقه محمد رفض التحرك الا بامر مباشر من الخليفة
راجع مبدية ٨٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة
بتاريخ ١٢ ربيع اخر و ١٥ ربيع اخر سنة ١٢١٥ .

(٢) مبدية ٨١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ ربيع
آخر سنة ١٢١٥ .

التي رأيت سيادتكم موافقتها ثم اتفقت كلمة المسلمين عليها وهي عدم موافقة إقامة الجيش بالعمرة من حيث عدم وجود من يعاونه في شروونه من اهل البلد ومن حيث عدم وجود فتية من المسلمين تلزم الحماية عليها ومن حيث عدم موافقة الحل لاتخاذ الطوابى والمراصد الى اخر ما به من اننا نجتمع اطرافنا ونحضر لجهة السيلوتة بكافة الجبهتين ولنا الاذن في الحضور اليها دفعة واحدة او ربع ربع ٥٠٠ شمرنا بمروءة وفهم صافيه لاخوه)) (١) وقد وافق محمود على التحرك لجهة السيلوتة ووعد بالاستعداد لعمل ذلك " والحال سيدي ان مآرات سيادتكم موافقتكم واغثت عليه كلمة المسلمين لاينبغي لنا ان نحيد عن العمل به ولا ان نتأخر في اجرائه ولكن من حيث انه اشهر بالحزم وجمع الاطراف فيها داهكم في مسافة مروءة حررت لكافة الانتصار المتقين بالشرق والغرب للصلحة ولجلب الغلال وغيرهم بالحضور عندنا سريعا بكافة عيالهم وحررت ايضا للمكرم محمد الزاكي عثمان بالحضور عندنا بكافة من معه واما المكرم عثمان ابن بكر دقته فلداي ما نواه من اهمية عدم تأخير هناك ولو لم يكن مذكورا بالامر فقد حررت له بالحضور بكافة من معه ٥٠٠ ولدى تكاملهم يصير قيامنا بهم نحو السيلوتة ان شاء الله تعالى ان كان دفعة واحدة او على طائفتين بحسب ما تقتضيه المشورة ونرى فيه اوجه الحزم)) (٢) ولكن رغم

(١) مهديه ٨٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع

آخر سنة ١٣١٥ هـ

(٢) نفس المصدر نفس الخطاب السابق " قبله "

موانعته على التحرك فان محموداً يستدرك ويقول
 " ونقول سيدي انه لا محيد لنا من اتباع الاشارة
 والعمل بها غير ان القيام فيه جملة مضار في السدين
 اولها ان جهة المتحمه هي الحزم لكفاية الطرق التي هي
 المظه للحضور الكفرة بها كمثل طريق جندول وطريق
 القرمصا وطريق ابو حراز وتوسطها في دار الجعليين
 ثانيا فان الجيش الذي مع داعيكم لا يخفا سيادكم حاله
 في رغبته لا وطائه وفي انهم تركوا اولادهم ونساءهم في
 الغرب وان الاغلب منهم مستجدين في لزوم السرايا والصبر
 في رماطات الجهاد واذا رأوا رجوع الجيش مع قرب العدو
 واقترب زمن الملاقاة فلا يرد على افكارهم شيء سوى
 الانسلاط والتسلل من الراياتة شيء فشيء الى ان يحل
 نظامهم يخرجوا من اليد بالكلية فنصرف الفكر فيهم اكثر
 من انصرافه الى الامدء الان وهذه الحالة محتوم عندنا
 وقومها اذا تحركنا بهم الى جهة السبلوقة المذكورة كما انه
 محتوم عندنا بحسب الظن انهم ماداموا هنا لا يحصل منهم
 الا الثبات .. واما من جهة موافقة السبلوقة لاتخاذ الطوابي
 بالنظير لضيق البحر فان البحر لا حرب فيه غير الواجبات
 وبعد بحسب القياس بما معلوم في حال الكفرة ان يرسلوا
 وابواتهم الى السبلوقة بدون جيش واذا كان المذاركه على
 جيشهم الذي بالبحر وأن التواتر فيه من الاخبار انه سيحضر
 صارب بالصحرء بدون ان يتستر بشيء وعلى هذا

فجبهة العتمة اولى في الحرب)) (١) ومرة اخرى رضى
الخليفة بالامر الواقع ووافق على بقا محمود وجيشه
بالعتمة " فتعلمك ان جواباتك المذاكر فيها وصول ما تحدد
لك في كيفية الحضر بالسبلوقة وايضا حاك الاربعة
الدالة على امنية الفضول بالعتمة الخ مذكورة وصل
فيهم ووافق)) (٢)

ولكن المظالم لم يطالب محمود اذ سرطدن ما حضرت
اليه واموات كشمير وسببت له الكثير من القلق والازعاج
وقد وصله خبرها قبل ان تصل اليه من الزاكي عثمان " ندى
سيدي انه قد علم لك من الوصية التي اوصى لك بها
العكر محمد الزاكي عثمان بان واموات الكفرة ستحضر قريباً
بالعتمة وهم منها ايضا ان اهالي البلد جميعهم لا امان لهم
.. وهذا وما تواتر لنا سابقا من اهالي نسرى من مواصلتهم
للكفرة بطريق جندول واعمالهم بابراهيم الحاج محمد بن عيسى
الهالك عبيد الله محمد المقيم هناك وجلبهم للاخبار عيسى
ورفع ما علموه من احوال الجيش هناك واحوال البقعة الخيرة)) (٣)
وقد بدأ محمود في الاضطراب وشرع في تهجير الاهالي وعدم
الثقة فيهم ومضايقتهم من اجل ذلك " وقد اوصى انفسا
معها بان اولاد الريف الطويحية لا امان لهم لان الذين
معهم هربوا وارتجعوا الى الكفرة وان اهالي البلد على
محمومهم لا امان لهم بعد الذي شاهدته منهم)) (٤) وقد
بدأت الوابوات بزمزمة الفرق المتقدمة من جيش محمود
والتي كانت تحت قيادة عبيد القادر دليل)) (وهنا هذا

(١) مهيده ٨٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع

آخر سنة ١٢١٥ .

(٢) مسود ٩٥/٤/٢٨١ من الخليفة الى محمود بتاريخ

١١ ربيع آخر سنة ١٢١٥ .

ورد لنا خطاب من المكرم عبدالقادر دليل يذكر به انه بعد قيامه من جهة الكتاب لعقده الواهوات بالطريق وجاوزته ثم ضربت الاصحاب وهي اثنين وقد كان وضربوها بالاسلحة فولت مدبرة ولم ترجع اليهم ((١)

في يوم ٢٠ ربيع آخر وصل الزاكي عثمان بجيش يسير الى العنتمة واجعا اليها في غاية الاضطراب والرقم من ان محمودا كان يشكو من عدم وجود جيش بالشرق ليمنع " الكفرة " من الوصول الى امدرمان من ذلك الطريق - بالرقم من ذلك جاء طلب من جيش الزاكي عثمان عبور النيل من الشرق الى الغرب " تبدي سيدي ان المكرم محمد الزاكي عثمان قد وصل عندنا بالمتعة والانتصار الذين مع جاري قسطنطين من الشرق وممن يومنا هذا احد يكره ان شاء الله يتكاملوا كلهم ٥٠ وهم نواهم في غاية الانحلال حتى ان قسطنطين لم يكن الا بشق الانفس فضلا من كثرة العليل ((٢)

في يوم ٢٥ ربيع آخر وصلت اخبار لمحمود بان جيش " الكفرة " ينوي الضرب بالواهوات لطارية عبدالقادر دليل وكذلك شتم جيش من جندول لذلك الغرض وبعد وصول تلك الاخبار ارسل محمود خصالته من الخيول لمساعدة عبدالقادر دليل (٣) وفي ٧ جاد اول سنة ١٣١٥ ارسل محمود الى الخليفة يخبره بمحاربة الواهوات لبعض الانتصار (٤) وفي يوم ١٨ جاد اول

(١) مهدية ١/٨/١٨٨٨ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٥ ربيع آخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١١٧١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ ربيع آخر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١٥٧١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٥ ربيع آخر سنة ١٣١٥ .

(٤) مهدية ١/٨/١٠١١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جاد اول سنة ١٣١٥ .

حضرت السابورات مرة أخرى " نهدى سيدى اءه يوم
تاريخه السافة اربعة نهارا قد حضرت وابورات الكفرة
الثمة وهى ثلاثة ومنذ حضورها قهبا من حلة شمدى
ضربت جلتين ثم استمرت فى المضاربة لغاية تحوير هذا ((١))
وفى ١١ ربيع آخر سنة ١٣١٥ يكتب محمود مرة أخرى عن حضر
الابورات ومطارتها لهم (٢) واستمر حضر الابورات خلال
شهرى رجب وشعبان وفى خطابه للخليفة فى " شعبان
نجد محمودا يكتب ((نهدى سيدى اءه منذ سبعة ايام قد
صارت وابورات الكفرة تغيب يوما واحدا من جزيرة سرديسة
التى هى بمرأى العين من ديم الثمة وصارت تغيب يوما
وتضارب يوما ومع ذلك فانها متروكة بحيث كل يوم يحضر
واير آخر يتوجه الذى قبله)) (٣) ووجود السابورات بهذه
الصفة جعل تحركات جيش محمود غاية فى الصعوبة اذ انها
هددت كل طرق مواصلاته ((استقر سيدى ان الاخوان
الذين بالشرق لا يد من جمعهم علينا ولكن المراكيب
متعددة لان السابورات اخذت بعضها فى محاربتها السابقة
والذى فضل قليل جدا ولا نفع فيه حتى بمقاطعة الانصار
فى هذه المدة توفوا منهم بالفرق نحو المايطان نفر وقيادة
من صوم الانصار بخلاف البهائم والخيل وفى جميع
امورنا معتمدين على الله ومتوكلين عليه لا على شئ

(١) مهديه ١١٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٨ جاد
اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١٢٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ جاد
آخر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهديه ١٧٤/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ " شعبان
سنة ١٣١٥ .

من الاسباب انط هذا اعلان لجنايكم والامر مفضول والسلام)) (١) وقد كان أكبر ضرر حدث لمحمود من هذه الواجبات هو تهديدها لخطوط تموينه من البقعة فانه عندما اشتد عليه الضيق طلب بعض المؤن من البقعة ولكن الخليفة لم يجزؤ على ارسالها له بالتمتة خوفا من تعرض الواجبات للمراكب التي كانت ستحملها ، ولذلك فقد قرر الخليفة ارسالها الى وادي بشاره وارسل محمود مناديب لاستلامها من هناك وترحيلها بالبر الى المصممة " فنعلمك ايها العكرم انه بالنظر لشفتتنا على الاصحاب الذين معكم واهتمامنا بامركم الجميع وان كان امر العيوش هنا متمسرا نظرا لتراكم الجيوش هنا من كل الجهات فيها قد شحت لكم المراكب بالعيوش ومتوجه لطرف العكرم عبدالباقى عبدالوكيل لكن يضعها لكم في المحل الموافق تحت امانته فبحول هذا اليكم فانظروا باتفاقكم الجميع وانتدبوا حالا من تخطرهم من الرجال الامناء لاستلامها من العكرم عبدالباقى واصحاب الطريقة المؤدية لنقلها اليكم بطريقة البر بغاية الصيانة والحفظ .)) (٢) وحتى بهذه الطريقة فان طرق مواصلات محمود لم تكن في امان وقد ظلت على ذلك الحال الى أن اضطر محمود أخيرا لترك التمتع تحت ضغط قلة المؤن وصعوبة وصولها اليه .

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) مهدية ١٠٤/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ

٢٥ رجب سنة ١٢١٥ .

اما تحركات كتشينو وانفصرق التي كانت معه فقد كانت ايضا من اكر الدوام التي ادت الى ازواج محمود وتركه في وضع لا يستطيع معه اتخاذ رأى محدد وخطة يتحرك بمقتضاها ٠٠ فتارة يتأكد لمحمود بان جيوش كتشينو قد تركزت في جهات دثقلا وانها قادمة الى المتمة عن طريق جقدول مولكن سرطان مايتضع له قدومها عن طريق ابي حمد ، ثم يتأكد له وجود بعض الفرق تحت قيادة سلاطين ومعهم كثير من العيران الموالين للحكومة ويتأكد لديه انها قد تحضر الى المتمة في اى يوم من الايام مولكن تحضر جيوش كتشينو عن طريق بربر وتستلمها ويتأكد لمحمود ان الجيش الذي سيقاتله سالك طريق النهر نحو ، ثم فجأة تعمله الاخبار بان هذه الجيوش قد هاجمت جيوش عثمان دقنة بالشرق " نهدى سهدى انه بعد تحرير البوسطة بالنهار الماضي هذا وتضمنتها ما عندنا من الاحوال قد حضر بطرقتا بعض الاصحاب الذين كانوا بالشرق لطلب المعاش وذكر انه منذ ثلاثة ايام تقابل مع موسى على دقنة الذي هو الركيل للحكم عثمان ابي بكر دقنة وانه اعطاه جواب ورقب منه توصيله اليه وصوله وتلاوه وجدناه محرر بن على منطال (١) يذكر به قيام نقطش الفاشر واصبرى بمسند محاربة الكفرة ومسالاتهم وقد اشتغل فكر داهمكم (٢)

(١) يقصد عثمان دقنة وقد كان المهدي قد سعى خلفاءه باسماء الخلفاء الراشدين فسمي عثمان دقنة خليفة على بن ابي طالب .
 (٢) مبهدي ١ / ٨ / ٢ / ٨٤ من محمود الى الخليفة بطاريخ ليسلة ١٥ شعبان سنة ١٣١٥ .
 بعد وصول جيوش كتشينو لبربر تحركت بعض فرق الكشافه تحت قيادة هنتر جنبها طي نهر العطبراوى واجلت الانصار عن نقطش الفاشر واصبرى .

وقد كانت تحركات السردار نفسه مصدر قلق لمحمود فقد كان كاشف يتحرك طرة بجهات دنقلا ونسابة يرجع الى مصر ومرة يعرف محمود انه ذهب الى جهات مصوع * وايضا فان تحريك الكفرة على جهات الفاشر واصبرى مما افادنا صحة الخبر المتقدم في أن سردار الكفرة توجه لجهات مصوع لحصول الموافقة مع التلياني وكل هذا فلا يخفيهم شيئا إذ أمر الله تعالى لاتدفعه التحصينات ولا تؤثر فيه هذه التدابير (١) وكذلك فقد لعبت تحركات العريان بجهات جندول دورا بارزا ففى عدم استقرار محمود وعزمه وعدم رغبته في ترك المتعة قبل ان يطمئن الى تأمين مؤخره * وفى محمود متمسعا في المتعة لا يهضم عنها حراكا وارهق جيشه بالتحركات سديمة الفائدة والمعمور من الشرق الى الغرب على حساب راحة الجيش * وقد اتضح له اخيرا بانه اضاع وقتا هاما في التسردد وعدم التمسكهم نحو بربر ففى ٧ جمادى اول سنة ١٢١٥ يكتب للخليفة بمسائه قد اتضح له بان تاخير المتسعة فيه ضرر كبير له ولجيشه :-

(١) نفس المصدر السابق .

((وإذا كان كذلك فإنا تأخير الكفرة عن الحرب الحالة هذه إذ صرح أمره لا يمكن أضرب منه للجيش هنا بل إذا صرح فلا ينهض التأخير بالتمسك وتجب المبادرة إلى بربر لاسترجاعها منهم بقوة الله تعالى)) (١) أما عن جهة جندول فانه يقول عنها ان لا طريقتها قد يهين من المياه من الان فصاعد وصار متعذر قدومهم به الا ان يكونوا في قلة لا يعيا بها ولا يحثروا معها في شيء)) (٢) وقد طلب محمود على ذلك ان يأذن له الخليفة بالسفر إلى بربر بشرط ان ترسل له الغلال التي تكفي لسؤيته الجيش وان تكون خطته في التحرك هي ((ان يكون قيام الجيش بالشرق والغرب حسب الكفاية اما الغرب فداصمكم ومن معه يقوموا بأمره واما الشرق فإنا كان يوافق اجتياح العكر اعمد فضيل والعكر عثمان ابى بكر دقته بمن معها ويزادوا بمن يلزم اليها من الخيول وتوجهوا بالشرق ويكون سيرنا وياهم مرة واحدة كلا مثل يمرأى العين لصاحبه ونجد السير حتى نصل بربر ونتجاوزها وننزل بأبي حماد قريبا ان شاء الله تعالى ومنه الى آخر وجود الكفرة واستعمالهم بقدرة الله تعالى)) (٣)

ووافق الخليفة على تحرك محمود بل يحثه على ذلك يقول له انه لو كان قد فعل بالاشارات السابقة وتحرك الى هناك لما وجد نفسه في هذا الوضع ولما تمكن اعداؤه من الاستيلاء على بربر قبله . ولكن تلك كانت مشيئة القدر والان فليتكمل محمود ومن معه ويستعدوا للسفر

(١) مهيده ١٠٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) نفس المصدر السابق .

ولكنه يختلف معهم في الخطة التي وضعوها للتحرك فهو يرى ان الجيش الذي مع محمود فيه الكفاية ولا يحتاج الى اى زيادة بل انه يجب عليهم ان يتركوا فضل السنة وجداله حامد في العتمة عند تحركهم منها اما الجهة الشرقية فناء سيأمر عثمان دقنه بالمناوشات من تلك الجهات بعد تحرك محمود اما الغلال « فلتكن في امر الرزق والمعاش تثبتكم بالله قسوة واعتادكم عليه صادق فان رزق المجاهد فس سيفه » (١)

ولا يرض محمود بذلك فوجود جيش يرافقه بالشرق مهم عنده وهو يصبر عليه وكذلك لابد من اخذ ما يتكسب الجيش من المؤن والتالى فناء لو لم يوافق الخليفة على هذه الخطة فالولى له ان يبقس في العتمة ومنتظر قدوم اعدائه فيها « واذا لم يكن التصوجه لهم بالشرق والغرب بهذه الصلة فالاولى ان تكون اقامتنا بالعتمة هذه كما كنا وننتظرهم فيها حتى يحضروا لاننا اذا توجهنا لهم بجهة واحدة فليسوا من باب المساعدة لهم واقوى الدواعى لنهل اقراضهم لا اتم الله لهم فرضا » (٢)

ولكن الخليفة كان قد سئم العاطلة وعدم رغبة محمود ومن معه في التحرك نحو بربر فكتب اليهم « ولما نديتم بامسرت للجهات البعيدة ما كان القصد من توجيهكم الاقامة بالعتمة واستعطائنا وانما القصد منه ضرب الاعداء ورفعهم من جهات الاسلام التي استحوذوا عليها .. ولعلكم كنتم رأيتم وقتها ان الصلحة في اقامتكم بالعتمة والمأوى لا يعاد وقد ساءتكم

(١) مهيدي ١١٦/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٢ جماد

اول سنة ١٢١٥ .

(٢) مهيدي ١١٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٩ جماد

اول سنة ١٢١٥ .

فيه لصن ظناً بكم ولكن نواكم الى الان مصريين
على الاقامة بالعتمة حتى من الجيش الذي معكم الضرر
مع قرب الامداد منكم مع ما هو معلوم لديكم من أن رزق
المجاهد في سفينه وانكم كل ما اخوتم من جهاد الامداد
فبالضرر يتمكن فيكم)) (١)

ولم يبق لمحمود ومن معه الا التحرك من العتمة
الى بربر " .. وحيث ان الاشارة صرحت لك الان بان
الاقامة في العتمة لاصلة فيها فكذلك رأينا باجمعنا
اغراض ان الاقامة بالعتمة لاصلة فيها ورفضناها بالكلية
بل رأينا ان الاقامة بعد هذا ضررها عظيم ولهذا فبعد
الشورة اغتبط على التسيام والتوجه الى بربر بطلة الخفة
كما ومن قبل ذلك عازمين السفر اليها ... وقد عزمنا
اكيدا حتى اخواتنا الغائبون المذكورون اغاثتهم
معنا في هذا الاغراق وفي يومنا هذا اخذت نفسي
الاهبة والاستعداد سرا لانه لم يعلم بذلك احد مطلقا
حتى ترد لك الاشارة الكريمة من جلالكم .. (٢) ولكنهم
فضلوا ان يوضحوا الطلة التي ال اليها الجيش قبل ان
يتحركوا لعل الخليفة يراف بهم بعض الشئ" وبلغت نظره
اليهم واقترحوا ان يسمح لهم بالتحرك بجهة الشرق
لان جهة الغرب صارت قاحلة للغاية)) وقد ال امرهم
الان الى طلة ليس بعدها شئ من الضيق حيث طارت النقط
الموضوعة بالشرق والغرب لضبط الطرق تخالفا بما ليس في الطاقة
الصبر عليه

(١) مهيدي ١٥٢/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٨

رجب سنة ١٢١٥ .

(٢) مهيدي ١/١٦٦/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ

٢٢ رجب سنة ١٢١٥ .

هذا بخلاف الحالة المشاهدة فيهم بالديم من شدة الضائقة التي لا تطيق القوى البشرية العبور عليها ٠٠٠ وايضا فساط نرى بحسب رأينا القاصر ان طريق الشرق اولى لنا واحسن وذلك من باب الشفقة على الجيش لاغير لانه وان لم يكن به شئ من الغلال كما تحقق فندنا لكن لاتعتمد بعض الاعشاب التي تنفع الخيول والبهايم وبعض النسل ايضا فان سكة الحديد التي هي اعتماد الكفرة فانها بالشرق ٠)) (١)

وقبل ان يتحرك الجيش جميعه بطريق الشرق شرع محمود في جمع اطرافه بحيث الفرق التي كانت بالشرق صغار جميعها الى الغرب اولا ((حتى ٠٠ صارت المرضات في هذه الايام قريبا من طالة الجيش الاولى)) (٢) ثم بعد ذلك شرع في العبور بالجيش كله مرة اخرى الى الشرق " نمدى سيدي ان اسركم الكرم العزيز له ٢٦ شعبان المتضمن الاذن لدايمكم ومن معه القطوع للجهة الشرقية والتوجه الى بير علي طول لضرب الاعداء ٠٠ تشرفنا بهورده ٠٠ وفيهضاه والحال سيدي اما من جهة القطوع للشرق فقد صار الشروع فيه وتكاملت ثلاثة ارباع وهي ربع العكرم البشاري بمدة ربع العكرم محمد فضل الله وربع العكرم الفضلي ادم وعلى اشرفا سيكون قطوع ثلاثة ارباع اخرى ان شاء الله تعالى وطاذاك الا لقلة المراكب ومع ذلك فاننا في المراقبة لوابورات الكفرة في كل ساعة لانها لو علمت قطوع الاصحاب فلا تحصل منها راحة واما العكرم عبد القادر دليل فقد رأينا ان الاولى اقامته في محله حتى يتكامل الجيش ثم هو يحضر

(١) مبدية ١٦٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٣١٥ .

(٢) مبدية ١٧١/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١ شعبان سنة ١٣١٥ .

بمن معه خفائي وقطع في الآخر (١)) (١) وفي هذا الاثناء
 وصلت اليه الفرق التي مع عثمان دقته ونزلت بجهته
 شندى لتضم الى الفرق التي مع محمود بصفة مؤقتة كما
 وضع الخليفة لمحمود من قبل هشهر محمود الى وصول عثمان
 دقته ومن معه في خطابه الى الخليفة في ١٧ رمضان ١٢١٠
 ثم ان المذكور وصل اس طارخه بحلة شندى ونزل بها ولاية
 البارحة ارسل لنا مكاتبة بمختصر تفهيد وصوله وتتضمن
 نغوى الاشارة الكريمة التي صدرت اليه ووقته كتبنا
 له بشكر صنيعه والاستبشار بقدمه وعرفته عن
 سرمة حضرة الشرف قريبا ولفظ انه ان يقيم بشندى
 لغاية المقابلة معه (٢)) (٢) واستمر محمود ومن معه في حور
 النيل الى الشرق ولم يكتمل عبور الجيش واستعداد له للسفر
 حتى ١٦ شوال حين كتب محمود للخليفة ردا على خطاب الاخير
 بتاريخ ١٢ منه والخاص بارسال الخليفة لبعض الهجاء ليأتوه
 بخبر الجيش ان يقول محمود :- ((٠٠) والطل سدى ان
 رافعه وجدونا على حركة القيام وومنا هذا ساغونا
 على بركة الله تعالى بكافة الانتصار ونرجوا الله حسن العاقبة
 وان لا يبلغ سامعكم الا طيسر خاطر الكرم (٣)) (٣)
 وبعد تكامل جيشه بالشرق وبالرغم من اغلاق
 الجميع على ذلك الطريق الا ان الجيش لم يكن عنده
 طريق مرسوم يسير عليه فقد تهرّب محمود

(١) مهدي ١١٣/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠ رمضان
 سنة ١٢١٠

(٢) مهدي ١١٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٧ رمضان سنة
 ١٢١٠

(٣) مهدي ٢١٩/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٦ شوال
 سنة ١٢١٠

بين السير بالقرب من النيل لتوفر المياه به ومن
 البعد منه خوفا من اذى الطيور التي تسير فيه ،
 كذلك لم يكن الراى قد استقر على كيفية التحرك بالجيش
 هل يكون ذلك بتقديم بعض الفرق ثم الطاقها بفرق اخرى
 بعدها ام يتحرك بالجيش كله دفعة واحدة ، وعليه فقد
 قرر محمود ان يجتهد في اتمام امر العبور للشرق اولا
 ثم يخبر الخليفة فيما عجزه بعد ذلك ((٠٠ وايضا بعد
 تكاملنا بالشرق نستفيد سيادتكم بصفة القيام وانعزم
 عليه نحو الكفرة)) (١) وقبل ان يكتمل امر الجيش للشرق
 ارسل محمود الخيول امامه الى جبل ام على للاستكشاف ((
 نهدى سيدي انه بالنظر لوجوب الاحتراز من مكيدة الاعداء
 في سائر الاحوال قد رأينا بعد اتفاق شورة الاخوان ان
 الخيول الموجودة بالشرق جميعها تنوب والحالة هذه الى
 جبل ام على وان تكون تحت قيادة المكرم حماد ادريس وان
 يستكشفوا من هناك خبر الاعداء)) (٢)

وبعد ان اكتمل الجيش بالشرق جمع محمود من معه
 وشاورهم في امر كيفية التحرك بالجيش - والطريق الذي يسلكه
 فاتفق رأيهم على متابعة النيل على مراحل مختلفة تعمل في كل
 مرحلة الطواهي مقدما قبل ان يصل اليها الجيش الى ان يصلوا
 الى نهر عطبرة ثم بعد ذلك يفكروا فيما يحدث بعد ان يصلوا هناك

(١) مهيدي ١٩٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥ رمضان
 سنة ١٣١٥ •

(٢) مهيدي ١٩٩/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٩ رمضان
 سنة ١٣١٥ •

" نهدى سيدى انه بمشورة الاخوان جميعهم فى الطريق الذى يسلكه الجيش فى حال قيامه وذلك بحضور المكرم عثمان ابن بكر دقسه قد اغتسقوا على انهم يسلكوا طريق البحر اذ لا توجد المياه فى غيره وحيث كان كذلك وان الكفرة جل اعتادهم على وابوراتهم ومغترين بها فربما بعد قيام الجيش تتعرض له فى محطات المورداو فى حالة نزوله ولهذا فقد اغتسقوا الاخوان بعد المشورة على ان تعمل الطوايس اللازمة بجهة كبوشية مقدما وتربل اليها المدافع ثم الجيش يتكامل بها ومنها مرحلة مرحلة بهذه الصفة حتى تعمل السس الاتسراوى ومن هناك تجرى التدابير الموافقة بحسب الاحوال الحاضرة وحيث ان المدافع لا يمكن ارسالها مقدما الا بالجيش الكفاية فقد اثنى رأى الاخوان ايضا بتعيين اربعة ارباع تكون مقدمة الجيش)) (١)

ولما وصل محمود الى جبل ام على فى يوم ٢١ شوال اتضح له ان هذه الطريقة لا تجدى اذ ان النيل مكشوف بعد ذلك وسيكون جيشه عرضة لهجوم الواورات ولذلك فكر هو ومن معه فى طريقة اخرى وهذا اختلف رأيهم فمنهم من رأى الاستمرار فى السفر بمحاذاة النيل حتى الدامر ومنهم من رأى ترك ذلك الطريق والتوجه شرقا حتى يصلوا الى نهر عطبرة)) نهدى سيدى انه يوم امس تاريخه قد تم وصول داهمكم ومن معه بجبل ام على وبعد النزول فيه والاستشفاء من المحلات التى اطاعت قد اتضح بواسطة اهل الخيرة من الاصحاب كمثلى ناس المكرم حطاد ادريس وغيره ان البحر من حد جبل ام على هذا ولغاية الدامر كشف وقد صارت

(١) مبدية ٢٠٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٦ رمضان

جزائره وخيرانه المقطعه كلها بجهة الغرب
 ليس بالشرق منه شيء الا وادى الكباراب ولهذا يصعب
 مرور الجيش على البحر مادام بهذه الصفة سيما
 ووابورات الكفرة وجدناها راسية بقصد الجبل المذكور
 منتظرة مرور الجيش عليها وماذا الا لعلمهم بان البحر
 يمكنهم غاية التمكن في الغرب لانكشف سواحه واستوا
 اراضيها ومع هذا فبعض الاصحاب اشار بان السيفر
 بالبحر اولى لغاية الوصول الى الدامر وذكر بان السوابورات
 وان سلفت فلا تمنع البحر كله ولا تقدر ايضا ان تمنعه
 لئلا ومع الاصحاب اشار بان الاولى ان نستعد من جبل ام على
 هذا بعد جمع الجيش الذي اماننا من مره خيولهم وناخذ
 الكفاية من المياه ونقسم من هنا بطريق الخلا لغاية
 اتيرة وحيث انه لم يحصل التعول على العمل باحد الوجهين
 المذكورين لزم هذا للمعلومه بوصولنا للجهة المذكورة
 وما يتفق عليه الرأي بعد هذا سنجرى العمل به (١)
 وتورد كتب التاريخ هنا بأه قد حدث خلاف
 بين محمود وشطان دقته حول الطريق الذي يجب ان يسلكه
 الجيش فبينما كان محمود يرى ان يتابع الجيش الطريق المعادي
 للثيل كان شطان دقته يرى ان يتركوا محاذاة الثيل وخرسوا
 في الصحراء في اتجاه نهر قطره وتنزلوا على الجيش الغازي

(١) مهدية ٢٢٥/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢

من الخلاف في جهات بربر او بعدها وقد رفعوا هذا
 الخلاف الى الخليفة^{الذي} انتصر لرأى عثمان دقته (١) ولم
 نجد في الوثائق التي معطى غاميل هذا الخلاف بين
 محمود وثمان دقته ولا دليل على أن الخليفة قد انتصر
 لرأى عثمان دقته على رأى محمود ولكن يتضح من خطاب
 محمود السابق الذكر الى الخليفة (٢) بتاريخ ٢٢ شوال
 ١٣١٥ كانت هناك وجهة نظر مختلفان حول الطريق الذي
 يسلكه الجيش في مسيره ونرجح ان تكون فكرة البعد
 من النيل والضرب في الصحراء حتى الوصول الى نهر عطبرة
 هي فكرة عثمان دقته لانها تتفق مع طبيعته في الحرب
 التي اتبعها في حروبه في شرق السودان وكذلك فان
 الطريق المقترح في اتجاه المنطقة التي عرفها عثمان دقته

(1) Shibeika: British Policy in the Sudan
 Op.Cit., P. 383 & P.M. Holt: The Mahadist
 state in the Sudan P. 219.

كذلك شيبكه : - السودان عبر القرون بيروت ١٩٦٧ من ٢١٥ - ٢٦٥
 يقول : وسار محمود وجيشه محاذيا النيل يستقي به حصى
 العالياياب ومنها غيروا اتجاههم للاتفاف حول جناح الجيش
 بعد أن عقدوا مجلسا حربيًا وتناقشوا وكان ان تم الاتفاق
 على فكرة الالتفاف وقد نادى بها عثمان دقته هو بطل الحرب
 الصحراوية ومن انصار الهجوم المفاجئ فير المنتظر والخطة
 تقضى ان يوفلوا في الصحراء عندما يكونون قبالة عطبرة وكسور
 ثم يهبطون الى النيل فيس بربر فيحولون بذلك بين الجيشين
 وخط رجعتهم وتقطعون مواصلاتهم *

واغلب الظن ان يكون كل هؤلاء قد اعتمدوا على ماورد في
 Egypt. Int. Rep.No.49,13th. Feb to 23rd.
 May 1898 . See. Appendix G 1.

(٢) مهيده ١٣٠٨/٢/٢٥٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢

شوال سنة ١٣١٥

من قبل والتي يشعمر فيها هو وجماعته بالطائفة والراحة النفسية لانهم كانوا قد طرقتها من قبل عند حضورهم من ادراكا نحو شئدى للانضام لجيش محمود ولكن مع توجههم الى حدوث الخلاف بهذه الصورة فاء يستعد ان يكون قد احيل الى الخليفة فائد رأى فتان دقة بل الارجح ان يكون الاسر قد طرح للتشاور بين رؤساء الارباع الذين حسمو في مكانهم بتفضيل الرأى القائل بالبعد عن معاداة النيل والضرب في الصحراء ويتضح هذا من مقارنة التاريخ بين حدوث هذا الخلاف وبين تحرك الجيش الفعلى بالطريق المقترح فقد وصل محمود الى جبل أم على في يوم ٢١ شوال وكتب للخليفة بذلك في يوم ٢٢ شوال ليخبره بحدوث الخلاف في وجهتي النظر حول طريقة سير الجيش بخطابه " رقم ١٢٥ الساف الذكر " (١) ثم قام الجيش فعلا وتحرك من جهة العالهاب بالطريق المقترح بعيدا عن النيل في يوم ٢٤ شوال (٢) اي بفارق يوم او يومين على الاكثر ولهذا نستعد ان يكون امر الخلاف قد رفع الى الخليفة ووصله واتخذ فيه رأيا بمساعدة فتان دقة وكتب به الى محمود وارسله له ليصله ويتخذ فيه قرارا وكل ذلك يتم في ظرف يوم واحد او يومين مع بعد المسافة وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن (٣) وماليه فان الارجح هو ان يكون قد حدث خلاف حول الطريق الذي

(١) مهديه ٢٤٥/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ شوال

سنة ١٣١٥ هـ

(٢) مهديه ٢٤٥/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٤ القعدة

سنة ١٣١٥ هـ

(٣) ماورد المخابرات المصرية في هذا الصدد هو انها تؤكد وقوع الخلاف بين فتان دقة ومحمود احمد حول الطريق الذي سيملكه الجيش ولكنها لا تؤكد ان الامر قد رفع الى الخليفة بل فقط ترجح ان يكون ذلك حدث وانه انتصر لرأى فتان دقة وتورد ان كل طاعنه الذين امدها بالاخبار انه في يوم ١٨ مارس برزت خطابات من ام درمان قام بعدها الجيش مباشرة نحو ام ضبيح

يسلكه الجيش بعد جبل ام على ، وان تكون فكرة البسعد من محاذاة النيل هي فكرة عثمان دقيقة ، وان قد تم التشاور بين رؤساء الارباع فيما بينهم وافقت مشورتهم على اتباع رأى عثمان دقة فاتبعوه وكتبوا للخليفة لاصلامه بذلك فقط ((تهدي سیدی اء بعد قیامنا من جبل ام على قد توجیهنا الى جهة العالیاب ومن هناك اتفقت المشورة على التوجه الى بحر اتره وعلى النزول فيه لمصلحتین جبرط على ذلك احدهما ان البحر من العالیاب والى سربر مکشوف وليس به شیء من المراد واذ سار الجيش عليه يحصل لوابورات الکفرة فاعیسة التمكن والثانية ان الجيش لم تکن معه زواده يوم واحد وبحر اتره المذكور فيه الدوم مع ما فی نزوله من سهولة التمكن بالبلد والاعداء ٠٠٠ وعلى ذلك فقد توجیهنا من العالیاب فی يوم الجمعة الموافق ٢٤ شوال ونزلنا فی بحر اتره بمسوم السبت الموافق ٢٥ منه وكان نزولنا قریبا من جهة ام ضبیح والمسانة منها والى جهة الداخلة نصف يوم)) (١)

ثم رجع محمود من ام ضبیح قلیلا على نهر عطبره حتى وصل النخيلة وسرّحول محمود الى هناك صارت تلك اخر نقطة يصل اليها ذلك الجيش حتى قابل جيش کاشغر فی الواقعة المعروفة بواقعة " النخيلة " او موقعة عطسبره " وقد بقى جيش محمود بتلك الجهة بدون حراك الى أن بدأت المعركة فهنا عدا تحركات بعض الفرق البسيطة وبعض المناوشات الخليفة فقد ارسل محمود بعض جماعة عثمان دقنة لاسترجاع نقطة ادراما (٢)

(١) مہدیہ ١/٨/٢٢٠ من محمود الى الخلیفہ بطاریخ ٢ القعدہ

سنة ١٣١٠

(٢) مہدیہ ١/٨/٢٢١ من محمود الى الخلیفہ بطاریخ ٥ القعدہ

سنة ١٣١٠

وكذلك الفرة الكوة من الاربعائة حصان التي ارسلها محمود تحت قيادة البهيت النمرى للاستكشاف والتي التحمت مع دهره مشايبه من جيش كشنو في يوم ٢٧ شوال سنة ١٢١٥ (١) . وفيما هذا هذه التحركات البسيطة والمناوشات فان جيش محمود قد بقى في مكانه بجهة النخيلة الى ان حضر له جيش كشنو " . وقد كلف نوى ان الاولى بل الواجب عدم التأخير في مناجزتهم الحرب الا انه بالضمح في احوال الكفرة بها علم من تربصاتهم فقد اقتضت المشورة من صوم الاصحاب ان ينتظروهم في محلة هذا حتى يحضروا اليه بغرورهم ويجمعوهم المعارية عن المعونة الالهية وقد جبرتنا على ذلك ثلاثة اوجه اولها ان الكفرة لم يتميزوا خارج جهة الداخلة الا لاجل ما دبروه في اتخاذ المراصد التي تقدم ذكرها وخاية امنيتهم ان نالتهم بالجيش بها فيمكنوا من الضرب . . . ولانهم ان الجيش اذا اقدم عليهم فاذا لم يخرجوا له في يومهم فانه لا يقدر على الصبر ليلة واحده لانعدام الزاد منهم كلية اسيرهم وامورهم وايضا لم يكن بتلك الجهة شئ من شجر الدوم يتقوتوا به الاصحاب وهذه اهم الامور واصعبها وفيها من الفشل والا خفا فيه . وظل ان الذي علم من خبر الجهادى الذى توخى امره انهم سيصبروا مائة اربعة خمسة ايام فاذا لم تقوم اليهم فسيأتون في عددهم وحسبدهم . . . ومع ذلك فالمحل الذى نحن به الان مراصد جيله لحرب الخيل ولحرب الاسلحة وايضا اشجار الدوم به كثيرة ولذلك فقسد اقتضت المشورة مع مراعاة الصلحة الدينية العمومية ان تنتظرهم في محلة كونا مستعدين وقد كان والحالة هذه

(١) مهدية ١٢٥٠/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ « التعمد » سنق ١٢١٥ .

مستعدون لحربهم بها في جهتنا ولا زالت طلباتنا
 واردة مستوددة عليهم لئلا ونهارا ٠٠٠ استقر
 سيدي ان العمل الذي به الكثرة يسمى اليهودي
 وابن مدار على طرف الابتسار والى الذي يسمى
 نين يسمى ولد حسب الله وما بيننا الا جهة ام ضيع ((١))
 وهكذا وصل محمود ومن معه الى نهاية مطالبهم
 بعد ان ارهقتهم التحركات الكثيرة بغير هدف، والتخطيط
 على غير هدى والسير على غير خطة، ولم يكن وصولهم
 لام ضييع تنفيذا لمخطط سابق يضمن لهم حسن اختيار
 المكان المناسب ولا بتدبير يحقق لهم اى مواقع استراتيجية،
 وانما ساقطهم اليه الظروف، واضطرتهم اليه مجبات الاحداث،
 وقد ادى ذلك الى زعزعة شديدة واضطراب كثير في وسط
 ذلك الجيش، وتردد في اتان اى خطوة من جانب محمود
 عند مقابله لجيش كشنو بين الالتحام مع ذلك الجيش
 وبين الاحجام، ولذلك فقد قس محمود في ام ضييع لمدة
 طويلة بالرغم من ان حالة جيشه كانت لاتسمح بمثل ذلك
 الانتظار فقد كان جيشه جائعا مفتقر الى الغلال والعون
 والذخائر ولا امل له في وصول اى امدادات من امدد رمان،
 وكل شأخه يزيد في سوء حاله .

(١) مهدية ٢٣٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ . القعدة

ومن ناحية أخرى فإن تحركات جيش محمود
المضطربة وسيره على غير خطة مدروسة قد
ريكت كشعر أيضا ، ولم يتمكن من معرفة أماكن ينطوى
عليه محمود ، والتالى لم يتمكن من تحديد طريق سيره
والمكان الذى يجب ان يقابله فيه ، ولذلك فان كشعر
قد تردد كثيرا مثل محمود قبل ان يتخذ قراره النهائى
بمهاجمة محمود والزحف عليه ، ولم يتخذ قراره ذلك الا
بعد أن تبارح مع من معه من القواد بعد أن راسل
اللورد كرومر فى هذا الامر (١) ٠٠٠ وأخيرا بعد طول
انتظار وتردد اتخذ كشعر قراره بالزحف على قرية
جيش محمود وكانت موقعة " النخيلة " التى أسس
فيها محمود وثقت شمل جيشه .

(١) الضاميل اولى راجع :-

Cromer : Modern Egypt. Op. Cit Vol . II.

Pages 98 - 100 .

الفصل الرابع

مناصر الضعف

يتهم كثير من المؤرخين الخليفة عبدالله باهمالته
الاعتماد لجيش الامير عبدالرحمن ود النجومي في حمله على
الشال حتى هذه الجوع واضعفه نقصان المؤن وصار الى
حالة يرثى لها قبل ان يلتقى بالجيش الانجليزى المصرى
فى " توشكى " ، وذلك لان النجومي من " اولاد البلد " ^١
الذين تخلص الخليفة منهم جميعا لتشككه فى ولائهم .
يقول هولت ^٢ :-

" امثلاً فكر الخليفة عبدالله بتشكك متزايد ^{في} ولائه "

الاشراف والوزراء البلد الذين سيقفون معهم فى اى مواجهة
ضده . وبالرغم من اخلاص النجومي وخدماته الجليلة للمهدية
فان الخليفة قد تشككه ^{في} فجه لانه كان من الجعليين ومن احسن
العسكريين من بين اولاد البلد . " (١)

يقول هولت ان مخاوف الخليفة من جهة ود النجومي بدأت
منذ أغسطس سنة ١٨٨٠م ، فقد استدعاه الخليفة من الشمال
وارسله لمساعد فى فتح ستر التى كانت لا تزال فيها حامية تركية
ولكن سرعان ما امره بالعودة لام درمان مرة اخرى هو ومحمد عبدالكريم
بعد ان تم الاستيلاء عليها . ثم ظهرت هذه المخاوف مرة اخرى
عندما تولى عبدالرحمن النجومي قيادة الجيوش التى فى الشال ، فقد
ارسل الخليفة فى يوليو ١٨٨٦م ^{١٨٨٦} أحد أتباعه البقارة ، مسن
قبائل الهبانية يسمى مساعد قيسوم ، ليعمل كوكيل للنجومي
وقد كانت مهمته فى الحقيقة هى مراقبة ود النجومي ^٢ .

(1) P.M. Holt The Mahadist State in the Sudan P. 156 See Appendix D 1.

(2) Ibid.

صتهم قريشيل (١) الخليفة بتدبير هذه الحملة للتخلص من
النجومى فيقول في خطابه الذى ارسله الى النجومى قبل
موقعة توشكى ((يا ولد النجومى ارسل هذا المكتوب لا ملك يحضرى
لكى اتفقد حالة البلاد الراهنة ولا ينظر بعينى ما سمعته
من قائد عسكري الشجاع سماعة وودهاوس باشا اننا قد حضرت
وعلى اثرى الوف الوف من صاكر انجليزية ومصرية قد قاربتنا .

وقد جال في فكرى مسحك ومحو اثرك انت ومن تتبعك من على
وجه (الارض) نظرا لما جنته يمداك من الافعال البربرية
كاخذك من لا سلاح له تاركا (نساءهم) واولادهم بدون مدافع
ولا نصير وقد خربت بلادهم بعد ان كانت خصبة مزدانة بالغزوات
التي وهبهم ايمانها الله سبحانه وتعالى من شأنه .

فلماذا هاجت في مواطن الغضب وقصدت اخذ ثار هؤلاء
المساكين واملاكك انت ومن معك ولكن عند وصولى نظرت الى ضعفك
وانخذالك ووجدت بانك تصوت جوعا ظمانا .

واننى اعلم حق العلم بسوء حالتك لان مدعى الخلافة (عبدالله)
هاجت فيه شمائل الحسد منك فلم يجد له طريقا لاعدائك سوى
ارسالك اليها والعربان الذين يخاف شر عاقبتهم لانه عارف
ومتيقن بسسومة هلاككم ولذلك وضع مكاتك ابن اخيه يونس تخلصا
منك ومن اصحابك وانت مع ذلك فارقت في بحر جهالتك كخروف متفاد
الى الذبح اطعمت طاعة محيا فير ناظر لشر العواقب الواقفة
لك بالمرصاد . . (٢)

(١) الجنرال سمير فرانيس قريشيل سردار الجيش المصري .

(٢) مهيمة ١٠٥/٢/١/١ من قريشيل الى النجومى سنة ١٣٠٢ .

يقول هولت ان هذه الاتهامات ضد الخليفة لا بد ان يكون فيها شيء من الحقيقة ، وهي متداولة بين السودانين حتى يومنا هذا " الاتهام الذي في خطاب ترفيل أن الخليفة قد ارسل النجومى فى حملة ميئوس منها خصيصا ليتدخل منه وليكسر شوكة اولاد البلد ما زال يتردد الى يومنا هذا فى السودان وهو السبب الاساسى فى تمتع الخليفة بسمعة غير حميدة بين مواطنيه . ولا بد ان فى هذا الاتهام شيء من الحقيقة . وما لاشك فيه ان النجومى لم يحظ بشقة عبدالله مثل اقاربه امثال ابن عتجه وشعان ادم او حتى عثمان دقنه " (١)

فأسس الجيش الذى تبع النجومى الى الشطال كل الصعاب من عدم توفر الاكل والشرب والمؤن حتى قبل بداية تحركه من مقرة فى العرض لملاقاته اعدائه ، ولاقى القائد ههاعب شتى فى المحافظة على نظام الجيش وشكى من الشكوى الى الخليفة من عدم توفر المؤن والغذية مما جعل الانصار يهجرون راياتهم ويتعدون على حقوق الناس حتى انفرط عقد النظام ويقول هولت : ويظهر ان انعدام المؤن هو السبب الاساسى الذى اضطر النجومى للتحرك اخيرا نحو مصر : " ويبدو أن فقدان المؤن كان هو السبب الاساسى فى التقدم نحو مصر . ولما علم النجومى فى نوفمبر بان محمد الخير (٢) وعلى سعد (٣) قد انتدبا لتفسير قبائل اهل البحر للجهاد اقترح بان تتحرك القوات المربطة فى العرض قبل وصول اى قوات اضافية لها وذلك بسبب الجموع " (٤)

(1) P.M. Holt, The Mahadist state in the Sudan

P.163 See Appendix D 2

(٢) محمد الخير هو الشيخ محمد الدخيرة عبدالله خوجالى تتلمذ عليه المهدي فى بربر وبعد نجاح المهدي غير المهدي أسسه الى محمد الخير وصار اميرا على بربر

(٣) على سعد هو زعيم الجمالين الذى خلفه فيما بعد اخوه عبدالله ودسعد لتفاصيل اخرى من سيرته يمكن الرجوع الى ابراهيم فوزى باشا " السودان بين يدي فرودون وكثسور " ص ٢١٤٩

(4) P.M. Holt : The Mahadist state in the Sudan
P.159 See Appendix D 3.

اذاء لم يتيسر لها ما تحتاجه الجيوش النظامسية عادة من مؤن ومعدات ، وطرق اتصال مع قاعدتها امدريمان ، ونظم للمحافظة على افراد الجيش الى اخر هذه الاشياء .
فجيوش المهدي لم تكن قد طورت هذه النواحي في تنظيماتها العسكرية ، ويعقب اخو الخليفة الذي كان مسئولاً عن الامدادات حاول تطهيرها الا اء لم يصل الى المستوى الذي يمكن المحافظة معه على جيش كبير بعدد من امدريمان ، ولذلك فقد ظلت مشكلة امداد اي جيش كبير يترك امدريمان في مشكلة كبرى وتعمد السيطرة عليه ، بعد أن يعتمد من امدريمان يصير امره تحت رحمة الاقدار وترك امر " رزق المجاهد في سيفه "

ومما زاد الامر صعوبة بالنسبة للجيوش التي اتجهت شمالا مع النجوش ومحمود أن هذه الجيوش ضاقت الناس في اراضيهم ومعايشهم ان المنطقة نفسها قاحلة بطبيعتها والرتبة التي تصلح للزراعة فيها ضيقة جداً على ضفاف النهر ولا تكفي لسد حاجة جيوش كبيره اعتمدت اساساً على تسخير اهل المنطقة لخدمتها وقد أدى ذلك الى عدم تعاون اهل المنطقة مع الجيش بل عدو مثل جيش الاحتلال وعملوا ضد الخلاص منه .

كذلك فإن عدم اتخاذ القرارات السريعة سواء كان من القيادة المحلية للحملة او من القيادة المركزية في امدريمان ، وعدم وجود خطة محددة لتسيير عليها الحملة قد أدى الى التلكؤ والتأخير بالحملة في مكان واحد مما زاد من مضايقة اهل المنطقة حتى نفذ ما عندهم من قوت

وقد اضطر النجوى ، مشلما اضطر محمود من بعده ،
 لترك قاعدته بعد أن نفذت مؤنهم وعندما قابل جيوش
 الأعداء كان جيش المهدية جيشا جائعا مضطرب النظام يسير
 على غير هدى ، وسنعرض لتفاصيل ذلك في الحملة التي
 قادها محمود هذا بالإضافة إلى عناصر الضعف الأخرى التي
 تكمن في طبيعة تكوين الجيش الذي قاده إلى الشطال .

في سنة ١٣١٤ هـ طلب الخليفة من محمود أحمد
 الرجوع إلى الغرب لأحضار الجيوش التي كانت هناك واستتفار
 قبائل الغرب للجهاد والحضور بالجميع بسرعة إلى أم درمان
 حتى يتمكن من صد العدو الذي كان يزحف عليه من الشمال .
 وذهب محمود إلى الغرب وعاد في أواخر سنة ١٣١٤ هـ ومعه
 جيش كبير جدا من الطائفة العددية ، ولكنه كان يفتقر إلى
 كثير من مقومات الجيش الحديث ، فهو مكون من قبائل اضطرها
 محمود اضطرارا للحضور للجهاد ولم تحضر رغبة فيه بل حضرت
 بعد أن خرب محمود ديارها وشقت مساكنها ، فتركزت جهات
 الغرب وهي دائرة الحنين إليه راغبة في العودة لتعمير ديارها
 ولضم شمل مساكنها . والقبائل التي جمع محمود جيشه
 منها تعرضت للضرب والتمهيت والقتل على يدى محمود
 منذ أن وصل إلى الغرب أول مرة في سنة ١٣٠٨ هـ ، فنجس
 محمودا يكتب إلى الخليفة بأنه مجتهد كل الاجتهاد " في ادخال
 الناس في المهدية دون مشقة ولكن بعضهم لا يلقى فيه الرغوة

من ذلك هربان الرزيقات والمهدوب لم يتم انتيادهم
 الا رغما عن انسولهم " فالرزيقات ضايقهم فضل التمس
 اصيل في البحر " بحر العرب " فأطاع اغليهم بجهة
 دمك وهم اولاد حسن باولاد قايد ، اولاد حنانه ، اولاد
 محمد باولاد سريره والمحاميد وكثير من يسوت الرزيقات
 ((ثم ارسل سرية بقيادة بشير كثير الحصول على الباقين
 فوجدهم بجهة حبيجة فضرهم ثم لحقهم مرة أخرى
 بجهة ام سوروا بدار جائقى فضرهم وكذلك وجد ابو النور
 الزيدوى اشد الرزيقات امراضا فقتله ودخل العرب
 في قلب الرزيقات واستكمل طاعتهم على الاطلاق ،
 وكذلك خاف اهالى ديمار جائقى وكذلك حجر ولد ضحوة (١)
 أما المهدوب فقد انتهت امرهم بعد سرية البشمارى
 وبده ثم بعده ذهب اليهم الختم موسى في يوم الاثنين
 ١ شعبان سنة ١٣٠٨ هـ وقد هرب المهدوب قبل ان يهلم
 جيش الانصار فاستحوذ الانصار على مظاهرهم الثلاثة
 ولذلك اضطر المهدوب الى الرجوع مرفعين واذعنوا وأطاعوا .
 وحتى بعد أن أطاع الرزيقات لم يتركهم محمود وشأنهم
 اذ انهم طلبوا من الخليفة ان يسمح لهم بالحضور للهجرة
 بالطريقة التى يسمونها فقبل الخليفة ذلك منهم وسمح
 لموسى بادبوا بقيادتهم ولكننا نجد محمودا يكتب الى الخليفة

(١) مبدية ٦٠/١٤/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٨
 شوال سنة ١٣٠٨ هـ

ذاكرا " ان الوارد اليه من فضل النبي اصيل يذكر بسان
 موسى ماديو وصل بحر العرب في شعبان وبرز له اوامرهم
 الكرم لدعاية الرزاقات للهجرة وانهم يسافروا بالطريق
 الذي يخطرون في اول الرشاش وقد قبل فضل النبي ذلك
 ولكنه يذكر بان قد وجه اغلب الرزاقات الى ديارهم القديمة
 جهة البرصة والان يحضر ماديو رجعا للبحر ثانيا ما يدل
 على عدم رغبتهم في الهجرة لان الطريق لها كانت مستعدة
 من ديارهم القديمة .. ولهذا صار فضل النبي بأغلب
 خيلهم وكل من حضر له راجعا اخذ حصاة وذلك لعدم
 " أمنية " الرزاقات اذا كانت معهم خيلهم وقد وافقه
 محمود على تلك الخطوات على ان يسمى في حق الرزاقات
 على الهجرة مع ماديو بالطريق الذي يريدونه في اول
 الرشاش " (١)

ولم يقتصر بطش محمود على الرزاقات والميديو
 وحدهم بل شغل كثيرا من قبائل الغرب ورض خطابه الى الخليفة
 بخواب دار التعايشه يكتب بقوله : ((ان امرم الكرم الوارد
 في شعبان بالالفاظ لخراب دار التعايشه وان لا تترك
 احدا يسكن بها وتبيده كافة القبائل بذلك قد ظم والحال
 انها لا وجود لاحد بها ماعدا جهة طوال التي بها بنى هلبة
 جماعة رحمة الله الوالي وقد حورنا لمحمد جوده بالمسرح
 عليها للتأكد من ذلك فاكذ لنا صحتة)) (٢)

(١) مهيدي ١٤/١/١٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٨

شوال سنة ١٣٠٨ .

(٢) مهيدي ٨/١/٧٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٩ شوال

سنة ١٣١٥ .

ومن سنة ١٣٠٨ وسنة ١٢١٤ (١) زعمت جيوش محمود كل قبائل الغرب فسي كردفان ودارفور من حمر وحبوازمه وديرية ومسيرية وبنى هلبه وتعايشه وزيقات وغير مساكن ورتى وغيرهم من القبائل (٢)

(١) خطابات محمود الى الخليفة " مهديه ٢/١/١٥/١ بتاريخ ٤ محرم سنة ١٢١١ ضرب جبل كافقلا مهديه ١٢/١/١٥/١ بتاريخ ٣ ربيع اول سنة ١٢١١ احضار روساء نور ومعهم على دينار ز مهديه ١٦/١/١٥/١ بتاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٢١١ ضرب جبل الدلج مهديه ٢٥/١/١٥/١ بتاريخ ٩ القعدة سنة ١٢١١ الشلت الكلى للمسيرية بضمرب دارفور سنة ١٢١٢ مهديه ١٧٥/٢/١٥/١ بتاريخ غايه محرم سنة ١٢١٣ ضرب دار تمامه ، مهديه ٢٠١/٢/١٥/١ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٢١٣ ضرب الزقاسار ، مهديه ٢٢٦/٢/١٥/١ بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٢١٣ أمر الخليفة بتاريخ ١١ جماد اول بضمرب المسيرية وقد تم تجريدهم في ٢٣ شوال سنة ١٢١٣ انظر مهديه ٢٤٦/٢/١٥/١ مهديه ١/١٥/١ ٢٤٠/٢ بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٢١٣ ضرب العسلات ٠٠٠ الخ .

(٢) بالرغم من ان جيوش محمود احمد قد زعمت كل قبائل الغرب بكردفان ودارفور تقريبا الا اننا نجد ان الاستاذ موسى المبارك يذكر في رساله للطاجي " تاريخ دارفور السياس من ١٢٧ " ان فترة حكم محمود كانت سهلة على اهالي الغرب وكانت فترة سلام بالنسبة لهم بالمقارنة للفترة التي حكمهم فيها عثمان وادام " جاوره " قبل حكم محمود حتى انهم كانوا يقولون " محمود عمل وعثمان بصل " (وشرق بقدم محمود الى الفاشمر فجر عهد جديد نمت في ظله اكثرية اهل دارفور بالسلام فبدأ الفرق بينه وبين عهد عثمان واغصا ما جعل الغور يصفون محمودا " بمحمود بصل " دلالة على تلطفه بهم بينما نعتوا عثمان " بعثمان بصل " اشارة الى شدة في معاملتهم حتى كان حكمهم لهم في معاراة مسداق البصل .

وفى سنة ١٣١٤ دعى محمود نفس هذه القبائل للهجرة ، وقد حاول بشئ الوسائل ادخالها فى الجيش فهو يكتب للخليفة : " نهدى سيدي ان عدكم منذ حضوره بهذه الجهات فى هذه العرة لم يزل ملتفتا ليله ونهاره فى غلعه وقراره الى ما به اتساع امر الدين وادخال العرب فيه بهما امكن من الوجة الموصلة الى تمام العراق ومن ضمن ذلك فسانا فى هذين اليومين ارسلنا وكاتبت كسافة القبائل التى هى حومة بالقيام للهجرة كمثل الحمر الذين يهتقا والحمر الذين بجهة كيكك وغيرهما من جهاتهما وكمثل المسيحية الذين بجهة الخلا وكمثل باقى الرزيقات المتأخرين بجهات البحر وجهات شكا وكمثل المهبانية الذين بالكلكس والسذين بداره وغيرهما وكلا منهم حرروا له من الدعائية بالترغيب والاعتناء بامره ما هو كفيل بقيامه وقطع ثلاثة ان شاء الله تعالى فى هذه الايام وفى مزمع عدكم انه يستمر الاجتهاد فى امر الهجرة حتى لا يترك شئ من هذه القبائل التى هى مظنة الرغبة فى الدين)) (١)

والرغم من كل المعهودات التى بذلها محمود وبالرغم من ان الخليفة حاول ارسال زعماء هذه القبائل لاجراءها الا انها لم تكن لها الرغبة فى ذلك يكتب محمود مشيرا الى خطاب الخليفة له بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٣١٤ بقيام المسيحية وانه ارسل بعض زعمائهم لاختدم للهجرة يقول : " وبالمفاوضة معهم علم صريحا من قولهم وتحقق من شاهد احوالهم انهم الجيع لارغبة لهم فى الهجرة وماذا كان الا لما جيبوا عليه من حب الوطن الذى هو طبيعة الانسان ثم سيدي ان مسألة المسيحية هذه قد اخافتنا وخشيت منها لداعى انهم مع كثرة الدعاية لهم

(١) مبدية ١/١٥/٢٦٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢١ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

من جنابكم للهجرة والترغيب وتكرار المعاهدة منهم بالحضرة
اليها لم يحصل منهم رؤا ولا نظر في العاقبة ولهذا تعلم سيدي
انه لم يزل ولم يزول عندكم يبدل جهده في قيامهم للهجرة على اي
حالة كانت ولا يتركوا بهذه الجهات ان شاء الله تعالى مبادم
عهدكم فيها ((١))

* ولكن رغم اجتهاد محمود فسقط حاول المسيحية التهرب
من الهجرة وحتى الذين كانوا معه من ضمن الجيش هربوا فهو
يكتب للخليفة بانه ((سبق العرض منا لجنايبكم بان المسيحية
بعد وصولهم عندنا ظهرت منهم هم الرغبة للهجرة لآخر ما ذكرناه
والان قد اكتشفت حقيقة قسوتهم انكشافا تاما وذلك اننا بعد قيامنا
من اليهود نحو الغرب بثلاثة مراحل لحقنا مخصص مرسول
من طبرق الاخ الدليل ابراهيم الذي اشير له من جنابكم بالحضرة
معهم يذكر ان رؤسا المسيحية كلهم تغيبوا عنه ولم يكن معه
منهم احد حتى يخفيت برهمة تغيب فسوقته كشفت عليهم فيمن
معنا فما وجدنا الا اربعة اغفار وغيرهم لم نجد احد من المسيحية
لا من اعيانهم ولا من سايرهم ((٢))

كذلك كان الحال مع كثير من زعماء القبائل الاخرى فقد
ارسل الخليفة ابراهيم محمد المليح ليظهر اهاليه من جهات
الفاصر ولكنه تأخر ولم يحضر (٣) كذلك رؤسا البديهة والجوامع
الشام هباني وعبد احمد اللذان حضرا لكردغان باشارة لقيام اهاليهما (٤)

(١) مهديه ١٥/١/٢٦٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩ ربيع
اول سنة ١٣١٤ .

(٢) مهديه ١٥/١/٢٦٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع آخر
سنة ١٣١٤ .

(٣) مهديه ١٥/١/٢٦٨ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ جماد
آخر سنة ١٣١٤ .

(٤) مهديه ١٥/١/٢٧٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ رجب
سنة ١٣١٤ .

وقد اضطر محمود لاخذ من وجده من هذه القبائل على حالة المجن " ولما علم لنا امرهم فالباقين منهم استحصلنا عليهم جميعهم ووضعتهم بالسجن ولم تترك واحدا منهم وكذلك حررت لكافة الاخوان عمال الارباع بقيض من معهم واستسلم الخيول منهم والمحافظة عليهم حتى الذين معنا خاصة سجنهم والذين بكرديان اجبرنا ضبطهم بواسطة التحرير للمكرم حسن الذين وكسل من وقع منهم في القبضة فلا يفلت ان شاء الله تعالى)) (١) اما قبائل دارفور فقد حاول استعمال الحيلة معها فلم تنفع الحيلة اذ طلب منهم ان يجتمعوا اليه ويستعدوا لانه يريد أن يغزو بهم جبال الصعيد ثم يتشرفوا بالنزارة الى امدرمان ويعدوا يعودوا الى اوطانهم ولكنهم فطنوا الى الحيلة ورجعوا الى اوطانهم .

" ثم بعد وصولنا بالقاشير له ٢ جماد اول سنة ١٢١٤ بذلك جهدنا في ضم الاطراف وحزم امر الجهة كما ومن قبل وصولنا حررتنا للانصار بالاستعداد سرا وحررتنا بحضور الرجال امنى اهل الوطن من كل جهة لاجل قيامنا بهم بحالة العجلة ولدى وصولنا وجدناهم جميعهم بالمركز وشكرناهم وذاكرناهم بما زادهم انشراحا وافهمناهم نفس ضمن ذلك اتينا متوجهون غزوة " الجبال الصعيد ومنها للزبيارة والتشور بالذاكرة والعودة لهن قريبا كما اشير لنا فمع ذلك لم يحصل منهم شبات على السفر وصاروا يرجعون لاطانهم شى فشى حتى لم يبق منهم الا القليل " (٢) ولذلك فقد استعمل معهم محمود اساليب اخرى " ولم نرى في اوجه الحزم ابلغ من قيامهم بعائلاتهم وتسليم كل طليقة منهم الى احد الارباع لغاية وصولها " (٣)

(١) مهيدي ٢٧١/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤

(٢) مهيدي ٢٧٠/١/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ جماد

آخر سنة ١٣١٤ .

(٣) نفس المصدر السابق .

وذلك حتى لا يرجعوا الى اوطانهم اذا رغبوا في ذلك وقد
احضر معه من دارفور بعض القبائل ليس لانها توفى في الهجرة
بل لانه كان يخاف ان يتركها وراءه في الدار فانه ((عملا بالعزم
كافة القبائل التي بدارفور هي مظنة خفة الرأس والعيل الى
ما يضرها في دينها مثل برقو وهرتي وفور وفيهم احضرتنا
رجالهم معنا ولم تترك احدا من اصحابهم الا احضرناه مع الجيش
وما في الطس من العواجز والضعف تركناهم مع وكلا العملاق)) وقد
استعمل محمود كل الطرق لضمان وصول القبائل التي استطاع
اجبارها على الهجرة الى ام درمان سواء كانت هذه القبائل
من كردفان او دارفور فانه جمع ما يلزم معه حتى لا يرجعوا
عنها " القبائل التي اجبرنا تنفسيرها بقيامها للجهاد احضرناها
بمعايلتها لئلا يرجعوا هاربين " كذلك " كافة من احضرناهم
فاننا في غاية الشفقة عليهم بالملاحظة لهم تارة ثم تقدم
على بعضهم وتارة تسير معهم وتارة تتأخر عنهم وتارة نعمل بالطريق
الشمالى وتارة نسلك طريق الصعيد كل ذلك بحسب المصالح
الوقتية وما يقتضيه العزم في ضم الجيش ووصوله لصوبكم)) (١)
وصرف محمود كل همه في جمع القبائل وفي المحافظة
عليها حتى تصل الى ام درمان ثم الى الشمال حتى يوقى
همده للخليفة باحضار عدد كبير ((معتبرا به امن الحاسدين))
ولكنه لم يمدل جهدا كبيرا في تنظيم هذه الاعداد وتدريبها
التدريب اللازم لجعلها جيشا نظاميا فقد اعتادت هذه القبائل

(١) مهدية ١٠/١٠/١٢٧٤ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ رجب

في حروبها بجهات الغرب على الغارات القبلية التي لا تعتمد
 كثيرًا على التنظيم والبقاء تحت السلاح لمدة طويلة ،
 بل كانت كل حروبها تقريبًا عبارة عن سرايا وغارات سريعة
 يهجمون فيها على قبيلة من القبائل أو جهة من الجهات
 وسلبونها ثم يرجعون سريعًا الى مركزهم ليتفرقوا من اجل
 المعاش ثم يعودوا في العام المقبل لفزوة اخرى . وسأورد في
 خطاب الزبير الفحل الى محمود احمد في ١٨ شعبان سنة
 ١٣١١ يوضح هذا فهو يتحدث عن الفرقه التي كانت معه والمكلفه
 بالعمل بجهات لروقي وشرتمت فيقول : " وأما عن الانتصار
 جفائنا كانوا عددهم ريمانيه وخمسون ٤٥٠ نفر والان تفرقوا
 جميعهم بالجهات من اجل معاشهم الضرورية كمثل ام بل والنهود
 والاضيه والفاسر ايضا وما بقى الحاله هذه معكظ الاطيه نفر
 فقط لافيرهم فمن بعد صرف الاسلحة والخيالة والاهبة اللازمة
 من سيادتك وبلغهم ذلك يحضروا جميعهم في برهة ايام قليله (١)
 وانا تابعنا تحركات جيش محمود بين سنة ١٣٠٨ وسنة
 ١٣١٤ نجد انه يتبع نفس الاسلوب تقريبًا اذ يغير
 جيشه على احدى الجهات ثم يعود الى الفاسر أو الابيض
 قبل حلول موسم الخريف فيتفرق الجيش على
 الجهات المختلفة من اجل المعاش والبقاء بعد نهاية الخريف

(١) مهيده ٥٠/١/١٥/١ خطابات محمود للخليفة من الزبير الفحل

الى محمود بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣١١ .

يعاود محمود الكرة مرة أخرى ، ولذلك لم يهتم محمود اهتماما كبيرا بمسألة خطوط الامدادات بين الجيش والقاعدة ، ولا بمسألة المؤن والذخائر ، ولا بتدريب الجيش على البقاء تحت السلاح لمدة طويلة فقد كانوا يتركون رأياتهم متسي ماثا ، ويعودون لها متى ما ارادوا ذلك بكثير ما كانت تسرد شكاوى الى محمود ومنه الى الخليفة عبدالله عن بعض رجال الرايات في مسألة تحول الانتصار من رايه هذا الى راية ذلك ومن ذلك ما ورد في خطاب البشاري رحمه الى محمود في * رمضان سنة ١٣١١ " يتضمن فيها من جار النيس ولد عيش بانه يريد اخذ الثلاثين غسر الذين كانوا تابعين اليه من ابتداء رفع الرايات وذلك في سنة ١٣٠٢ . " (١) وما ورد من على ولد عيسين يشكو فيه الى محمود من أن يحيى وعبدالله ولد التميم يريدان اخذ جماعتهم من السعداب منه (٢) وقد كان من اثر ذلك ان روساء الارباع وعال الرايات لم يستطيعوا السيطرة على الانتصار الذين معهم خيولاً من فرارهم عنهم .

" وكانت الغنيمه جزا هاما في الغارات التي يقوم بها جيش المهدي فقد كان محمود دائما يختم وصفه لاي حملة من الحملات التي يقوم بها الجيش بقوله " وطأت سالمة قانمة " ليس هذا فحسب بل ان الجيش كان في بعض الاحيان يختلق الاسباب للافارة حتى يستفيد من الغنيمه من ذلك ماكتبه محمود الى الخليفة في ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ (٣) يخبره فيه بأن الجيش الذي مع عيسى زكسر

(١) مهديه ١٥/١/١٠٧١ من محمود الى الخليفة بطارنج * رمضان سنة ١٣١١ .

(٢) مهديه ٧١/١/١٥٧١ من محمود الى الخليفة بطارنج ١٠ شوال سنة ١٣١١ .

(٣) مهديه ١٤/١/١٥٧١ من محمود الى الخليفة بطارنج ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ .

معدده وانصر وانه قد حصلت له المضايقة في المعاش
وانه لو اقام بهم في المركز لاتحصل لهم الراحة هتغرقوا
بالجهاش وخشية من شطتهم فانه يرجو الاذن لهم بضرب
جبل الدلج للتفيس عليهم ٠)) كذلك نجده في خطاب اخر بنفس
التاريخ (١) يصف حال بعض اعيان الجيش من اولاد التمايشه
بانهم يحبون الراحة وانهم فسدوا وجدوا ان هذه الجبهة بها كثيرا
من المطامير تركوها بعد ان اخذوا كثيرا من حقوق العباد قهرا
وانضموا بعد ذلك الى عدالباقي عدالوكيل بالبقعه ٠ وقد استمر
حال الجيش هكذا بالنسبة للتناول من حقوق الناس رغم تحذيرات
الخليفه لهم وذلك لان الغنمة صارت جزءا من حركات الحرب
فسددهم وحتى ٦/الحجه / سنة ١٢١٤ يرد مايدل على استمرارهم
على هذه الحال : " ندى سيدي اء لقد تشرف الدامسى
بمرور امركم العزيز له ٢ الحجه سنة ١٢١٤ المتضمن اننا
ننبه على جميع الجيش بعدم سد اليد على الاهمالى
شرقاً وغرباً لانهم مستعدون لنصرة الدين وانه لا يحصل
لهم اقل ضرر ولا تشكى ولا يتناولوا من جهتهم الا ما
البحر فقط لاخر ما به فخطاه ٠٠ الخ " (٢)

" اما التدريبات الحربية والنظم العسكرية فقد كان الجيش
كسبه قديمه وجديده يفتقر اليها فتجد محمود ملاً يكتب الى
الخليفه في هذا الصدد في ٨ شوال سنة ١٢١١ فيقول

(١) مهيده ٧٠/١/١٤/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ شوال
سنة ١٣٠٨ ٠

(٢) مهيده ٢٩٢/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٦ الحجه
سنة ١٣١٤ ٠

" نهدي سيدي ان الجهادية الذين بالسرية هذه الاغلب منهم لا يعرفون حركات التعليم وحيث تعلمها حسن بهم والاستيذان في مثل ذلك من الواجبات حرط هذا للمعلومية واملا اذا وافق تعليمهم يؤذن لنا بذلك والا فالامر لماتوه مغض ويايديكم دامت مقبله سيدي والسلام " (١) ولكن الجيش لم يتقن حركات التعليم والنفظم العسكرية وتجد محمودا في حجرة شديدة من امره عندما يطلب منه الخليفة في ٤ الحجة سنة ١٣١٤ بان يدخل الى امدرمان بالجيش على ترتيب يديع ان يكتب الى الخليفة في ٦ الحجة سنة ١٣١٤ فيقول " انه لقد شرف الداعي لعماد الله يوم تاريخه العزيز له ٤ الجاري الذي هو رد ما كان عرض من داعيكم بعد وصوله جهة الهلبا ومشارا به على داعيكم اننا لدى وصولنا بالجيش ندخل على ترتيب جميل يسر العومنين صفيظ الاعداء سيما ورسل الجيش حضروا والحاله هذه موجودين ... وهذا وان ابسر ترتيب الجيش قد اهم عندكم للغاية وهارت افكاره فيه فتوجوا ارشادات في امره بعاتوه سيدي فساء على اي حال لا ضياء لنا في المدلهيات ولاخروج لنا من المشكلات الا بشارتكم الكريمة فتوجوا اسما فانا بما يقتضيه نظركم الكريم)) (٢) ثم في خطاب اخر بنفس التاريخ يقول ((ان هذا الامر قد اهمضى واقلقنى ومازلت مستعملا لفكرى في كل ساعة فلم اعثر على شئ تعلمين به نفس هرطح له نكرى)) (٣) ثم يقول في امر الهسيئة العامه للجيش " كذا اشارتكم الكريمة بان الجيش جمعيه يكون

-
- (١) مبدية ١٥/١/٦٩ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣١١ . كذلك راجع ^{١٣١١} ٥٠ بتاريخ ٢٨ رمضان سنة ١٣٠٨ من محمود الى الخليفة .
- (٢) مبدية ١٥/١/٦٩ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٦ الحجة سنة ١٣١٤ .
- (٣) مبدية ١٥/١/٦٩ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٦ الحجة سنة ١٣١٤ .

وكذلك فى الملازميه حضرات واما سر فييهة واشير بان
لفظة الملازميه يصير استعمالها بلفظة الامدادية وان
كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله استعمالها فى
البسوى فيه امر دقيق (١٠٠) (١)

كان جيش محمود مكونا اساسا من قبائل الغرب (٢)
التي كانت بينها خلافات قديمة طفت عليها ايام المهدية
ولكنها ظهرت مرة اخرى عندما وصل جيش محمود الى الشمال
فكانت صادرا من مصادر القلق والفرشة في وسط الجيش (٣)
ثم ان قبائل الغرب كان بينها ومن " قبائل البحر " ضفائن
مروثة من عهد حروب الزبير باشا وهذه ايضا ظهرت عندما
حضر محمود بجيشه للشمال وساعدت هذه الضفائن على نشر
الفسوس في المنطقة وطغت روح الانتقام . كذلك كانت هناك
خسفاين بين اولاد العرب من جهة والجهادية من جهة اخرى
حتى انعدمت الثقة بينهما وقد ثار الجهادية على محمود وعلى
اولاد العرب كما يذكر محمود في خطابه للخليفة في ١٤ الحجة
سنة ١٢٠٨ بان الجهادية " قد تواطؤوا جميعهم من راس
مايه ومقدم ونفيم من جميع الارباع على ان يضربوا اولاد
التعايشة ومن معهم " (٤) وقد شعل التمرد كل الجهادية
حتى الملازميه حرس محمود الخاص ولكن محمودا قضى على هذه
الحركة بسرعة واصل رؤساء التمرد وشقت شعوبهم ومنذ ذلك
الحين لم يعد اولاد العرب يطمعون الى الجهادية وبالرغم من انهم

(١) مهدي ١ / ٨ / ٢ / ٢٠١ من محمود الى الخليفة بتاريخ رمضان
سنة ١٢١٥ .

(٢) نبطا هذا معنى الارباع القليلة مثل ربح العظا اصول من الشايقيه .

(٣) مهدي ١ / ٨ / ٢ / ١٦١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٥ صفر

سنة ١٢١٥ الخلاف بين الخقيم موسى ومهد القادر دليل . كذلك

٢٣٤ / ١٠ / ١٢١٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٢١٣

الجهادية والزيقات الخ وخلافاتها .

(٤) مهدي ١ / ١٤ / ١ / ١ / ٨٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ

١٤ الحجة سنة ١٢٠٨ .

كانوا اهل الاسلحة الثابتة الا ان امر ثباتهم في الارباع لم يكن مضموناً •

والجيش بهذا التكوين كان يحمل معه كثيراً من المشاكل لمحمود حتى تعب منها وشكاً الى الخليفة من كثرتها وزهد في الرئاسة بعداً منها " نهدى سيدى ان عدكم منذ تعيينه لهذا الجيش له سنة ١٢٠٨ فهو يقاسى من احواله امر تشيب لها الفواصى وتذيب الرواسى لانه من عدم الرضا بالحكم وطارة من عدم الهمة في نجاز الامر وطارة بعدم سماع النواهي وارتاب مالا يرضاه الله ورسوله حتى ان الاغلب منهم يرتكب ما يعرر ضرر فعله عليه في نفسه مع الضرر في امر الدين السدى لانرضى بآدنى خدشة فيه كما يعلم رب العالمين ومع كل هذه الاحوال فائلاً ساكتين وللصبر ملازمين ولمرارة عدم المساعدة والموافقة مستجبرين اذ كل هذه المدة لم نرفع بان فلاناً خالفنى ولا فلاناً ارتكب المحذور الفلانى الى ان ادى ذلك الى نسبة التقصير منى في عدم رفع الاحوال واسمعتنى سعيادتكُم غيرة مرة في المذكرات امام بعض الاخوان مالا تطبيقه القوى البشرية)) (١) فقد انحل امر الجيش وصار افرادهم يغيرون على الجهات وينهبون وانصرف همهم نحو الغنائم والنسب حتى انفرط عقد نظامهم ولم يستطع محمود رغم اجتهاده الشديدي في السيطرة عليهم فبعد واقعة العتمة كان الواجب على محمود ان يؤمن الاهالى ويحفظ لهم حقوقهم ويمنع الانصار من التعدي عليهم وقد كتب له الخليفة في هذا المعنى كما يتضح في خطاب محمود " نهدى سيدى ان امركم الكريم المـنـن ١٢٢٢ الجـنـارى (صفر)

(١) مهدية ٣٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بطريق ليلة ٢٤

المؤمن ان لاخذ بالحزم مطلوب وان هذا وان الجهاد
وان الانشغال بالفنسايم معوق عن الجهاد وان المتأفق عدالة
سعد مادام ذلك وانقضى امره فتسلخت لتطمين الاهالى وثباتهم
فى محلاتهم برفع التعدييات عنهم وان لا يكون لظ انتهاء غير امر
الجهاد ٥)) (١) ولكن محمود لم يتشدد فى ههنا الامر فى
البداية فهو يقول فى نفس الخطاب ((ولذا لم يحصل من داعيكم
الضات لجمع الفطيم ولا عينا لها احد والذي وقع بمليدى
الاصحاب منها فهو عند وطأة الجيش للعتمة فالخيول غارت
طبعه اثار بعض المنهزمين حتى وصلت جهة الكتاب آخر
حدود قسم السنداب وكما وجدوه من الرقيق والمواشيسى
امامهم اخذوه وماحصل وان كانوا مستحقين له لدائ قيام اكثرهم
مع الهالك عدالة سعد وانضمام بعضهم عليه وحصول الرضا
والفرج من الباقين لكننا لم نأمر بما وقع عليهم ولا كان
قصده ٥)) (٢) ولكن عندما كثر تعدى الانتصار على اهالى
الجهة حاول محمود ان يحزم امرهم بمنعهم من التعدييات فلم
يفلح فى ذلك حتى تم خراب الجهة وقضى على زرعها وتفرقت
القبائل التى كانت تسكن بها . فكتب محمود الى الخليفة بانه
حاول ان يطمئن اهالى الجهة فكتب لهم بالامان حتى رجع بعضهم
الى جهاتهم لتعميرها * فما كان من الاصحاب الا خروجهم ثلة
بعد ثلة مشاة وركباناً فرما وشرقا اثرا عليها وجعلوها حصيدا
كان لم تكن بالامس حيث اخذوا البهايم وقتلوا وجرحوا كثير من الرجال

(١) مبدية ١/٨/١٢٢٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٦ صفر

سنة ١٢١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

واسستولوا على النساء بصفات منكرة ينفر عنها الطبع
 ويحرمها الشرع نحو اخذها لتحمل الماء على رأسها لسقاية
 الحصان . ولا هناك داع لهذا الامر سوى محض الخيال
 لا و امر ١٠٠)) (١) وقد صار بعضهم يشهر ضغائن قديميه
 حتى كتب الخليفة لمحمود " فتعلمك ان هذا الامر لا يخفك انه
 المدين وان القصد فيه وجه الله سبحانه وقد بلغنا ان
 بعض من معكم من غسولوا رأسهم يقولوا لاهل الجهة ان ناس
 الزبير والبحارة فعلوا بدارنا كذلك ونحن الان نفعل بجهتهم
 وهذا امر لا يصدر من عاقل اذ أن هذا الامر هو الذى
 اتى عليه المهدي المنتظر وهو الذين الذى لاهواد فيسه
 نساغفكم لذلك وأنتم اصحاب خفة الرأس من التفو الذى لا يليق
 بالعقلاء وذكرهم بوجه الدين والسلام " * (٢)

اما الغنائم التى اخذوها من المصمة فلم يظهرها
 ابدا بالرغم من تشديد محمود فى طلبها والرفقهم
 من نصائح الخليفة لهم فى شأنها وفى ضررها فى الدين فقد
 عكسوا عليها وكلموا وجدوا فرصة ارسالها الى امدرمان
 او كردفان وقد هرب كثير منهم ورجع الى البقعة أو الى
 الغرب بالرغم من محاولة محمود عليهم وعمل النقط لضبطهم
 وارجاعهم ولكنهم لم يعمدوا الى الهلكة فى ذلك .

(١) مهدية ١/٨/١ ٣٠/ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٤ صفر
 سنة ١٢١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/٢٨/٤٢ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٤ صفر
 سنة ١٢١٥ .

كان هذا هو حال الجيش الذي حضر مع محمود من الغرب
 إلى الجيوش التي انضمت إليه فيما بعد فلم يكن طائها بأحسن من ذلك
 " نهدى سيدى أن رجال الجيش هذا بحمد الله كلهم معروفون
 لدى جنابكم ولا غناء لنا ولا لهم عن افتكار سيادتكم بالامذكرات
 والتحريض على الجهاد والمروافة والاتحاد والاختصاص الجيش التي
 انضمت على داعيكم بعد حضورنا لهذه الجهة كمثل الجيش الذى
 كان بمصر وأربع ناس المكرم فضل الحسنة ومحمد الله حامد فهو لا
 وإن كانوا معتمدين لكنا لا نقدر على التأكيد معهم فى شئ من
 من الامور ولو تكون مهمة ((١)) فسقط انضمت اليه بعض الارباع
 المحضرة من القضاة تحت قيادة فضل الحسنة ومحمد الله حامد
 وقد كتب اليه الخليفة قبل وصولهم اليه يخبره بان يرسل اليهم
 من يمنعهم من التعديات على اهالى الجهات الشرقية " فتعلمك
 حيث أن الكرمين فضل الحسنة ومحمد الله حامد توجهوا اليك بمن
 معهم من الاصحاب فينفى ان تحرر لهم بالقول الحسن وترسل
 لهم من يقابلهم بمحسبك على الطريق وحشهم على منع من معهم
 من التعدي على العباد لان تلك البلاد خبيثة ومد اليد
 عليها بخربها ((٢)) وبالرغم من الاحتياطات التي اتخذت
 فان جماعة فضل الحسنة ومحمد الله حامد قد تعدوا على العباد
 واخذوا حقوقهم وقد شكاهم محمود الى الخليفة فى ٢
 ربيع اول سنة ١٣١٥ بقوله " نهدى سيدى أن الجيش

(١) مهدية ٢٠٨/٤/١١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩ رمضان
 سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ٢٢/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١١
 صفر سنة ١٣١٥ .

الذى بالشسرق تمت قيادة المكرم فضل الحسنة فعند حضوره بل من قبل وصوله تراكت الشكوى من اهالى الجهة فى تعذيب عليهم واخذ اموالهم وتعلقاتهم وضرب البعض بالرصاص حتى صارت كالجبهة الغربية فى الخراب (١) ولم يكن فضل الحسنة متشددا فى امر ضبط الانتصار الذين كانوا معه فعندما كان فى الغرب مع الامير عثمان ادم انحل عقد الربيع الذى كان تحت قيادته هو واحمد فضيل وقد غضب عليهما الامير عثمان ادم وشكاهما للخليفة حتى رفعهما عن السرى ولم يعودا اليه حتى مات عثمان ادم (٢)

اما الجيش الذى انضم اليه من بربر فقد كان ايضا متفككا وفيه كثير من المشاكل وقد كان عبئا على محمود بدلا من ان يكون مساعدا له فى امر الجهاد فهو يقول عنه فى ٢٠ ربيع آخر سنة ١٣١٥ ((نواهم فى غاية الانحلال حتى وان قطعهم لم يكن الا يشق الانفس فضلا عن كثرة العلائق ولذا فترجموا الارشاد فى شأنهم ان كان باجعال امرهم الى المكرم على نرفار . بل ترجوا اذا وافق يتحور لهم الذكرى بالتشهير وترك الدنيا والاقبال على الجهاد الى ذلك ما يحرك الهمم ويهتبا الى الجهاد كذا يتأكد عليهم بترك الاراجيف والرضا بالموت فى الله ويتأكد عليهم ايضا بالموافقة وعدم المناقضة للكلام (٣) وكان جئت بربر عبارة عن عدة فرق تحت قيادة على نرفار والبيخيت النعمورى وادم يحيى ابن الخليل ومحمد الزين حسن بعد أن وصل محمود الى الفتنة طلب منه الخليفة تعيين شخص

-
- (١) مهدية ١٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥
 (٢) راجع رسالة الاسطان موسى المبارك " تاريخ دارفور السياسى ص ٢٦٩ لتفصيل انحلال ربيع احمد فضل وفضل الحسنة وعزلهما الوزان فسرهما عثمان ادم على قادة العصيان أن جاءه بحين بلغ الاضية وقد من الطوشة يشكو ما فعله فضل الحسنة باهلها اذ سلبهم ممتلكاتهم واسر ٢٣٥٠ من حواثر نسائهم وعبر عثمان عن سخطه بتوجيه على تش الى تجريد فضل الحسنة من املكه وكسيله بالحديد بعد اعتقاله جزاء امعانه فى الفساد
 (٣) مديده ١١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ ربيع آخر سنة ١٣١٥

ليقوم بأمر بربر وتشسار محمود مع من معه واستشر
 رأيهم على إرسال البشارى بسند بربره اليها ، وقد
 ارسل محمود الى الخليفة بهذا المعنى فى ١١ صفر سنة
 ١٣١٥ ((نهدى سيدى اء بخصوص ورود كريم اوامركم
 السابقة واللاحقة بخصوص مسألة بربر وان تعين لها احد
 الاصحاب للقيام بمصلحة الدين فيها قد حصل الاهتمام
 منا فى ذلك وصرفنا مشكرين مشددين فى امرها وبعد طول
 التفكير ثم بعد مشاوره الاخوان روساء الارباع جميعهم
 ومعهم المكرم محمد بشارة اتفقت المشورة من محمد بشارة
 والعضا اصول وعبدالقادر دليل بتعين المكرم البشارى بربر
 بربره لها وباقى الاخوان تتابعوا عليهم بموافقة ذلك)) (١)
 وقد اسعد البشارى بمن معه للرحيل لبربر ولكن فجأة
 وصل من الخليفة ما يفيد بأنه قد تم تعيين محمد الزاكي عثمان
 لهذه المهمة (٢) ولاشك أن فى تعيين محمد الزاكي عثمان
 تكديرا لخواطر من سبقوه من القواد فى بربر * ان
 المكرم على فرزار ومن معه ناداهم لهم الاسبقية بالجهة
 واتصروا الدين على يدهم فالانسان الذى يتعين لمركز بربر
 توجهه بالا يطالب منهم اسلحة ولا جبنانة والداى لذلك
 كله الخشية من تكدير قلوب الاصحاب لان تكديرهم
 يؤدى الى تعطيل نصرة الدين والقصد ان تكن الكلمة
 مجتمع والقلوب متحدة على الدين)) (٣) ولهذا السبب

-
- (١) مہدیہ ٢٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥
 (٢) مہدیہ ٣٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥
 (٣) ٢٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥
 وكذلك مہدیہ ٢٦/١/٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧ صفر
 سنة ١٣١٥ .

تحددت سلطات الشخص الذي ارسل الى بربر ، فبالرغم من انه كانت له الرئاسة على من معه الا ان الامور الحربية كانت لفسيره . وقد ارسل الخليفة الى محمود نفس يوم ٢٩ صفر بهذا المعنى اذ يكتب ((نيدى سيدى ان امركم الكريم المزين له ٢٩ صفر سنة تطريخه المتضمن ان المكرم محمد الزاكي عثمان قد صارت مذاكرته وانه لا يبدى مساعد في ترويح الجهة ونفى امر راحة الجيش واما امر الجهاد وتكليف العدو واستكشاف اخبار الاعداء فلا نعمل فيها على المذكور وان نجعل المكرم على فرار ربيع بالاصحاب الذين ببربر)) (١) وعلى هذا تعددت الاختصاصات وتضاربت المسئوليات في جيش بربر وقد ادى ذلك الى الخلاف والانحلال فيما بعد .

كذلك لم يحدد صوقف الفسوق التابعة للزين حسن وادم يحيى " سيدى ان الاشارة الكريمة لم يتصرح بها ضمن الجيش الذي مع المكرم محمد الزين حسن وادم يحيى ابن الخليل عليا المكرم على فرار ام يقفوا لوحدهم فلذا نرجو الارشاد نفس امهم مبادام صرنا متوجهين نحوهم والامر مخوض سيدى والسلام " (٢) وقد ظل امر هذه الفرق على ما هو عليه من عدم الضبط الى ان رحلت

(١) مهيده ٢٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بطريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق كذلك مهيده ٤٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بطريخ ٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ ومهيده ٤٦/١/٨/١ من الخليفة لمحمود بطريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ بأن " المكرم محمد الزاكي عثمان اذا اقتضت المصلحة ان توجهه لبربر فالمكرم على فرار اليكن بمن معه ربما وكما سبق لهم كذلك المكرم ادم يحيى ابن الخليل يكن ربما بمن معه وكذلك المكرم محمد الزين يكون ربما بمن معه والمكرم محمد الزاكي اليكن عليه الادارة فقط . "

— — — — —

محمد الزين حسن نفسه " سيدى انه يوم تاريخه
وردت لنا اجوبة من المكرم محمد الزاكي عثمان بتاريخ ١٠
الجارى تتضمن ان الكفرة خذلهم الله تعالى وصلوا باين حد
وطارها المكرم محمد الزين حسن وانه فاز بالشهادة وورد
معها جواب من المكرم ادم يحيى ابن الخليل ينسب صفة هذا
الخير ومعنى خاصيه ((١))

وفي ٢ ربيع آخر سنة ١٣١٥ ورد من محمود الى الخليفة
مايفسده انحلال كل جيش بربر وتركه لمركزه رغم كل الجهود التي
بذلت لابقائه به " والان ورد لنا جواب من المكرم محمد
الزاكي عثمان ينسب قيامه ومن معه من مركز بربر وانجازه
الى الغرب من القنن بالاسلحة والحصنة خاه وذلك باسباب
عدم ثبات الانصار وخروجهم من يده وحرقتهم للدمى
والاشاعة بان رايور الكفرة حضر وانهم قاموا وتركوا لآخر
ماذكروه هذا وقد ذكروا لنا الهجاء الذين حضروا بهذا الجواب
ان اغلب الانصار الذين كانوا ببربر طلعوا الى الجهات
الفرقانية البعض قاصدين القصارف والاغلب قاصدين
البقعة المنيورة وذكروا ان الواحد منهم يرسل له المسكوك
الزاكي ليخاطبه او يسأله فلم يقبل وذكروا ان كل واحد منهم
اشتغل بحقوقه وصايلاته وتركوا الجهاد ((٢))

وحتى بعد وصولهم الى العتقة وانضمامهم الى جيش محمود
لم يعد الى السرية ضابطها وحزم امرها ان السرية

(١) مهديه ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع
أول سنة ١٣١٥
(٢) مهديه ٧٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع
آخر سنة ١٣١٥

ما زالت تتبعها كثير من العوائل التي تعوق سيرها وتضايقها
 في معاشيتها وتشتغل اربابها عن الجهاد " اما من طائلات
 الانصار جماعة بربر فهي شس^١ كثير ووجودها معهم فيه لهم
 غاية الشغل والتعطيل من مصلحة الدين بملازمة التشهير
 والعرضات^(١) وحتي اميرهم الزاكي عثمان كان معه عدد
 كبير من العوائل التي تعوقه عن الجهاد " اما طائلات المكرم
 محمد الزاكي عثمان فهي زيادة عن خادم واحد^٢ ومسؤوله
 فيها ذكر ان حرمها من مرية الى حمه الان خسة عشر
 بخلاف الخديم الخدامات^(٣) وذلك بالرغم من انه كان
 قد اذن له الخليفة في خادم واحدة فقط .

وهناك امور اخرى فعلها محمد الزاكي عثمان لم ^{يرض} يرض
 عنها محمود فكتب بها الى الخليفة " تبدي سيدى ان المكرم
 محمد الزاكي عثمان وان كان سيادتكم تعرف جميع احواله لا يحتاج
 امره الى ايضاح منا الا انه قد عرض من الامر ماوجب
 كشف الحقيقة فيه لاجل عام جنابكم فقط لا شس^١ اخر
 وذلك انه بالمعرض منه بعد وصوله لهننا اوضح لسيادتكم
 انه بعد وصوله لبربر ارسل لنا كشف الجيش الذي كان بها
 ايضا قام من بربر على حسب العكاشة الصادرة له منا
 باتحازه اليها وكلا الوجهين بخلاف الواقع^(٣)

كذلك فان فرق بربر لم يبيت في امر توحيد الرئاسة
 فيها وحسب مسألة تغارب الاختصاصات وفي ٧ جماد اول

(١) مهيدي ١٠٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جماد
 اول سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) مهيدي ١٠٨/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جماد
 اول سنة ١٣١٥ .

سنة ١٣١٥ مازال محمود يكتب الى الخليفة فيقول " سيدي
سيدي ان امركم الكريم المتيقن له ٢٧ ربيع آخر سنة ١٣١٥
المتضمن ارشاد داعيكم فيما يجريه نحو الانتصار الذين حضروا
من بربر بأن يكون في راسهم الحكم على فرفار وان كان رأيهم
قابلين الحكم محمد الزاكي عثمان يكون الرئيس عليهم الجميع وعلى
فرفار يكون عنده الربع اشبه بوكيل وان كان رأيهم نافذين
عنه فالربع يكون عند على فرفار وانما نفيد سيادتكم بما
يستقر عليه الرأي تشرفنا بسروده والحال سيدي اما من
نصوص الكرمين محمد الزاكي عثمان وعلى فرفار الاثنين فان
خليفة المهدي عليه السلام ادرى باحوالهما في كل شئ وان
ما تراء سيادتكم في تقديم احدهما وانفراد به امر الانتصار او
اشراكهما بالسفحة المذكورة فكل هذا داعيكم لا يعرف منه شيئا
وليس له في امرهما الا ان الحيرة (١) ثم يشكو محمود
من خسران تضارب الاختصاصات هذا ويرجو حبه " سيدي
عند وصول الجيش الذي ببربر لهبط مضت عدة ايام وهي كافية
لتحرير الكشف قبل ان تصدر اشارتكم الكريمة بطولية ولكن
كلما طلبت الكشف من الحكم محمد الزاكي عثمان يحيل الامر
الى الحكم على فرفار واذا طلبت من على فرفار يحيل
الامر عليه وهكذا سائر الامور متاكلة واذا تخصص احدهما
بالقيام بامر الجيش او ما تراء سيادتكم فهو موافق ولتصدر به
اشارتكم الكريمة سيدي والسلام " (٢)

(١) مهدية ١٠٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جماد

اول سنة ١٣١٥

(٢) نفس المصدر السابق

وقد كان من نطج عدم حسم هذه المسألة ان جيش
 بهر ظل على طهر عليه من الانحلال وعدم اطاعة الاوامر وسرت
 بينهم التطمية والتنمية ولم تفلح كل مجهودات محمود في اصلاح
 امسهم فكتب الى الخليفة يقول انه اجتهد في امر الجيش الذي
 كان معه قديما وانه دأب " على الذكرى بالمعاناة والصفاة
 وبمحمد الله فقد اجتمعت الكلمة على احسن ما يكون وصاروا الاصحاب
 جميعهم على قلب رجل واحد ليس بينهم ادنى شئ يشغل الافكار
 حتى ومن يذكر كلاما قديما يقوله بلسان قتاله وطاله هذا قد
 فات وهذا زمن الجهاد فلا ينهني فيه الكلام ولا المشغولية بشئ
 من حظوظ النفس وهذا سمعناه غير مرة الى ان حضرت السيرة
 التي كانت بهر واجتمعت عليها ونزلت معنا فآكرمنا نزلها وانفتنا
 اشد الالفات لاصلاح ذات بينها كما الاشارة الكريمة الصادرة
 من جنابكم واهتممت غاية الاهتمام باعضائها وحزمها وتركنا
 ما غيرها وقابلنا رسالتها وكلا منهم قابلناه بما يليق لئلا
 يهجر خاطره فمع هذه الحالة لم نرى منهم الا تشعب
 الاقاييل والتعصب على المخالفة وعدم اجتماع الكلمة وذلك جميعه
 من جماعة العمر والزنيقات والبهانية والباشرين للكلام منهم
 ادم يحيى ابوالخيل وابو الشفييع وحطاد ولد دريس وقد اخذنا
 معهم عدة مجالس بمنزل العكرم محمد الزاكي عثمان ثم عندنا
 بالهجرة بحضور الاخوان ثم اخذنا معهم مجلسا ليوحدنا كل ذلك
 في المراجعة لهم بان يوافقوا العكرم محمد الزاكي عثمان ويشمروا
 لامر الجهاد وتركوا الضغائن القديمة فما كان منهم الا التوقف

وأخر قسولهم انهم قالوا لا يتبعوا محمد الزاكي عثمان ولا على
فسرفار وإنما رغبتهم ان يكون كل واحد منهم رئيس على من معه
يقابلون وقد عجزنا عنهم واحتفظ فيهم الحيلة هذا مع عدم
ملازمتهم للاقامة بالهجرة حتى واننا كثيرا ما نطلبهم فلم
نجدهم وايضا فالكثير من جماعتهم توجهوا للبقعة المنسورة
بدون اذن ((١))

وحتى بعد أن امضوا مع محمود مدة ثمانية اشهر
لم يستقر حالهم وظلوا على ما هم عليه ^٢ ان الجيش
الذي كان يبرر واجتمع على داعيكم فانه منذ اجتماع علينا
بالاشارة الكريمة ولغاية تاريخه مضت نحو الثمانية اشهر
وفي كل هذه المدة نمارسهم ونلاطفهم حرصا على اتحاده
الكلمة والوقوف على الاشارة باطنا وظاهرا ومع ذلك لم
تور منهم الا المباحضة فيما بينهم والصدود عن بعضهم وتخصرنا
مع العكر محمد الزاكي عثمان فلم يوافقنا احد منهم حتى وان
على فسرفار نفسه لم يكن موافقا له في شيء وحصلت
بينهما المشاجرة بالفعل وايضا لم يكن بين اثنين منهم
اتفاق وكل واحد منهم رأيه لوحده ما هو ابو الشفيح لوحده
ومحمد الدين لوحده ومحمد ابراهيم ابن فاطمه لوحده
والبيهيست الثموري لوحده وعثمان عفيف لوحده والختم لوحده
وكان ايضا ابو الخليل لوحده وقد احتسنا فيهم الحيلة ((٢))

(١) مهديه ١٢٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ جماد
آخر سنة ١٣١٥ .
(٢) مهديه ٢٢٣/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ شوال
سنة ١٣١٥ .

* أما الجيش الذي انضم الى محمود من الشسررق تحت قيادة الامير عثمان دقنه فقد كان له وضع خاص، ولم تعط قيادته كاملة لمحمود ، وقد ظل حاله مع جيش محمود كما هي جيشان يسميران معا ، حتى أن الخليفة نفسه كان يعاملهما على هذا الاساس فيخطب محموداً وبقية الجيش بخطاب يكتب لعثمان دقنه على حدة وكانه ليس معهم ، وكذلك الحال عندما يكتب الامراء للخليفة فعلا الخطاب بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٢١٥ (١) كان مزيلا باختم محمود وجميع الامراء الذين كانوا معه الا عثمان دقنه ، وقد كان انضمام عثمان دقنه وجيشه الى محمود بأمر من الخليفة على اساس انه انضمام مؤقت لاجل مهمة محددة : ((فنعلمك ان المكرم عثمان ابن بكر دقنه قد حررنا اليه بالتوجه اليكم والاجتماع بكم بجهة شندى والمذكور انضمام عليكم ليس اسوة الارباع التي معكم بل هو والجيش الذي معه اجتماعه عليكم مؤقت لاجل مصلحة التحزب لجهاد الاعداء لاغير فليكن اكرام المكرم عثمان المذكور واحترامه وحفظ مقامه هو والجيش الذي معه لاجله الى ان ينتصر الدين ومادام المذكور لم يسبق لهم هو وجماعته اجتماع على انسان بالتمية وقد اقتضت المصلحة اجتماعهم عليكم فعاملوهم ايها المكرم بالاكرام هو وجماعته الى ان ينتصر الدين والسلام)) (٢)

ولم يكن عثمان دقنه راضيا عن هذا الانضمام ولكنسه اطلع امر الخليفة في ذلك ، ولم يكن ليرض بامارة محمود الذي

(١) مهيدي ٢٠٤/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٢١٥

(٢) مهيدي ١٧٧/٢/٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٢١٥

كرد (٣) مهيدي ١٦٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٢١٥

يصغره سناً ، ويقل عنه تجربة مخصوصاً في الحرب ضد
الانجليز والعصرين ، ولو لا ان امره بذلك الخليفة عبدالله ،
فقد كان محمود قد كتب له من قبل بعد رجوع جيوش بهرام
يطلب منه القيام من مكانه بمن معه والحقاق بجيش محمود
ولكن عثمان دقته تجاهل ذلك الطلب ولم يعمل به الى ان
وصله الأوامر من الخليفة رأساً " وأما المكرم عثمان ابن بكر دقته
فسلماى مائرا من اهمية عدم تأخيرها هناك ولو لم يكن
مذكور بالامر فقد حصرنا له بالحضر بكافة من معه فعلا
بالاشارة السابقة)) (١) ولكن عثمان دقته رفض الانصياع
لهذا الامر " نهدى سيدي انه في عشرين ايلول الذي
هو يوم تاريخه وردت لنا ابيوة اثنين من المكرم محمد الزاكس
عثمان مذكر بها وصوله لجهة الجبل ووعده بالحضر الى شدى
يوم الاحد او يوم الاثنين ٠٠٠ وعدم تحريك عثمان ابن بكر دقته " (٢)
اما الجماعة الذين كانوا مع عثمان دقته فقد كان
اغليهم من اهالى الشرق الذين لا يتحدثون اللغة العربية ، ولذلك
فقد كان وضعهم فيه شئ من الحساسية بالنسبة لبعض افراد
الجيش ، وقد كانت علاقة محمود نفسه مع عثمان دقته فيها
شئ من التحفظ والحساسية وليست علاقة تائد الجيش بمن
معه من الامراء " اما جلالة مقام المكرم عثمان دقته

(١) مهيدي ٨٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع آخر
سنة ١٣١٥ .

(٢) مهيدي ٨٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٣ ربيع آخر
سنة ١٣١٥ .

فائناً لا نجعلها ولا نرى شيئاً يسفى بمقاسه فس
الاکرام بل كلما يخطر بهائناً في أن نقابله به ونعمه
معه نراه في غاية القصور ومع ذلك فائناً لا نتوك من
جهذا شيئاً في اكرامه واجلاله وتوقيره واحترامه واحترام
كافة من معه " ٠٠ (١) وقد بلغت الحساسية بمحمود حدا
جعل يحجم عن طلب عثمان دقة الحضور من شدى لعاقله
كما فعل الزاكي عثمان وعلى نرفار بفضل الحسن وعبدالله حامد
من قبله بل طلب منه الاقامة بمحله الى أن يقطع هو
ومن معه النيل ليقابله " وليلة البارحة أرسل لنا
مكاتبة بمختصون غيد وصوله وتتضمن فحوى الاشارة الكريمة
التي صدرت اليه وسوقه كتبنا له بشكر منعيه والاستبشار
بمقدمه وعرفناه عن سرعة حضوره للشرق قريبا وفيما
منه ان يتم بشدى لغاية المقابلة معه " (٢) .

وقد زاد الامر تعقيدا أن الخليفة بالرغم من أنه
كان يرى ان عثمان دقة هو الاقدر في النواحي الحربية،
والأكبر سناً، وذو الخبرة المتمرس في مقابلة " الترك "، الا
انه اعطى قيادة الجيش لمحمود وجعل عثمان دقة تابعاً
معه، ولكن كان يطلب منه ابداء الرأي لمحمود : " وكذلك
انت ايها المفكر عثمان دقة فحيث انك ممارس لامر الحروب
والجهادات ولك المعرفة بأحوال الاعداء المذكورين لتقرر

(١) مهديه ١٦٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٧ رمضان
سنة ١٢١٠ .

(٢) نفس المصدر السابق .

المعاريات بينك وبينهم فسلتكن المفاوضة بينك وبين المكسرم
محمود في كل ما يؤدى لنكالية الاعداء وخذلانهم * ((١))
كان الجيش الذى تبع محمود كبيرا جدا من الناحية
العددية (٢) الا أنه كان ينسحب الى كثير من مسقطات الجيش،
فقد كان عبارة عن مجموعات متناثرة، وفرق متفككة انعدم
فيها الربط والتنظيم، فوق كل ذلك لم تزل تسيطر من التدريب
على الحركات الحربية يجعلها اهلا لمقابلة جيش نظامى مثل ذلك
الذى ارسلت لمقابلته * وقد كتب الخليفة الى محمود وجميع
الامراء الذين معه ((فنعلمكم ايها الاعوان ان الحزم في امر
الجهاد من اهم المعينات لعافيه من السداد وانكم قد
صدمتم على حركة الجهاد ومعكم من الاصحاب جيش وانهم يحتاج
في تدبيره وتدريبه لدى مصادمة الاعداء الى التفكير
التمام لضبطه وتوجيهه * والجيش الذى معكم وان كان متحزبا
ومعصيا لكن لم تسبق له مطرته لامثال هؤلاء الاعداء
الخداعين ولربما انه يكون في ساعة الحرب على عادته
السابقة من الوقوف في حالة المصادمة على غير انتظام
او تنفست الخمول منكم لاجل المناورات والكسب والاعداء يكتمون
لهم الكسائن ويدخلون عليهم الفسرد وهم لا يشعرون)) (٣)

-
- (١) مهديه ١/٢٨/١٤/١٢٥ من الخليفة الى محمود ومن معه بتاريخ
٢٤ رمضان سنة ١٣١٥ وكذلك مهديه ١/٢٨/٢٠٤ من محمود الى
الخليفة بتاريخ ٢٦ رمضان سنة ١٣١٥ *
(٢) يقدر عدده بحوالى ٣٠ الفا او اكثر بما في ذلك الفرق التى
انضمت اليه من بربر والشمسرق *
(٣) مهديه ١/٢٨/١٤/١٢٥ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٤
رمضان سنة ١٣١٥ *

يشكو محمود الى الخليفة من عدم معرفة الحركات الحربية كالتتبع في السير ومعرفة النداءات المختلفة واشخاصه ذلك فيقول " ان الارباع التي كانت معنا فيما سبق متتابعة في سيرها وفي مشيها في حال العرضه وفي ذلك من لوازمها التي تقتضى التتابع اما الان فبانضمام الجيش الذي بهرير وبعض الجيش الذي كان بالقضارف حصل الارتباك في ضرب البهري عند الغداة بالجمع سرًا كان ليلا او نهارا)) (١) ومن الحركات الحربية التي حاول الخليفة توضيحها لهم ليتعلموها ماكتبه لهم في الرابع من شوال سنة ١٢١٥ هـ وقد رد عليها محمود ومن معه في خطابهم الذي ارسلوه له في الثاني عشر منه يشكرونه على ارشاده لهم في امر الحرب (الاتحاد والتعزب والمحبسة والانقياد لعاملنا العظم محمود احمد والتصير في ساطع الحرب وتجهيز الخيول وان لا تحصل غفلة في وقت من الاوقات وان لا نفتحم قضاير الكفرة اذا تحصنوا فيها وان نفتكر لعنايتهم التي فعلها سابقا من القاء الامتعة والانكشاف عنها في ساحة الحرب وفي غيرها وان لا يحصل اشتغال بكسب الغلیم)) (٢) ولم تكن لهذا الجيش خطة مدروسة ومعدة بل امر محمود بان يذهب ليقابل العدو الزاحف من الشمال ، وقد تركت كيفية مكافحة ذلك العدو للظرف والاقدار . وقد كان محمود ومن معه من جهة والخليفة ومن معه من جهة اخرى يتخبطون من فكرة الى اخرى ومن رأى الى اخره ففسد

(١) مهدية ١٨٨/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٢١٥

(٢) مهدية ٢١١/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٢١٥ .

تحرك محمود من ادرمان الى المتمة وكان يتوقع مقابلة جيش كشمينو هناك خارجا اليه من الصحراء ولذلك وطد مؤمه وأجرى استعداداته على هذا الاساس ، فاحضر معه اعدادا كبيرة من الخيول ، كما ارسل اليه الخليفة اعدادا اخرى كثيرة فيما بعد (١) على اساس انه كان يتوقع ان تكون الحرب في ارض سهلة منبسطة يكون فيها مجال للنهل للكسر والفسر (٢) . ولكن جيش كشمينو لم يصرق اليه من الصحراء كما كان يتوقع ، فبقى محمود في المتمة دون أن يحدد ماذا يفعل بعد ذلك ، وبدأ بعد ذلك يحاول أن يتحسس الجهات التي ربما يحضر بها الجيش فكتب الى ادم بن ابي الخليل ومحمد الزين حسن ، بجهة الرباطاب وابي محمد ، ليرسلوا له اخبار جيش كشمينو ، كما ثم تعيين محمد الزاكي عثمان لجهة بئر ، صلاحظ في تعيين محمد الزاكي عثمان الاهتمام بالنساحة الادارية وأعمال الناحية العسكرية فيه ، مما يدل على عدم توقع حضور جيش كشمينو بثلث الجهة ، ولكن في ١٢ ربيع اول سنة ١٢١٥ هـ فسير محمود هذا الفهم ان وردت اليه اجوبة من محمد الزاكي شيد تقدم الكثرة الى ابي محمد ومطابقتهم محمد الزين حسن وفوز الاخير بالشهادة ، وعليه «بعد الشبهة رؤية المسلحة فلأريضا ان نأخذ معنا ناس المكرم فضل الصنعة وعبدالله حامد بعين معهما وانهم من أس

(١) مبدية ١/٢٨/٤/١٤٠٥ هـ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٨
 ٢١ محرم سنة ١٢١٥ هـ . ومبدية ١/٨/٣١ من محمود الى الخليفة
 بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٢١٥ هـ .
 (٢) مبدية ١/٨/٨٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع
 آخر سنة ١٢١٥ هـ .

شارعين في القسوس علينا . . ولغاية آخر نهارنا هذا
منظور استكمالهم علينا وكسره او بعد يكره نقوم بالجيش
جميعه نحو بربر . . (١) ولكن لم تصلهم الموافقة النهائية
من الخليفة بالتحرك نحو بربر . . وعليه عندما ارسل محمد الزاكي
عثمان الى محمود يستفسر عن وضعه ووضع الجيش الذي
معه بربر : هل ينتقل سر بها ام يتراجع بعد ما حصل لجيش محمد
الذين حسن (٢) لم يستطع محمود أن يكتب له بأمر قاطع بل ترك
له الأمر مبهمًا إذ قال له : " نرى ان تحزموا أمركم واثروا
موافقتنا من اوجه التدابير معموله إذ بحمد الله لا يفسد
عليكم شيء فان رأيتم الانحياز الى الغرب معكم وانتظارنا
هناك فهو موافق وان رأيتم تثبيت الاصحاب والاستعداد والتحزب
لغاية قدومنا كذلك موافق وعلى الجملة فاذا حصل شيء قبل
وصولنا فمسلوكم وجوها افعال التدابير الموافقة لان الحاضر
يرى مالا يراه الغاي (٣) (٤)

وقد حضرت بعد ذلك إحدى وابورات كتبتو فجعلت
الزاكي يتحرك بربر هتزاز الى محمود بالتممة . بعدها ظن
محمود بأن جيش كتبتو سيواصل سيره وأخذ بربر ثم ينزحف
نحو أم درمان ، ولذلك جعل يلملم اطرافه في انتظار وصولهم اليه ،
وطلب من عثمان دقته القيام من مكانه بالشرق لينضم اليهم
كما فعل الزاكي عثمان . وتغيرت تبعًا لذلك الخطة من جديد فنقد
رأى الخليفة ان الجيش لابد له من الرجوع الى السسهاوقه

(١) مهديه ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع اول
سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ليلة ١٥ ربيع
اول سنة ١٣١٥ .

(٣) نفس المصدر السابق .

لان بها " المكيدة فى السفن " . وهنا لابد من ذكر الفرق بين الخطة التى كانت فى ذهن محمود وتلك التى كللت فى ذهن الخليفة . فقد كان الخليفة يرى أن يركز على مكافحة الواهبات فى البحر بينما كان محمود يرى " : أن البحر لا حرب فيه غير الواهبات ويعد بما معلوم فى حال الكفرة أن يرسلوا واهباتهم الى السبلوكة بدون جيش وإذا كان المدار كله على جيشهم الذى بالبحر وأن المتواتر فيه من الاخبار انه سيحضر ويحارب بالصحراء بدون أن يتسبب بشئ . وعلى هذا فجهة المتعة أولى فى الحرب وأوسع لمجال الخيل ولاتخاذ الكمين ولسرقة التهام الجيش بالجيش كما هو مزم داعميك (١))

وقد أدى هذا الاختلاف فى التفكير وعدم وجود خطة مدروسة محددة الى التردد الذى وقع فيه محمود وعدم تحركه من المتعة حينما كان الخليفة يرى انه لابد للجيش من التحرك للاستيلاء على بربر لايستلزم المضائق وعمل الطرول فيها لمنع الواهبات من التقدم وبعد ضياع فرصة استلزام بربر كان يرى انه لابد من رجوع الجيش الى السبلوكة لنفس الغرض فان محمودا كان يرى ان المتعة هى المكان الاهم وعليه لا يمكن تركها وراءه مهما كان الامر ولذلك فانه بعد أن اطمأنأ الامر من الخليفة بالتحرك الى بربر ظل يتكأ ولم ينفذه مباشرة بل ظل يشاور من معه ويطلب مزيداً من الاسلحة القوية ،

(١) مهدية ١/٨/١٨٣٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع
آخر سنة ١٢١٥ .

ومعتذر عن هذا التلكؤ بقوله ((ولو لا الإشارة الكريمة
 يا نبينا تخاير سبيادكم بعد اغلاق العسيرة ثم نقوم لكننا
 قمنا بالفعل ولم نخسر ولو يوما واحدا والمفاوضة اغلق
 الرأي على القيام بالجيش جميعه الى بربر ومنها الى محلات
 المضائق والشلالات غير انهم ذكروا اغلاق افنى الاخوان بسان
 خيلة الفتنة هذه هي من اكبر المفازات وبعد تواتر نزول
 الامطار بالخلال لايمعد أن تسول للاعداء نفوسهم النزول
 عليها طليبا للفتك والزيادة العشوائية بالاصحاب وغبوا ان
 يتعين جيش للاقامة هنا وقوم من البقعة العسيرة حيث انهم
 يقوموا من هنا نحو بربر وذلك لئلا يجد العدو فرصة للدخول
 بهذه الجهة ولو مجرد طلائع وماذكروه داخلكم يراه عين الحزم " (١)
 وحتى بعد أن تحرك محمد الزاكي عثمان من بربر ، وتكبد
 محمود أن جيش كشتر سيحضر اليه عن طريق البحر عمان
 ذلك الجيش باستيلائه على جهة بربر يكون قد استولى
 على جهة استراتيجية هامة ، الا ان محمودا ظل يحاطل
 في التحرك من الفتنة : " تهدي سيدي حيث ان داخلكم ومن معه
 في مقابلة امر الحرب مع الكفرة خذلهم الله تعالى وهؤلاء
 الاعداء من قبل وصولهم بربر وهم غفوتون ومتكثرون باهالي
 البلد وغميرهم ولا سيما فبدخلهم الى بربر يزداد غميرهم
 وشعروا الاكمن القتال بل قد صاروا بدخلهم في هذه الجهة

(١) مهدية ٢٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع اول سنة
 ١٣١٥ . كذلك مهدية ٢٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ
 ٥ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

كالعدو الذى بين الشرب والجسد ولا ينبغي التهاون فيه ولا
الغنى عنها فيه ادنى نكايه بهم وهذا لما يتوهم من الخيالات
الفاصلة ولهذا فان داعيكم يرى انه من الواجب المحتسم
عليه دون غيره ان لا يكتف من سيادتكم شيئا فسيبه
المصلحة وعلى ذلك فان تاخيرى بالجهت بالمتعة وان كنت
اعلم ان الاعداء يتكلمون فيه ويتسرع لديهم مجال الطمأن
لكنى لم اناخر لشئ فيه حظ لنفسى ولا لراحتي وانما
تاخرت بحسب المصلحة الدينية)) (١)

ثم اتضح لمحمود ان جهش كتشنر لم يكن قد استولى
على بربر وانه قد اضاع وقتا مهما بالمتعة متوردا
لا يتقدم الى بربر ولا يتراجع الى السيلوتيه واتضح له ان
هذا التردد والتاخير من بربر قد اضر بجهشه ضررا
بالهفا)) بسدى سبدي وانه لا يخفى جانبكم احوال الكفرة
خذلهم الله تعالى فى ان غاية اعتمادهم على التحيلات والتدبيرات
التي لا تأخير لها فى شئ من امر الله تعالى ومن ذلك تاخيرهم
الان عن الحرب فسانهم وان كانوا متأخرين جيتا وخوفنا لكنهم
يتغلبوا وانه من باب التدبير وقد اتضح انهم لم يحضروا الى
بربر لغاية الان وانما ارسلوا وابوراتهم وهى اربعة وارسلوا
العبادة المضذولين كما توضح فى غير هذا واذا كان كذلك
فان تاخير الكفرة عن الحرب الحاله هذه اذا صح امره لا يمكن اضرمة

(١) مهيده ٨٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بطرينج ١٢ ربيع آخر

للجيش هنا بل اذا صح فلا ينبغي التأخير بالعتمة وتجب المبادرة الى بربر لاسترجاعها منهم بقسوة الله تعالى (١) وذلك ترك محمود العتمة الى بربر وهو مضطر الى ذلك ، وجيشه في حالة ضعف شديد كما ذكر للخليفة (٢) ، وحتى بعد تحركه نحو بربر لم تكن فئده خطة محددة ولم يرسم لنفسه طريق سير محدد بل اعتمد على ما تتطلبه الظروف الوقتية وعلى ما تشير به مشورة من معه باذاته بعد ان وصل بالجيش الى العاليلاب اختلف المراءى بينهم في هل يتبعوا طريق " البحر " ام يتكبره ويتجهوا شرقا نحو نهر مسطبره .

ولعدم وجود خطة مدروسة ومحددة لدى محمود فانه ظل يتخبط ويشاور ، ثم يقرر شمسًا ثم يتحرك ليهتخذ مسوقا اخرًا ويستقر على فكرة اخرى ، وقد ادى ذلك الى ارهاق الجيش الذي كان معه بكثرة التحركات من جهة الى اخرى ، وبالعبور من الشرق الى الغرب ، فالجيش الذي حضر من القضاوف مع فضل الحنة وعبدالله حامد لم يتحرك بالششرق بل طلب منه ان يعبر النهر الى الغرب (٣) لانه كانت هناك فكرة سابقةائهم في العتمة ليعتكن محمود من التحرك بجيشه الى بربر ثم جاء جيش محمد الزاكي عثمان فطلب منه العبور ايضا (٤) ثم غارة كان محمود يقرر التحرك بجمع من معه الى بربر ، وامر بعض الارباع بالتحرك امامه ، وكسر معكره في العتمة ، ولكن بعد كل ذلك وبعد ان تتحرك بعض الارباع

(١) مهدية ١٠٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥

(٢) مهدية ٢٢٤/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ شوال

سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ ربيع

اول سنة ١٣١٥ .

(٤) مهدية ٩١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ ربيع اخر

سنة ١٣١٥ يذكر بان قاطس محمد الزاكي كان قد غاية الانحلال .

بمقرر محمود الفاء فكرة التقدم وتوجع الارباع التي تقدمت مرة اخرى (١) " نبيدي سيدي اننا كذا رفعتا لبيادكم غير مرة قهامت من المستمة وانه لا تاخير لنا سوى انتظار اجتماع ناس المكرم فضل الحسنة بمن معه علينا وقد كان واجتمعوا علينا امن تاريخه لداعس تشريق طاساتهم بالشرق وعلى حسب ما رفعناه من السفر بالجيش كان خرجنا من المستمة بغاية الاستعداد الذي هو في طاعتنا وصرنا على وشة القيام بل كل يوم فنحن في حركة السفر نحو بمرير الا ان الاحوال لم تساهل بالقيام مرة واحدة ولما لم يتأتى ذلك تراء لداعسكم بعد العشرة قيام على طوائف وجميع امن هذا وجهنا المكرم عبدالقادر دليل يريعه ومازمن على توجيه المكرمين فضل الحسنة وعبدالله حامد يومنا هذا باثري ونستقيم بعدها بباقي الارباع جميعها بدون تاخير " (٢) ثم تصل وابورات كشور لناوشة محمود وزمزمته ويتضح له ان الابورات كانت تعيل دائما الى جهة الشرق لعدم وجود جيش بها فيطلب الاذن في السطاح له بارسال بعض الجيش مسرة اخرى الى الششرق للاقامة بشندي وعمل الطوايف فيهمسا (٣) سيدي ان وابورات الكفرة عند محاربتها فهي طاسكة البر الششرق وذلك لعدم الانتصار به وذات ولد الشورتاري والاخ الذي معه شاهدوها بامتهم (٤) وقال في خطيب

-
- (١) مهديه ٥٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ هـ
 (٢) مهديه ٥١/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١٥ هـ
 (٣) مهديه ١١٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٨ جماد اول سنة ١٣١٥ هـ

آخر ان الواحرات عندما حضرت حاربها الانصار الذين بالغرب وعطّلوا واحدا منها ولو كان هناك جيش بالشرق لكان له اثر كبير في محاربتها " تبدي سیدی ان وایورات الکفرة الثلاثة بعدما رجعت اس نحو شندی لعدم الانصار بها ومكنت الى قریب المغرب ثم توجهت نحو الجزيرة سرديّة ولو كان بالشرق جيش لما تمكنوا من الانسحاب على شندی ولا تصلح وایورهم المشروب مع انهم توجهوا به ٠٠ من هنا مقطوع ٠)) (١) ولكن عندما تكرر الضرب من هذه الواحرات وزادت حركتها نجد محمود يغير رأيه مرة اخرى ويقرر ارجاع جماعة الذين بالشرق الى الغرب مرة اخرى فيكتب في شعبان الى الخليفة " انه منذ سبعة ايام قد صارت وایورات الکفرة تغيب يوما واحدا عن جزيرة سرديّة التي هي بعراى العين من ديم المتعة وصارت تغيب يوما وتضارب يوما ومع هذا فانها مستوددة بحيث كل يوم يحضر وایور آخر ويتوجه السدی قبله ٠٠٠ استقر سیدی ان الاخوان الذين بالشرق لا يد من جمعهم عليا ولكن المراكب متعذرة)) (٢)

ثم اخيرا قرر محمود ان يترك المتعة ويتحرك نحو يور بجميع من معه من الجيش وبالتالي قرر ان يعبر بجميع الانصار الى الشرق مرة اخرى ٠ وفي كل المرات المتكررة التي حدث فيها العبور من الشرق الى الغرب او من الغرب الى الشرق

-
- (١) مہدیة ١/٨/١/١٧٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٩ جاد اول سنة ١٢١٥ ٠
- (٢) مہدیة ١/٨/٢/١٧٤ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٢١٥ ٠

كانت هناك صعاب كثيرة تقابل الانتصار وقد مات منهم عدد كبير بالغرق كما ان الرماح اخذت كثيرا منهم في الأسر ونس احدى هذه المرات يوضح محمود بعض الصعاب فيقول ((نهدى سيدي انه على مقتضى الاشارة الكريمة بالقطوع للشرق مازلنا باذلين الجهد في قطع الانتصار شي نشرة لاني المراكب قليلة وهي كلها ثلاثة معديات وكل واحدة لا تزيد من خمسة ستة انفار وايضا فلا تقطع في النهار زيادة من مرتين ٠٠ خوفا عليها من وابيرات الكفرة ٠٠٠ ولا يخلو الحال من غرق بعض المعديات بالانتصار ونوزهم بشهادة البحر)) (١)

وبعد أن وصل محمود بجيشه الى العالياب واستقر رأيه على الذهاب الى نهر المطبره نجد انه سار بالجيش كله في يوم واحد فقط من العالياب الى ام ضبيح وفي هذا ارهاق شديد للجيش ((فقد توجهنا من العالياب في ظهر يوم الجمعة الموافق ٢٤ شوال ونزلنا في بحر اتبره بيوم السبت الموافق ٢٥ منه وكان نزولنا قريبا من جهة ام ضبيح وقد وجدنا في الجهة المذكورة من السدوم ما اوفى بكفاية الجيش الا انه مضى لهم غاية الضرر)) (٢) وزيادة على هذا الارهاق بكثرة التحركات فان جيش محمود قد هلك الجوع وانعدام الغلال والمؤن والذخائر.

كانت مسألة صون هذا الجيش من اكبر الصعاب التي قابلت محمود وكان دائم الشكوى من انعدام الغلال

(١) مبدية ١٩٤/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ رمضان سنة ١٣١٥ .
 (٢) مبدية ٢٣٠/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ القعدة سنة ١٣١٥ .

والاسلحة النارية والذخيرة . وقد كان محمود في ايامه
التي قضاها في الغرب يغترق جيشه بالجهات ليحل مشكلة
الغلال ويتسرع لهم المجال ويجمعوا مرة اخرى عند الحاجة
اليهم . اما في هذه الجهة فانه لم يتمكن من عمل ذلك كما
انه وجد ان الجهة نفسها قاحلة ليس بها الكثير (السيدى
ان الجيش الذى مع داهمكم شىء) وافر بحمد الله تعالى وهذه
الجهة لا تلى ببعض المؤن اللازمة له فضلا عن وفائها بها
كلها ونقصها ما قبل بان القشوش اللازمة للخيل وللبهائم
غيرها مالم تتممر السواقي وتدير لايتأتى الحصول على
شىء منها على ان كافة ابقار الجهة صارت بيد الاصحاب
واذا ارسلنا الابقار تعسير الجهة خالية عنها وعن ساقية
واحدة . يحصل التلف للخيل فيما بعد (١) (٢)

وبالاضافة الى ان الجهة كانت بطبيعتها ضيقة
ولا تسمع هذا الجيش فان الانصار قد خربوها خرابا شديدا
اذ انهم " اغاروا عليها ثلثة بعد ثلثة مشاة وركبائنا
غربا وشرفا حتى اتوا عليها وجعلوها حصيدا كان لم
يكن بالامس حيث اخذوا البهائم وقتلوا وجرحوا كثيرا من
الرجال (٢) (١) وكانوا يرسلون البهائم التي كان الاعتماد
عليها في تعسير السواقي الى امدرمان وقد حذر
الخليفة محمودا من ذلك فكتب اليه في ٥ ربيع اخر

(١) مهيدي ١/٨/١/١١/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٠
صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهيدي ١/٨/١/٣٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ لم يسلم
٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

يحذره من ضرر ارسال جلعته لهذه الاشياء " الى
اولادهم طوايف طوايف أشبه بحال الكباشات السابقة)) (١)
ولم يكن من السهل ارسال الغلال من ادرمان لكثرة وجود
الجيوش التي بها ولذلك كتب الخليفة الى محمود " فتعلمك
انه نظرا للاهتمام بالمعاش وشبات الجيش الذي معك قد تحرر
لك مرارا بالاعتناء بالغلال وهذا تأكيد لما سبق ينبغي ان ترد
تقظا فسي ذلك بحيث لا يحصل اقل تذيير فانك رأيت البقعة
وتراكم الاصحاب بها فانه غير ممكن توجه غلال منها يكتفى الجيش
الذي معك وحيث ان الله قد جعل لكم مخرجا في امر الغلال
فلا تضيعوه وكذلك البهايم لا يتلفوها الاصحاب بالذبح وليكن
منك اللطافات لكل ذلك والسالك)) (٢) وحتى لو وجدت الغلال
فان طريقة ارسالها لم تكن سهلة ، ولم يعمل محمود ولا
الخليفة على تنظيم طرق جيدة للامدادات ، ولذلك لم يكن
باستطاعة الجيش اسطلام اى شىء يرسل اليه من ادرمان ،
وقد كانت اول تجربة في هذا الصدد هي ان يعقوب بن محمد
اخا الخليفة كان قد ارسل بعض المراكب بالغلال الى الجيش
ولما اتضح له عريان صدائه ودسسه ارسل اليها مخلصين
ليلقوا بها صيدها ولكن بدل الرجوع بها اخذوها ودخلوا بها
الفتنة " نمدى سيدي ان المراكب التي ارسلت بالغلال

(١) مهدية ٧٩/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٨ ربيع

آخر سنة ١٢١٥

(٢) مهدية ٢٨/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٠ صفر

سنة ١٢١٥

لاجل صرف الجيش كان لحقوها مناصيص من طرف سيدي
المكرم يعقوب بن محمد لاجل حوزها فط كان منهم
الا ان سلاوا سيوفهم وعرضوا واخذوا المراكب ودخلوا
بها المتعة)) (١)

ولم يستطع محمود السيطرة على النيل ليتمكن
من استعماله لهذا الغرض بل العكس ان وابسورات
كشتر منعتة متعا باط من مطولة استعماله فيما بعد .
ولم يكن طريق البر احسن من ذلك فبعد ان صرف الخليفة
من محمود بأن وابورات الكفرة صارت تتروى كثيرا على جهات
المتعة وما بعدها قرر ارسال العيوش الى وادى بشـساره
بالمراكب لينقل منه بعد ذلك بالبر . " فتعلمك ايها
المكرم انه بالنظر لشغقتنا على الاصحاب الذين معكم
واهتماما بامركم الجميع وان كان امر العيوش هنا متعسر
نظرا لتراكم العيوش هنا من كل الجهات فما قد شحنت لكم
المراكب بالعيوش ومتوجه لطرف المكرم عبدالباقى عبدالوكيل
لكى يضعها لكم فى المحل الموافق تحت امانيته فيوصول
هذا اليكم فانظروا باغاثكم الجميع وانتدبوا حالا من تختاره
من الرجال الامتة لاستلامها من المكرم عبدالباقى واعملوا
الطريقة المؤدية لنقلها اليكم بطريق البر بغاية الصيانة
والحفظ ويكون التجهيز بارسال ما تخطرهم لذلك ليواجه العيوش
بطرف المكرم عبدالباقى عبدالوكيل وجرى ترحيلها اليكم)) (٢)
ولكن محمود لم يستطع ترحيل العيوش بعد ان وصلت بالمراكب
الى عبدالباقى عبدالوكيل بـسـساره ، وقد كتب

(١) مهدية ٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٦ محرم
سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١٥٤/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٥
رجب سنة ١٣١٥ .

الى الخليفة بذلك فرد عليه الخليفة بأنه بعد أن فشلت هذه المحاولة فان الحل الوحيد هو رجوع الجيش كله الى السيلوق لعدم التمكن من السيطرة عن طريق الامدادات " نحب أن يكون امر الجيش الذي معك مختلفا وممددا ومن وقسمت مامائنا دخول الضرر عليه امكننا ذلك وصرفنا فكرنا نحو الاستكثار لوجه راحته ففى امر معائنه ومع ضيق الحال عظم ارسلنا ماسبق اعلامك به من العيش لرفع ضرره ولما علمنا من اجيشتك السابقة واللاحقة تردد وابهرات الاعداء خذلهم الله عليكم وعدم تمكنكم من نقل العيوش اليكم اول وصولها بواى بشارة وتضرركم من الاقامة بالمتمة لرهبتمكم عدم حصول مصلحة فى ذلك ورغبتمكم للقطوع للجهة الشرقية لعناجة الاعداء اتفقت المشورة لدينا على اصوية حضوركم بالسيلوقه ورأينا ان فى ذلك المصلحة من عدة وجوه الوجه الاول تمكنكم من العيوش التى ارسلت لكم لازالة ضرر الجيش منها الثانى امكن وصول العيوش اليكم من هذا الطرف من كل الطريق برا وبحرا حتى بصفة البيع والشراء وفى تواجد العيوش راحة للجيش وتجمعه)) (١)

ولصعوبة طريق البر لم يستطع محمود نقل العيوش التى ارسلت اليه دفعة واحدة فصار ينقلها على دفعات وقد اتضح له فيما بعد أن هذه الطريقة غير مجدية ولا نفع منها : ((والغلال الذى سبق ارساله من البقعة المنورة

(١) مهديّة ١٦٥/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٤ شعبان

بإشارة جنابكم احسانا عليهم لم يرد لهم دفعة واحدة حتى يكتفوا به ويكون لهم زادا يبلغهم السهل وانما ورد دفعة بعد أخرى حالة كونها متفاوتة في المقدار واقتضى الحال بعد ذلك صرفه للارباع بالتعاقب الى أن طالت الايام واخيرا انقطع عنهم ((١)) وضاق الطل بمحمود ومن معه من اعداء الغلال فكتبوا للخليفة ((ان كافة الانصار الذين معنا من اولاد العرب والجهادية كلهم شكوا لنا بملسان الحال والمقال في امر عدم الغلال وظهر عليهم من الضمير سالا طاقة لهم بالتصير عليه بعد هذا والاخر يومنا هذا غمقدها بهم بميدان العرضة فاذا الموجود من الجيش نصفه او اقل وكلهم توجهوا للشرق لجلب الغلال ولا يخفى ما في حالة الفزع للغلال من التفرق وعدم الحزم وكونهم عرضة للضياع بحصول ادنى هجوم من العدو)) (٢)

كثر خروج الانصار من الارباع لعدم وجود الغلال وجار بعضهم يتوجه الى البقعة والبعض الاخر يقطع الى الشرق طلبا للعيش ((انه قد كثرت في هذه الايام تطلب الاصحاب لنا في الاذن بانهم يرسلوا للبقعة ليشتتوا لهم غلال ولا تعلم هل يوافق ذلك ام لا)) (٣) وبعض الذين توجهوا للشرق كانوا يتزاحمون على المراكب حتى غرق بعضهم ، وبعضهم كان يتوجه الى الشرق بغرض الهروب

(١) مهدية ١٢٨/٢/٢١٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١٤٠/١/٨ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٦ جمادى آخر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١٦٠/٢/٨ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٣١٥ .

من ضيق الحال " ١٠٠٠٠ انه قد كثر في هذه الايام خروج
الانصار للشرق وتعديتهم طوائف طوائف من أجل مسألة
الغلال التي سبق رفعها حتى وكثرة خروجهم من اولاد
العرب والجهادية صارت الارباع في غاية الخفة وحتى
لتراكمهم على المعديات فسرقوا كثيرا منهم باسلاحهم)) (١)

وقد كان الخليفة يكتب اليهم دائما وبأمرهم بالصبر
والثبات والتوكل على الله في مثل هذه الاسر وذكرهم
بأن " المجاهد رزقه في سيفه " ((وليكن الان الاجتهاد منكم
بالهضم العالية في تذكير الجيش في الثبات باماكنه والوثوق
بالله السرازق والاعتماد عليه وسيجعل الله بعد عسير
يسيرا فان له المخارج والخزائن المواسمة وهو ذو الفضل
العظيم وفادام انكم بصدد جهاد الاعداء فان شاء الله
تسربا يحصل مافيه الفرج ونفى الحرج فشقوا بالله ايها
الاهلوان وذكروا بذلك جميع من معكم من الاصحاب وتسفوا
للعمدو بكل مرصد)) (٢)

وقد عثى محمود ومن معه من امكانية حل مشكلة
الغلال بعد ان اكتبوا من الكتابة الى الخليفة دون جدوى
وقد ظهرت روح اليأس هذه في خطاب محمود الى الخليفة :
" وقد كلف في الامام السالفه اكثرنا المعروضات بخصوس
طلب العيش الى أن اساط الادب وتجاوزنا الحد وظهر لنا
خطاؤنا واتضح اننا ارتكبنا مالا يحق فعله بنا ثم رجعنا
على نفسنا باللايعة والان وقد عرض من حال الجيش في العيش
ماوجب رفعه وتفصيله لصوبكم الكرم لاننا لانخشى اذا سكتنا عليه

(١) مهديه ١٦١/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ رجب
سنة ١٢١٥

(٢) مهديه ١٦١/٢/٨/١ و ١٥٢ من الخليفة الى محمود بتاريخ
١٨/٥ رجب سنة ١٢١٥ .

ان يحصل بسببه الفشل فتعود العلامة علينا
ونسأل عن ذلك في الدنيا والاخرة مع ماينسب اليها
من اضرار الحزم واذا كان كذلك والجيش الذي مع هدمك
الان بحمد الله كثير وفيه الكفاية لمكافحة الاعداء بل كل
من فيه من الرجال فهم اهل حزم في الحرب والكثير
منهم شاهدوا المهدي عليه السلام واخذوا منه
واقستسوا من انواره العظيمة وايضا الكثير منهم هم
تربوا تحت سيادتكم وارشد في كل اموره حتى صاروا
جميعهم من السذجين تدرسوا على الحرب وتهذب اخلاقهم
الصابرين في البأساء والضراء حين البأس ولو لا ذلك لما
صابروا هذه المدة حالة كونهم جاءهم عارين مقطعين
بين الجهات جزاهم الله خيرا ولوجود هذه الصفات المتقدمة
فيهم وزيادة عنها لم تسمح نفس داعيكم ان يرسلهم
الى الضياع حالة كونه شاعدا بالعمين وليس شأننا الخوف
عليهم من القتل وانما الخوف من الجوع وحق لنا
ان نخاف لان الجيش الان لا يملك شيئا ليلة واحدة . فان
الجوع قد تمكن بالجيش ولم تذكر هذا ونحن نريد التأخير
بهم ولا راغبين بانفسنا عن التعب في الله وانما خاشعين
على جيش الاسلام وعلى الاشاعات التي تنسب اليها في
اضرار الحزم لان الجهات التي اماننا من هنا والى يسر
ليس فيها غلال وفي بربر غير محقق وجوده وهذه الحالة
لايكن اصعب منها علي ان الفوج من الله متظير . وطام
اتنا عزمنا على القيام وافقت عليه الاراء وتكررت بسببه
الاشاعات الكهينة فليس الا هو يذل الارواح بدون الكثرات
وقد اوضحنا هذا طلبا للسلامة من سؤال الاخرة ومن
المطامعة في الدنيا ولم تكن راغبين به ارسال
العيوش ولا انها اذا ارسلت بعد هذا عمل اليها لتعذر

وصولها ولو كنا قاصدين بذلك ارسلناها لاوضحنا
ذلك صريحاً لجنايتكم ان العبد لا مسلماً له غير سيده
وايضاً لو كنا قاصدين بذلك ارسلنا العيون لاعرضنا
لميادتكم مع كافة الاخوان كما حصل سابقاً وانتظرونا
الافادة وانما ايضاحنا هذا ايضاح من يخشى السلامة
فى الدنيا والسؤال فى الآخرة لا قدر الله ذلك واننا
الان على غاية الشفقة على الجيش فى امر العيش
لانه على غاية الجوع كما تقدم ولاشك ان الجوع من
اعظم مواد الابتلاء والاختبار والصبر عليه صعب جداً
مع الحرب وعلى ذلك فاذنا حصل شئ من الاصطاب
الذين معنا فى ارتجاعهم عن الجهاد او فرارهم لجهة
الاعداء او غيرها لا قدر الله تعالى ذلك فتكون سيدي
غير مؤخرين بما يحصل فى ذلك ومعفو عننا فيه
ونسأل الله الستر والسداد آمين والسلام)) (١)

كذلك كان محمود كثير الشكوى من قدم الامدادات
الحربية وقد تكررت منه المراسلات فى طلب الاسلحة
الثابة والذخيرة دون جدوى ومن قبل ان يتحرك من امدان
طلب امداده بالذخيرة التى تكفى الجيش : " ان اجوة
الاصطاب هذه وان كانت تفيد شدة الحزن منهم وعدم
مبالاتهم بهذه الحركة لكن داعيكم فى غاية الشفقة
لوجهين اولهما عدم الجهد لانه الذى ذكره منها لايفى
بالصرف لهم وجه وجه ... ونرى ان تأخيرنا بعد هذه

(١) مهدية ٢١٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤
شوال سنة ١٣١٥ .

الحالة لا يمكن أبداً والحقوق بالجهش ضرورتى جدا ولكن وصولا
لهم بدون الجبه خافه لايجدى شيئا ولذا حررت هذا راجعاً من
الاسماف - ولأجل معرفة ما عليه داعيكم من المشفقولية
والاهتمام بالحقوق هذا والإلهادى دامت مقبلة والسلام " (١)
وعندما أمره الخليفة بالتحرك الى بربر فى ربيع الاول ليتخذ
المراصد وعمل الطوابى طلب محمود بناءً على اتفاق
شورى من معه بعض الاسلحة الظهيرة والمدافع فرد عليه
الخليفة بأن قتل هذه الامة بالدين وليس بالدين
وانه خير له ان يقول توكلت على الله عوضاً عن الاف بندقة
التي طلبها ((نددى سيدى حيث ان الاشارة الكريمة
اقتضت قيام الجيش نحو بربر - وتلك الحالة تحتاج الى
المدافع الكفاية بالشرق والغرب والان ليس معدة من المدافع
الا القليل فلذا قد استصروا جميع الاخوان التماس
زيادة المدافع والظروبية واستصروا ايضاً ان نلتص لهم
بارسال جانب من اسلحة الرمتون ولو الف بندقة فقط
لأجل تضيقها لأولاد العرب خاصة لان اسلحتهم قليلة
وفى مثل هذه الايام اذا اخذت الاسلحة من الجهادية وصلت
لهم لاشك من تغير خواطرهم ولا ينبغي فى ايام الحرب تغيير
الخواطر)) (٢) وفى ٨ ربيع اول وحل رد الخليفة " ولعلمنا
ان النصره هى من الله سبحانه وان الوشوق به سبحانه
هو اقوى سبب فناء نبيك ان تكون واشتد معتدا عليه
طالباً منه العون والنصرة وبفضل الله سبحانه ان الاسلحة
التي معك بكثرة ومع ذلك كله فليكن القلب راقظ بالله فان الله
سبحانه يقول وما النصر الا من عند الله وهذه الامة قتالها هو بالدين

(١) مهيدي ٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٣ محرم سنة

١٣١٥

(٢) مهيدي ٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع اول

سنة ١٣١٥

ليس بالدنيئة لان الدينها لا تغيب دينها فانهم ذلك واعلم انما
 شئى ان تقول موضحا عن الالف مقدمية " توكلت على رب
 الهة بخالص القلب وصفاء الهية فان الله يحب المتوكلين
 وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وما ذكرنا لك
 هذا الا لقصد الخير لك ولكي تهمل الى الحصن المنيع الذى
 هو التوكل ومن معك من الاصحاب والاسلحة ابذل الهمة واشدد
 فى الله العزيمة وفرغ قلبك له والزم النهج العرفى واعلم
 ان حسن شبائك وثقتك بالله معلوم لدينا وان هذا النفس
 الملتوم معلوم عندنا انه ليس نفسك وانما حملك عليه بعض
 الاصحاب فذكرهم بما ذكرنا املاءه والسلام)) (١)

وقد ادخلت هذه الحالة محمود فى الصرح فالذين
 معه يلاحون فى طلب الاسلحة الثائرة والدافع والذخيرة
 والخليفة يطلب منه ان يستعين من ذلك بالتوكل على
 الله ولذلك صار محمود شديد الحساسية عندما يكتب
 الى الخليفة فى موضوع الاسلحة " وهذا فاذا كتبت لسيادتكم
 بطلب شئ فى غير محله أو حررت ما يفيد خلاف القصد
 فلم اصعد ذلك ولم افعله الا بعد المشورة وانحساق الاراء
 عليه على ان استعمال المشورة المذكورة فى مثل ذلك لولا
 تكرار وامرهم الكريمة بها لما فعلناها ولكننا نستغنى بالاشارة
 التى ترد لنا ونعمل بها على اى حال ومن هذا القيل ماحررنا
 سابقا ملتصقين فيه ارسال الاسلحة النظرية بنا على تطلب
 الاخوان ورود الرد بما يفيد التوكل على الله والاعتصام به)) (٢)

(١) مهيدي ٥٤/١/٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٨ ربيع
 اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهيدي ٤٨/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٥ ربيع
 اول سنة ١٣١٥ .

اتفق رأى الاخوان بعد العشرة بصرف الجبه خائى الموجوده
جميعها وعلى حسب اخطاقتهم اجرينا صرفها وقد خص البندقية
الواحدة من الرمنتون دستتين فقط ومن اليبادة وابن روحين
اربع دستات وهذا القدر قد استقله جميعهم كما واه فى
الحقيقة قليل وحصول واقعة واحدة يفرغ منهم ويصير
وجود الاسلحة كعدمها حتى ومن يحصل منه شئ" يحصل ذلك
على عدم الجباخاه ٥)) (١)

وحتى بعد أن ارسل الخليفه بعض الاعدادات الى محمود
لم يتحسن موقف الجيش من الذخائر وعندما تقابل مع جيش كشنو
لم تكن الذخائر التى عند الانصار تكفيهم لصد الهجوم الذى
يقابلهم : " ثم ان الجبه خائى الموجوده جميعها قد صار صرفها
للجنى باكملها حتى لم تترك منها شئ وقد خص البندقية فى
الرمنتون ثلاثة دستات ومن سابق عندها دستتين فصارت
البندقية بها خمسة دستات واليبادة ستة دستات وابن روحين
خمس دستات ٥)) (٢)

وقد كان لهذه الحالة السيئة التى سافر الجيش
عليها من عدم المؤن والاغذية والاسدادات والذخائر، اثره فى
نفوس الانصار وفى روحهم المعنوية فكتبوا فى ٢٢ رجب سنة
١٢١٥ للخليفة يستجدونه بعد ان صارت حالهم صعبة للغاية ،
ويقولون انهم قد استقر رأيهم على السفر نحو بصرى
ولا بد أن الكفار سيسمعون بعقدتهم " وانا علم لهم اننا

(١) نفس المصدر السابق

(٢) (٢) مهيده ١١٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢

شوال سنة ١٢١٥ .

نحضر بدون مدد في المعركة فربما انهم يصابرون في الحرب لاجل تمكن الجوع ووهن القوة لا قدر الله تعالى على انا نقول^١ ان الاصحاب الذين معك فكلهم بحمد الله تعالى واقفون على الاشارة امرا ونهيا وقد آل امرهم الان الى حالة ليس بعدها شئ من الضيق حيث صارت النقط الموضوعة بالشمرق والغرب لضبط الطرق تخايرت بما ليس في الطاقة الصبر عليه من انها في كل يوم تقبض مددا وافرا من ارباب الاسلحة والحرب والخيالة هذا بخلاف الحالة المشاهدة فيهم بالديم من شدة العضاقة التي لا تطيق القوى البشرية الصبر عليها واذ سافروا للجهاد بهذه الحالة فالمترى عدم القيام الجيش^(١) ولم يكن الضيق قاصرا على المجاهدين وحدهم بل شمل كذلك عائلاتهم التي كانت معهم وتلك التي تركوها وراءهم بالغرب وقد كان من عناصر ضعف جيش محمود انه كانت تتبعه اعداد كبيرة من النساء والاطفال وقد كانت هذه مينا ثقلا عليه وقد زادت مشكلة تعينه مستهددا كما جعلت تحركاته صعبة جدا^(٢)، اما العلويل التي تركت في الغرب فقد كانت الاخبار التي عمل عليها لا تهتم على الطمأنينة^{عز} عندما اراد محمود أن يجمع القبائل للهجرة من الغرب في سنة ١٣١٤ كان يأخذ معها العلويل حتى لا ترجع الى اوطانها مرة اخرى هربا من الجهاد،

(١) مهديه ١٦٦/٢/٨/١ من محمود ومن معه الى الخليفة بتاريخ

٢٢ رجب سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١٠٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٧ جاد

اول سنة ١٣١٥ .

وذلك فانه جمع معه كثيرا من عوائل قبائل دارفور
واحضرها معه ، ولكنه عندما وصل الى كردفان
وجد أن معه الكثير مما يعوق تقدمه وجعل حركته شقية
جدا فارسل الى الخليفة يستشره في هذا الامر : *
« سيدى سيدى ان الجيش الذى مع عبدكم عانت عياله
جميعها بكردفان حيث التى بدارفور انجمت عليها
ومنها مالهها بكردفان المذكورة نحو الاثنى عشر سنة
ومنها مالهها اكثر وايضا كفاة التى نقرظها للجهاد حضرت
بعيالاتها وحيث كان كذلك وانه لا بد من الوصول لصوبكم بالجيش
في ايام الشتية هذه ان شاء الله تعالى كما الاشارة
الكريمة والعيالات هذه شقية والاسترشاد فميسلا فمن
المصلحة الضرورية في الدين فلذا نرجو الارشاد نحوها » (١)
واستقر الرأي اخير على ترك العوائل في كردفان وقد ترك معها
عسى الزين * واما عيالات الجيش فبالاغلب منها صار بمركز
باري واخرنا مع المعسكر عسى الزين ومعه من لزم للملاحظة
عليها وصيانتها حسب الاشارة وكذا جهة ام دم بها كثير
من العيالات وكذا جهات الريح وعلى الجملة فكل جهة من
جهات كردفان لا تخلوا من عيالات بعض الاصحاب ماعدا جهة
السعيد ليس به شئ " وقد تركوها وليس معها الا القليل
الذين لا يكتفون من الاصحاب ونرجوا الله ببركة جنابكم
ان يحفظها وليجوب رفع امرها لنرم هذا والايادى دامت مقبلة
سيدى والسلام » (٢)

وعندما ترك محمود الغرب كانت به بعض القسلاقل

(١) مهيدي ١٠/١٥/١٢٢٣ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ رجب

سنة ١٣١٤ .

(٢) مهيدي ١٠/١٥/١٢٨٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٧

القعدة سنة ١٣١٤ .

وخصوصاً في دارفور فإن الاحوال فيها لم تكن مستقرة
للفساية ، اما كردفان فلم تكن هي الاخرى على مايرام ، وخصوصاً
بعد اجبار كثير من القبائل التي بها للهجرة ، وهروب بعضها
كالحمير فراراً من الهجرة للجهاد . ولما كانت الاحوال كذلك
وان كردفان صار بها معظم موائيل الجيش بخان محمود
وسهين معه كانت افكارهم دائماً شغولة بالغرب : ((انه وان
كان فكر داهمكم كله مصروفنا نحو هذه الجهات البحرية
ومابيه نصرة المسلمين واتحاد كلمة الاصحاب في كل وقت وحين
لكن مع ذلك نحب ان لا يكون في اي جهة كانت ادنى شيء
يشغل الافكار والحمد لله لم يحصل شيء الا انه يومئذ
تاريخه وردت لنا اجوبة من دارفور وتلك الاجوبة تتضمن
احوال دارفور وما عليه المخدول ابي ريشه وما عليه القمراوى)) (١)
ومن كردفان وردت اخبار تفيد بعدم استقرار الجهة ((فنعلمك
ان الجواب طيه ورد من المعكم الختيم موسى يفيد ما حصل بجهة
اليهود فباطلاك عليه تفهم ما فيه ونرجو الله سبحانه ان يحسن
المواقب ويؤيد الدين والسلام)) (٢) اما في جهة دار الريح
فقد كانت هناك حركة اخرى ورد الخبر عنها من عيسى النزين
والختيم موسى (٣) ((فنعلمك ان امر كردفان مهم وانه قبل
الان ورد من المعكم الختيم في أمر اليهود ما تقرر لك به ثم ورد
من المعكم عيسى النزين للمعكم يعقوب اجوبة مضمونها تحريك بعض
اهالي الريح وحصول مفاسد منهم ونظروا لاهمية العوايل حسروا
للمعكم عيسى النزين وللمعكم الختيم بان يتحدوا ويكونوا حالة واحدة
ثم ورد الجواب الواصل لكم طيه من المعكم الختيم فباطلاككم
عليه تفهموا الموضوع)) (٤) وقد اقترح الختيم موسى

(١) مهديه ١٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١٤/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٦ صفر سنة ١٣١٥

(٣) الختيم موسى هو الذي ترك محمود والياً على كردفان كلها بعد

(٤) مهديه ٥٠/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣١٥

ترحيل المواليد من بسارة الى مركز الايبض لثمادى
التعديلات والافارات التى حدثت عليها من الحبر
جماعة يوسف سالم ولكن محدودا يخالف هذا الرأى
يقول " ان ماورد من الحكم الختم موسى بن التماس
نقل العائله من بسارة الى الايبض فهو غير
موافق اذ بموجبنا هناك ووجود ارباب العائلات
تعذر وتضرب نقلها من الايبض الى بسارة فكيف الحال
مع غيرهاهم فضلا عن ذلك فبعض من الارجائسات والفشل
مالا يخفى واذا كان كذلك فالاولى ترك العائلات
فى محلها الا ان يجبر عليها الحال اما امر كردفان
فلا يخفى العلم الشريف ان هذه الجهة هى محل
عائلات الجيش جميعها بل بها اولادهم الذين هم افلاذ
الاكباد ومجمع الشفقة والعشوقية لكل احد ممن
العباد وقد تركوها واغلبها اطفال وكثير منها ايتام
وفيها المريض وفيها من ليس له زامله واذا بلغ الاصحاب
هنا ان احدا توجه لها تزداد مشغوليتهم ولا يحصل
شبهات على انه فى هذه الحالة لازالوا متذكرون
لكردفان وفى غاية الحزن الى الاوطان ولقد شاهد
خليفة العهدى نقصانهم منذ كنا بالبقعة حال ازراع
السرية للقيام كل ذلك باسباب المواليد ومحبه الوطن لاغير" (١)

(١) مهدية ١٤/٨/١٠٤٤ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٦
ربيع اول سنة ١٣١٥ هـ

والحالة التي آلت اليها كردفان اقلقت محمودا
 غشاية القلق رغم انه مجتهد كل الاجتهاد في امر الجهة
 التي هو فيها ((ولا ينبغي التفرغ لشئ غير ذلك بل
 لا ينبغي التكلم فيه الا انه بالنسبة لوجود عائلات الجيش
 بكردفان وتلك الجهة نحن ومن معط قريبيو عهد بالخروج منها
 ومعرفة احوالها واذا ابدينا شيئا مما يخصها فكانه من
 مصالحنا العنويين بها)) (١) وقد حاول محمود كتم هذه
 الاخبار الواصلة من كردفان عن الانصار الذين معه ((سيدي
 ان الاجرة الواردة من العكرم بمس الزين قد كتمناها عن
 الاخوان خوفا من ان يبلغ امرها الي الجيش فيشوشوا او يحصل
 لهم من الاسف وشغولية الفكر سالا كفاء له وربما لا
 يستقيموا)) (٢) ولكن كانت الاخبار تصلهم وتقلقهم وتؤثر
 في نفوسهم ((والطالة هذه قد كثرت الشكوى منهم في
 شأنها (العرايل) حيث صاروا بعض الاصحاب المتأخرين بكردفان
 يحسروا ليلنا وأتوهم بالاجرة منها وتلك الاجرة تضمن مسالا
 يمكن الصبر عليه من انواع الشكوى البعض من تعدى الانهار
 جماعة العكرم الختيم موسى هناك والبعض بعدم الغلال بطرفهم
 ولهذا شغلوا وتكرر كلامهم معط)) (٣)

ومع كل هذه الشكاوى وكل هذه الاضرار للعرايل
 مما لا تحمله النفس البشرية يكتسب الخليفة محمود بأن يحدث

(١) مهدية ١/٨/١/١٢٠٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٩

ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١٢١٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢

رمضان سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١/١٢٨ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١١ جاد

آخر سنة ١٣١٥ .

الانصار الذين معه على تسيان امر العوايل وان
يجتهدوا في امر الجهاد وان مواليهم سيكون الالفاظ
لامرها من عنده " فتعلمك ان جوابك الذاكر فيسه
حصول التشكي لك من الاصحاب في خصوص عدم راحة
مواليهم التي بجهة الحرب لحصول التعدد عليهم
من ناس الختم وانهم قد شغلوا واكثروا التضرر لكم
وتغلبوا الارشاد من ماتجرو في ذلك الى اخر ما به
وصل وفيه الحال ايها الحكم حيث انكم بعدد الجهاد
فحنوا الاصحاب الذين معكم على التحزب وعدم التعلق
بامر العوايل وما يلائم في امر راحة مواليهم المذكورة
فحسروا فيه من طرفكم للحكم يعقوب ليجري فيسه
راحتكم من هذا القليل بارك الله فيك والسلام)) (١)
بل ان الخليفة امرهم بالاستعاضة عن ذكر الموائل
بذكر الله والظاني في ذلك فهو خير لهم من امر العوايل
" فتعلمك ان جوابك المؤرخ ٢٥ الماضي مع العرض من
رسالة الاربع في كيفية العوايل التي يكردها وان وصل
هو والعرض وفيه ما بالجميع وتحرر الجواب طبعه لاهل
الاربع فالتلاه عليهم ليجري العمل به وليكن الظرف للجهاد
واخراج الهموم من القلوب وقولوا اللهم اهله الصاحب في
السفر والخليفة في الامل والولد فان الله هو الكافي
والسلام " (٢)

(١) مهدية ١٢٨/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢١

جمادى آخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١٣٥/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٥

رجب سنة ١٣١٥ .

فوق ما كان عليه جيش محمود من الارهاق والجوع وسدم المؤن والهموم والحنين الى الاهل والاطيان ، زادت بهم هجمات وابورات كشمس المتكسر زعزعة وتعباء ، ولم تتركهم ليستقروا على حال ، كما ان اهالى الجبهة لم يتعاونوا معهم ، وعليه لم يكن محمود مطمئنا الى مؤخرته فهو دائم الخوف من نزول " العربان " على العقبة بعد ان يتحرك منها ليقطعوا عليه خط الرجعة وخطوط مواصلاته مع ادرمان ، كما ان الخليفة قد حذره من اهالى بربر : ((فتعلمك ايها العكرم ان همال البرابرة واصليون اليك على اثر هذا وقد ذكركم بمصافيه الكفاية وحيث لا يخفك ان الحزم في امر الجهاد مطلوب والبرابرة جميعهم غير مأمونة ساحتهم الان ولا تعمل عليهم في امر الجهاد بمفردهم فعند مقابلتهم بمطالبهم المذكورين لك قابلهم بالبشاشة ولا يراؤك شرا في الظاهر ولكن الباطن افترس لهم غاية الافتكار واحذرهم غاية الحذر وتقد احوالهم ولا تأمن ساحتهم حتى يتصر الدين)) (١) فلم يعد محمود ومن معه يطمئنون لاهالى الجبهة وفقدت الثقة بهم وبينهم وكان لذلك كله اثره في روح الجيش المعنوية حتى انهم صاروا يترددون عن الاقدام للجهاد ((ان الجيش الذى معك قاطبة اعياء وافراد شاورتهم وقلبت آرائهم فطاحد منهم اشار بالقيام مطلقا بل كلهم رغبوا التخير وذكروا فيه من الوجوه طرأ جبرئيلهم على القيام معه لما استقام حالهم (٢)

(١) مبدية ٦٤/١/٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٢١٥ .

(٢) مبدية ٧٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥ ربيع اخر سنة ١٢١٥ .

والرغم من انه قد اتضح لمحمود بأن الجيش الذي معه لم يكن على الحالة التي تمكنه من التقدم لمقابلة كشنروء الا انه تحرك أخيراً الى الشمال يتبعه جيش يقتصر الى كل مقومات الجيش ويحتوى على كثير من عناصر الضعف وقد كان عبارة من مجموعات من القبائل اضطرت اضطراراً " للهجرة " ولم يعط لها التدريب الكافى ولا الاسلحة الكافية ولا المؤن الكافية ولم تحدد لها خطة مدروسة تضمن لها خط سير محدد وخطوط امدادات متصلة ، فأنحلت منزهة وهذه الجوع وقضى عليه التعب والضيق قبل ان يقضى عليه جيش كشنروء وقد وصلت به الحال الى درجة جعلت محمداً نفسه فى حالة من اليأس تظهر فى خطابه الى الخليفة فى ١٤ شوال سنة ١٣١٥ يحتل فيه مما قد ينتج من تقدم الجيش وهو على الحالة التى صار اليها ((وعلى هذا فإذا حصل شئ من الاصطاب الذين معاً فى ارتجاعهم عن الجهاد أو فرارهم لجهة الامداد أو غيرها لا قدر الله تعالى ذلك فنكون غير مواخذين بما حصل فى ذلك)) (١) وقد سمع لبعضهم فى آخر الامر بالرجوع عن الجهاد ((انه لا يخفى علىكم الشكر ان امداء الله الان متجمعون فى قياتهم وطلهم فى التريض والتصالات معلومة والدنيا عندهم كثيرة وايضاً حال الجيش معروفة لدى سيددتكم فى كونه متجمعاً من جهات

(١) مهدية ٢١٧/٢/١ من محمود الى الخليفة بطبرخ ١٤ شوال سنة ١٣١٥ .

مستعدة وكونهم متساوتون في رتبهم في الصحبة
وفي الصبر على الشدايد وان كان الظن بهم جيلا على
المعصوم ولا يبعد ان يستعملوا هؤلاء الكفرة بعد وصولنا
اليهم مجرد الخداع بالدينا وهذه الحالة اعني المخادعات
اخوف ما نخاف على الانصار هي ولم نرى وجها لتسديدها
وراحة الفكر منها سوى أن تعلم الاعصاب بان قيامنا هو
لله لا لنفسه آخر ومن لم يطبق التعب فانه ماذون بالرجوع
الى خليفة المهدي عليه السلام فلا حرج عليه في
ذلك حتى ومن يكن في نفسه شيء يرجع لصلوكم الكريم
ولا يتوجه للكفرة وكون زبادة لهم فضلا للجهنم
وايضا فان ضبط الجيش الذي يمثل هذه الحالة ليس في الامكان
ولا يطأ في محيطه من قربه من العدو والاشتغال بالحرب
ومع ذلك فالرجاء في الله ان يجعل المخاوف كلها امساك
وان يسددنا ورشمدنا ٠)) (١)

(١) مهدي ٢١٨/٢/٨/١ من ميعود الى الخليفة بطريق ١٤ سؤال

الفصل الخاص بـ الخاتمة

واقعة النخيلة

واقعة النخيلة هي واحدة من تلك المواقع التي تجاهلها كثير من المؤرخين وعالجها البعض منهم نس غير اكثراث فلفتت كثيرا من الاهمال وحظيت تفاصيلها بكثير من النسيان واندثرت معالمها ويعزى عندم الاهتمام بهذه الواقعة الى ان الذين تابعوا تاريخ حملة كشمير لفتح السودان (١) كان اهتمامهم الاكبر بواقعة كبرى وتفاصيلها ولم يعمقوا كثيرا بتفاصيل المواقع التي سبقتها اما الذين ارجعوا للدولة المهدية في زوالها (٢) فقد كانت تنقصهم المصادر التي توضح تفاصيل هذه الواقعة ان محمودا ون معه لم يكتبوا هذه التفاصيل اما بالنسبة لاهالى المنطقة التي حدثت فيها الواقعة فانها لم تترك اثرا في نفوسهم ولم تغير كثيرا في حياتهم ولذلك فقد نسوها ولم يعودوا يذكرون عنها الا القليل من الحوادث يتذكرها العجائز منهم ويروونها في غير ثقة وكثير من الخلط والشك وقد تغيرت معالم الارض التي قامت فيها المعركة ان انها صارت الان جزءا من مشروع زراعى يزرعه اهالى المنطقة بالهرسيم والخضروات ولم تبق من اثار المعركة الا بقايا المرتفع الطيعى الذى كان محمود قد اقام عليه زيبسته والمكان الذى تحصن به في وسط هذا المرتفع وقاميل من بقايا الخنادق والحفر والشاريس ونصب تذكارى اقيم هناك لمن مات من جنود حملة كشمير يعرفه اهالى المنطقة " بالصم " لانه منسوب

(١) تذكر منهم على سبيل المثال

- (a) W.S. Churchill , The River War
- (b) Beuret Ewleigh, Surdar and The Khelife
- (c) Steevens , With. Khitchener to Khartoum.
- (d)

نعم شقير : جغرافيه وتاريخ السودان

على هيئة الصليب في مكان مرتفع .
 وإذا كان ثمة شئ يدعو الى تسميها
 تلك الواقعة فهو لانها كانت معركة لا لزوم لها بالنظر
 لحال جيش محمود ، ولم تزد هذه المعركة على كونها مجزرة
 بشرية تشفى فيها كتششر وازهق ارواح الالاف الكثيرة
 من الانصار بالرغم من انهم كانوا في حالة يرثى لها من
 الضعف والجوع وعدم المؤن وكان جيشهم في حكم المقتضى
 قبل بداية المعركة (١) ، ولم يكن هناك سبب لاصرار كتششر
 على المعركة ، ولم يكن هناك ما يبرر اصرار محمود عليها
 بعد ان وصل جيشه الى الحالة التي وصل اليها من التعب
 والجوع ليس بعدها الا الهلاك .

ومعركة الفخيلة اذا ماقيست بما سبقها وما تبعها
 من المعارك من ناحية الفنيون العسكرية نجد انها لا تفرس
 نفسها على الدارسين ، بل العكس ، ان يجد الدارس
 نفسه مائلا عنها الى سواها ، راغبا في دراسة تفسيرها
 من المواقع الاخرى ، مثل واقعة شيكان وواقعة كرري او واقعة
 تموشيك . وبالرغم من ان محمودا قد تبعه كثير من

(١) يسوق بعضهم المبررات لهذه المجزرة فيقول ان غرض
 كتششر من تلك المعركة كان القضاء على جيش محمود وليس كسب
 موقع استراتيجي فقط كما حدث في ابي حمد ، كما ان اصرار
 كتششر على المعركة كان بمرءه عدم رغبته في ان يترك محمودا
 وراءه يهدد مؤخرته ، كما ان فتنة النصر كانت ضرورية لرفع
 روحه جيشه المعنوية ، وخصوصا وان الحالة التي كان عليها
 جيش محمود تعطيه الفرصة لنصر كبير .
 راجع في ذلك .

كبار قواد جيوش للمهندية واحسنهم دراية بامور الحروب ،
 الا انهم في هذه المعركة لم يفعلوا شيئا اكثر من انتظار الهزيمة
 الفكرية وتقبل الضربة القوية دون محاولة الاستعداد لردّها ، فلم
 يجهلوا انفسهم ولم يستفيدوا من امكانياتهم بل انهم لم
 يتخيروا حتى المكان المناسب ليحاربوا فيه ، فقد تخيروا موقعا
 لا يعطى مجالا للخيل التي كان عليها كل اعتمادهم في صدمة
 الاعداء ، وبالرغم من ان محمود يذكر للخليفة بان المكان السيئ
 اختاره ((مراصده جميلة لحرب الخيل وحرب الاسلحة
 وايضا اشجار الدوم به كثيرة)) (١) فان واحدا من ضباط
 القوات السودانية المسلحة بظهرة ، هو الرائد ابراهيم
 الامين محمد خير ، والسدي كان قد زار مكان تلك الموقعة
 اخبرني ان محمود ما كان يمكنه ان يختار مكانا اسوأ مما اختاره
 وانه لا يعرف الحكمة في اصرار محمود عليه .
 ولم يظهر كشعر في تلك المعركة مقدرة عسكرية فائقة
 تستدعي ان يكون لها معنى خاصا يلفت نظر الدارسين اليها ،
 بل انه كانت هناك مأخذ كثيرة عليه فيها اذ قيل انه وما
 توفر لديه من امكانيات واسلحة كان يمكنه ان يكسب المعركة
 بعدد من القتلى والجرحى اقل بكثير مما حدث لوانه اكثر من
 الضرب بالعدائين قبل ان يتحرك مشماته ولو ان توقيته كان احسن
 ولو انه دبر الهجوم على زبهة محمود من جهتين ولو انه كانت
 هناك اسعافات وخدمات طبية احسن . (٢)

(١) مبدية ٢٣٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ * القعدة
 سنة ١٣١٠ .

(٢) Berry: Lecture notes on the Sudan Campaign P. 23 .

كما ان احد ضباط القوات المسلحة السودانية انتقد المعركة بقوله : ان ضرب المدفعية لمدة طويلة دون اهداف - وهو الاسلوب الذى اتبعه كشنر فى تلك المعركة - يعتبر تهديرا للخبرة ليس له ما يبرره ، كما ان التداخل الذى حدث بين بعض الكائب فى ساعة دخول التريبة يعتبر ضعفا كبيرا فى التكتيك الحربى وفى تدريب الجيش (١)

لم تدم المعركة فى حد ذاتها اكثر من ساعة وضع دقائق - ان بدا الضرب فى الساعة السادسة والربع صباحا وانتهى فى حوالى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين - ولكن فى هذه الفترة الوجيزة مات من جيش الانصار ما يزيد على العشرة الاف شخصا (٢) وكان معظم الذين قتلوا فى هذه الحرب من العشاة والجهادية حاطى الاسلحة النارية ان انهم كانوا فى المقدمة التى قابلها الهجوم ، اما راكبي الخيل ومن كانوا على ميمنة الجيش فانهم تمكنوا من الفرار الى القضايف وقليل منهم الى ادرمان . وهناك ملاحظة لابد من ابدائها فى هذا الصدد وهى ان عدد الاسرى نسبيا كان قليلا جدا (٣) اذا اخذنا فى الاعتبار الحالة الصعبة التى كان عليها الجيش قبل المعركة . وتعزى قلة عدد الاسرى وكثرة القتلى الى امرين :

(١) الضابط ((اركان حرب)) احمد عبد الحليم عبد الرحمن ، قائد سلاح المدرعات ، وله دراسات فى العلوم العسكرية فى بعض الكليات الاركان حرب ،

(٢) Berry: Lecture Notes on the Sudan Campaign P. 22

((يذكر ان عدد القتلى من الانصار هو ٢/٠٠٠ شخص ولكن هذا العدد بالغ فى قلة ، انظر ص - من هذا الفصل وما بعدها .

(٣) يذكر ((بى عاليه)) بان عدد هم لم يتجاوز الاربعمائة فقط .

اولهما ان كشمير لم يكن يرغب في الاثقال على نفسه
بالاسرى ولذلك فان كثيرا من الجرحى ترك يموت ، وثانيهما
ان الكشميريين من الانصار اصروا على البقاء في اماكنهم حتى الموت
رغم المصاعب العظيمة عليهم والحمم والفران التي صلتها بهم
المدافع وقد وصف ستيڤنز هذا بقوله " . . . ومع ذلك فمسان
الجهادية السود وقفوا بصلابة في داخل خنادقهم في تسلك
الدقائق الحاسمة ولم يتزعزعوا حتى داهمهم اولئك الشياطين
البيض من الترك وابناهم السود وهم يصرخون ويقتلون
ضربا بالنار وطعنا بالخنجر . . . بقي كثير منهم في اماكنهم فم
انتظار الموت آملين فقط في ان يتمكنوا من قتل واحد قبل ان
يموتوا . . . والذين هموا كانوا يحرقون ببطء وملتفتون في عدا
الى السوراء ليطلقوا النار . اما الجرحى فانهم كالمعتاد لم
يتخذوا لانفسهم ساترا ليقبهم فكان لابد من قتلهم قسرا
ان يقتلوا غيرهم " (١)

كذلك فان الطريقة التي رتب بها محمود جيشه
في ساحة الحرب تعددت الى هذا العدد الكبير من القتلى،
ان الناس تجمعوا في دائرة صغيرة واحاطت بهم نيران المدافع
من جهات كثيرة وهم داخل الخنادق . وقد كان محمود تسد
رتب جيشه في زريبة وفي داخل الخنادق على الطريقة التي كانت
تعارف بها الجيوش التركية ضد جيوش الهندية . والحرب من داخل
الزريبة كان يتطلب استعدادا خاصا وتنظيما محكما وتدريبها متازا
للجنود حتى تكون حركاتهم في داخل الزريبة منسقة فلا تحدث
ربكة ويختلط الامر ، وقد كان جيش محمود يفتقر كثير الى مثل
هذا التنظيم وهذا التنسيق ، والحرب في داخل الخنادق خبيث

(1) G.W. Steevens : With Kitchener to Khartoum
P. 159.

See Appendix 1

الزريعة كانت شقوض على المحارب قلعة الحركة بل تحتهم عليه
 التسمي في مكان واحد وهذا على غير مألوف لمحارب الانصارى
 فهو قد تعود على الحركة المستمرة في اثنا الحرب سواء كان
 ذلك في حالة الهجوم او في حالة الدفاع وقد افلح عثمان دقته
 في كثير من المعارك التي دخلها من قبل ان يقلب وضعه من حالة
 دفاع الى حالة هجوم ، فيذكر مثلاً تفاصيل واقعة قباب " ثم بعد
 استقرارنا بمكان الذي هو اركوت شرع عدو الله المحافظ توفيق
 المتقدم ذكره في طلبه امداده عساكر من مواكن ومصرى
 وشرعنا نحن في جمع جيوشنا وتجهيزهم لعودهم الى اوكسك
 لمحاصرتها فبعد ان وصلت اليه امداداته لم يلبث ان توجه
 اليها في تسع ذى القعدة ونحن مرادنا التوجه اليهم اثني عشر
 ذى القعدة فلما بلغنا خبر توجههم اليها جهزنا الجيش لملاقاتهم
 واميرهم اذ ذاك بن اخينا محمد موسى دقته فلما وصل الترك الى
 خور يسمى قباب بالقرب منا التقى الله في قلوبهم الرعب فنزلوا
 هناك وزرعوا زريعة يبيتون فيها خشية من الهجوم عليهم فأتى
 الفقراء اليهم واتوا بالقرب منهم واصبح الترك والفقراء محتاطون
 بهم من كل جانب فلما اتى نصف النهار ضاق الحال بهم واشتد
 الحصار عليهم والشمس اذ ذاك في غاية الحر وليس لهم ظل يستظلون
 به ولا من المأكول ما يعمونهم اكثر من يوم وليسلة وداخليهم الرعب
 غاية فعند ذلك اراد الترك الرجوع الى طمويتهم لمصاراة
 معالهم يكتونوا ينظرونه من الفقراء وشرعوا يضربون بمدافعهم
 كانوا معهم موضوعين على باب الزريعة " (١) وكان من

(١) دفتر وقائع عثمان دقته : من فوائد موقعة افاقيت ع (٣)

من مطبوعات دار الوثائق الموكية .

نتيجة هذا الهجوم بدلا من الانتظار ان الجيش التركي اضطرت للتقهقير في خوف شديد وتحت حماية المدافع بعد ان تركوا زيببتهم واسرعوا في الرجوع الى ماموريتهم في اولك وكذلك يذكر في وصف " واقعة التمهيب الانكليزية " فيقول " وفي رابع عشرة خيلون من جمادى الاولى حضرة بطرفنا جردة انكليزية نحو عشرين الفا على طيقال وفيهم خيالة نحو ستة الاف فلما وصلوا اليها باتوا بالضرب منسا وزربوا زريبة متبعة خوف الهجوم عليهم في الليل وبات الفقرا عندهم وحاصروهم تلك الليلة بالضرب بالبنادق الى ان اصبح الصبح حتى انهم قتلوا منهم البعض ولم يناموا تلك الليلة بل باتوا شرس هيبت ولما اصبح الصبح شرعوا في الضرب بالمدافع والبنادق فاول سماع الفقرا الضرب هجموا عليهم فاقبلوا عامة يومهم ثم انفصلوا عن بعضهم ورجع الانكليز الى سواكن وهلك منهم ثمانية الاف واستشهد من الفقرا نحو الفين وجرح كذلك ٥٠٠ (١) وكانت الصفات التي يتميز بها المحارب الانصارى في هذه الحالات هي الاقدام والمجازفة والغروسية الفردية ، وتعليلها جدا ما كان يتطلب منه التقيد بتنظم تشيل حركته أثناء المعركة ، والشجاعة الفردية كان لها المكان الاول ((ولما اراد الفقرا دخول الكارة على الترك في اول الامر منعهم من دخول البساط حيث انهم واقفون عليه واكثر القتل في الفقرا فعند ذلك اقتحم عليهم الاخ النقسه محمد دقمه بجناح ثابت فصار يصد الترك بسفيه حتى

(١) دفخر وقائع عثمان دقمه من ١

دخل ودخل الفقراء^١ وراه وإذا انتفاه أحد من الترك بالبندقية
ضربها بسيفه فجعلها نصفين وقتل صاحبها من وراء ذلك
وصار عندما دخل يضمسب بالسيف عن يمينه وطعن
بالسكين عن يساره ولم يزل حاله هكذا حتى استشهد
وقال لى أيضا حين اردنا التوجه الى الترك هلا اتقدم الفقراء^٢
حتى اذا رأوى لعلهم يتشطون فى القدم تقلت له اللهم
نعم فتوجه اول الناس فكان مقدمة الجيش فرحمه الله (١)(٢)
وصف محمود اقدام واحد من امرائه كان الخليفة قسدا
اتهمه بالجهن فيقول " ندى سدى ان الهجانة المضرين
من جنابكم بالوسطة يرمين تاريخه وهما ضوالهيت دفع الله
وحامد عبد الله قد بلغونا الوصية التى تحملوها من جنابكم
فى خصوص صلاح ابوه وقد تلقيناها بغاية القبول الا ان
الشمس^٣ الذى بلغ سيادتكم عن المذكور هو بخلاف الواقع
وان يكن لهذا القول صحة فليس الحرج على صلاح ابوه وانما
الحرج على عبدكم حيث كنتم من الاحوال طالا ينهض كنتم
وسكت عنما فيه الخلل فى الدين ومعاد الله ان نخفى عن
جنابكم شيئا من الاحوال لاسيما مثل هذا فلانسكت عنه
ولو كان ذلك فى نفسنا او فى اخينا ابراهيم الخليل احمد
لكننا والله لم نعلم فى صلاح المذكور الا الاتسام والشجاعة
والثبات والصفاء والموقف على الاشارة وقد حضر
معنا وقايح عدة وقايح كل واحدة منها فى اختبار مثله

(١) دفتر وقايح عثمان دقنه عن (٢)

وأنفسه أما الوثليح التي حضرها فأولها واقعة الجهادية التي باليهود فانه صمير فيها صبر الكرام وتعرض للشهادة حيث اقمناه بمحل مخصوص مقابل للجهادية فلم يتزحزح عنه وقد كانت جهته مقابلة لاحد الجهادية روساء الفتنة المدعوا ويحان ابوشوك فبادر اليه صلاح وقتله ماشمسة كما يشهد بذلك العمام والخاضع من الاصحاب ٠٠٠٠ رابعها انه عند وصولنا بجبل الدلج الان ففى يوم ضريظ له وجدناه منقسم على جبلين فعيناه لضرب احدهما كما عيننا العكرم محمد بشمسه لاحدهما وقد كان من اول الماديين فى طلوع الحجر ومكانة النوبة فى رأسه بل فى حالة طلوعه ماشيا امام الرايات ولايسما له شمالية على رأسه وشالية فى وسطه مع ان النوبة بجسردهم للشمال لا يضربون غير صاحبه وقد كان ضربه مرارا الا ان الله صرفه عنه وقد اصاب رصاصهم اثنين من اولاده وفازوا بالشهادة فى حلهم ومع هذا لم يكثر ولم يحصل له احجام الى ان فشى احجار الجبل وكراكره وهذا ما تعلمه عنه ووالله لو كنا نعلم انسه ممن يخاف الحرب وحصل منه الشىء الذى بلغ مسيادتهم لكننا خبايرنا به جفاهم والشمس رفعة من الجيش وكيف سيذى نرضى بالخوف وهو عين الخلل فى الدين (١) اما جموده فانه كان يتباهى باقدامهم وشجاعتهم فى مقابلة الموت وعدم انكسارهم

(١) مهيده ١٥/١/٢٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٨ ربيع
آخر سنة ١٣١١ ٠

فى المواقع فى وصفه للعقبة التى خاضوها معه فى جبل
الدليج يقول ((٠٠٠ وقد صار طلوع الانصار براياتهم ورائهم
بدون اكثا ولا مهلة حتى وانه لم تطلع شمس ذلك اليوم الا وقد
انقضى امرهم وصاروا مابين تمثيل واسير ولم ينفعهم تدبيرهم
ولا احتماهم " (١)

وقد كان هناك مايدفع العرب الى الاتقاد وهم
الاكثا فبالاضافة الى حنة الجهاد فان هناك بعض الفوائد
المادية اذ كان العرب السائد هو ((ان رزق المجاهد فى يده))
وكثير من المعارك التى خاضها محمود بجيشه فى الغرب كانت
استمرارا للغارات القبلية تقريبا فبعدها تؤول خيرات الجهة
الى جنود الجيش " وقد صار الاستحواذ على جبلهم بطايعه وعلى
خيولهم وعلى ماوجد من عائلاتهم ومواشيهم واسلحتهم ، ثم
نزلنا تحت جبلهم بالجيش الذى معنا بعد الفزول صار الاطسلاع
على احواله فوجدناه على عمارة شديدة حتى ان من ينظر
اليه يتخيل له انه مركز من المراكز الكبيرة)) (٢)

والجيش الذى تبع محمود فى هذه الحطة كان فى كل
تجاربه السابقة فى الغرب وفى واقعة القصة يحارب بالطريقة
التى اعتاد عليها ، والتى تسمح للجندى بالافارة والحركة المستمرة
ومقاومة غريمه وجها لوجه وابراز شجاعته وقدرته الفردية ،
ولذلك لم يكن من الحكمة اجبارهم على طريقة فى الحرب لم
يألفوها ، وحفظهم فى داخل خنادق خلف العساكر والزوية

(١) مهبه ١٥/١/١٩١١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢ ربيع

آخر سنة ١٣١١ هـ

(٢) نفس المصدر السابق .

خصوصاً وأنهم لم يجدوا الفرصة ليتدربوا حتى على هذه الأشياء كما يقرر محمود : ((نهدى سيدى ان الجهادية الذين بالسمرية هذه الاغلب منهم لا يعرفون حركات التعسليم وحيث ان تعليمها حسن بهم والاستيذان في مثل ذلك من الواجبات حررتنا هذا للمعلومية واملا اذا وافق تعليمهم ان يوزن لنا بذلك والا فالامر مفض ويايديكم دامت عقبة سيدى والسلام)) (١) واذا كان ذلك حال الجهادية فان حال اولاد العرب كان اسوأ وقد تحير محمود في الهيئة التي يدخل بها بهم في امدرمان عندما حصر اليها في سنة ١٢١٤ (٢) .

ولم يكن جيش محمود هو اول جيش لم تنجح معه تجربة الزبيدة هذه ، فقد لجأ اليها الزاكي طمل من قبله ان انه عندما خلف حمدان ابو عتجه في قيادة جيش المهدي في القلايات ، كان عليه ان يقابل جيشاً عظيماً امده النفس بوجعنا ملك الحبشيين ، فخصن الزاكي طمل في داخل زبيدة كبيرة جداً مكونة من استحکامات شاملة الواحد تساو الاخر ، ولكن بالرغم من كل تلك الاستحكامات فان جيوش النفس قد تمكنت من دخول الزبيدة بالجهة التي كانت مواليه للامير احمد ولد على ، وكانت ان تقضى على جيوش المهديسة لو لا ان تدارك الزاكي

(١) مهديسة ١٠/١/١٩٦٩ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٨ شوال سنة ١٢١١ .

(٢) مهديسة ١٥/٤/١٩٦١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٦ الحجة سنة ١٢١٤ .

الامر وامر بالمهاجمة ، وتغيرت تبعاً لذلك نتيجة المعركة لصالحه ، فانتهزمت جيوش النقس وقتل يوحنا نفسه في تلك الموقعة (١)

شل محمود حركة جنوده بادخالهم في داخل زبيبة وفرض عليهم طريقه جديدة في القتال وادخلهم في تجربة لم يألفوها من قبل فقلل بذلك من فعاليتهم . اما الخيول فانه كذلك لم ينسق عملها مع عمل بقية الجيش وقد كانت في ساعة الحرب على ميمنة الجيش فوقفت موقف المتفرج ولم تشارك اشتراكاً فعلياً في المعركة حتى ان " ستيفنز " اتهمها بالهروب من المعركة " ومالاشك فيه ان الخيول قد هربت من ميدان القتال وان عثمان دقته ، السدي اعتماد الا ينتظر نهاية اى معركة ، قد هرب ايضا مع تلك الخيول . ان الفرسان لم يفعلوا شيئاً في تلك المعركة وكان سلوكهم شيئاً الشئ " الذي لا يليق بهم ان الفرسان كانوا من البقارة - اولئك الاعراب من رعاة

الابقار الذين ينتص اليهم الخليفة والذين استعجلهم ممن دارفور ومكهم من الاراضى حول ام درمان . كانوا سادة السودان وهربوا من المعركة بأسلوب مشين " (٢) ولا يمكننا قبول قول ستيفنز هذا بهروب الخيل دون أن يكون لها اى عمل في تلك المعركة فان الخيل على الاقل تمكنت من منع خيل كتشنر من مهاجمة ميمنة الزبيبة والتالى مهدت لبعض من كانوا بشاك

(١) التفاصيل اكثر عن واقعة الانقلابات يمكن الرجوع الى : نعمر شقير جغرافية وتاريخ السودان من ١٠٧٩ - ١٠٨١

(2) Steevens : with Kitchener to Khartoum
P.158.

See Appendix A

الجهة من الفرار ، ولكن الذي تريد اثباته هو أن هذه الخيل لم يكن عملها منسقا مع بقية فرق الجيش ، ولذلك فانها لم تؤثر تأثيرا كبيرا فى سير المعركة ، وذلك عطل محمود سلاحا هاما كان يمكنه ان يستفيد منه غاية الفائدة ، وكانت الخيل قد اثبتت فعاليتها فى المناوشات التى سبقت المعركة الفاصلة " (١) وصف محمود احدى هذه المناوشات بقوله ((وذلك اننا بعد نزولنا ببحر اتيسره بالجيش قد اتفقت مشورة الاصحاب على توجيه بعض الخيول لكشف جهة الداخلة وما يجاورها من الجهات وقد كان يسير الاثنين الموافق ٢٧ شوال وجهنا نحو الاربعاء حسان من خيول الجيش تحت قيادة المعزم البخت الثورى وساروا على ساحل بحر اتيسره المذكور وغير بعيد قابلوهم الكفرة سايرون فى جموعهم مستعدين ولكائدهم مدبرين فلم يكن من الخيول الا ان حملت على قطعائهم ودخلتها وفكت لحاماتها وقلبتها وصكت اولهم على اخرهم حتى اضطربوا غاية الاضطراب ونادى بعضهم بالامان بعضهم يقول انى مجبور وقد قتلت منهم من قتله واستلمت ماوقع عندها من خيولهم لعدم اشتغالها بغير الحرب وانكت فيهم النكاية المطلوبة ورجعت سالمة غانمة لم يفقد منها شئ ولا اصاب احد من الاصحاب بشئ

(١) كذلك راجع وصف نفس المناوشة كما يرويها " بيرى " نفسى وصفه لتحركات فرقة الاستكشاف التى قادها " برودود " نفسى ٢١ مارس سنة ١٨٦٨

على ان الكفرة قد ضربوا كافة اسلحتهم من سدافع
ومكنات ومبروز وغيرها ولم يبقوا شيئا من جهدهم وقد
زادت هذه الواقعة كافة الانصار نشاطا وانسياطا بل
بعثت فيهم روح الطرب وتسوى الرجاء منهم ببلوغ الارب " (١)
وغاية الامر ان محمودا لم يترك لجيوشه ولا لخيوله
الفرصة لتتطلق على الطريقة التي تعودتها بل فرض
عليهم البقاء في حالة دفاع حديد من حركتهم ، وحتى
بعد ان صار الجيش قريبا منهم وتحفزوا للحركة المهاجمة
منهم من ذلك " . . . ولما حضرت الخيول العسوة منهم
للديم والاثم واسلحتهم في اخر النهار كان ارسلنا
بعضها مع رافعين هذا فكافة الاصحاب استعدادا وقاموا
مبادرين للحرب تحت راياتهم وغير كثير بلغنا انهم قادمون
نحونا فرأينا ان الاول اقاستنا في محلنا لتعظم التكاية
بهم ولم يحضروا لغاية غروب الشمس ولما اصبح الصبح
وارسلنا الخيول لكشف خبرهم وجدتهم قد تحسروا
الى محل معلوم اتخذوه من قبل ذلك وتحصنوا فيه واحجموا
عن الحضور زاعمين ان ذلك تدبيرا منهم ونحن لا تدبير
لنا غير تدبير الله تعالى . . . والحالة هذه نحن قريب منهم
ليس بيننا وبينهم شئ من الصافة ومستعدين لحربهم " (٢)

(١) هدية ١/٨/٢/٢٣٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥ التعدة

سنة ١٢١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق

ويفسر محمود اصراره على هذا الصبر وعدم
 السماح لجيوشه وخبوله بالانطلاق في خطابه الذي
 ارسله للخليفة في يوم ٥ القعدة سنة ١٢١٥ اذ يقول
 ((ومبتعدين جزاهم الله خيرا وقد كنا نرى ان الاولى
 بل الواجب عدم التأخير في مناجزتهم الحرب الا انه بالتفحص
 في احوال الكفرة وما علم من تربصاتهم فقد اقتضت
 المشورة من عموم الاصحاب ان نقتظروهم في محاسننا
 هذا حتى يحضروا الينا بنزولهم وجمعهم العارية من
 المعونة الالهية وقد جبرتنا على ذلك ثلاثة اوجه اولها
 ان الكفرة لم يتحيزوا خارج جهة الداخلة الا لاجل ماديهم
 في اتخاذ المراسد التي تقدم ذكرها وقاية امنيتهم ان ناتيهم
 بالجيش فيتمكنوا من الضرب ولا ينبغي ان نفعل شيئا فيمكنهم
 فينا وتنقسم به مكيدتهم وثانيها ان الجيش اذا تقدم
 عليهم فاذا لم يخرجوا له في يومهم فانه لا يقدر على الصبر
 ليلة واحدة لانعدام الزاد منهم كلية اصيرهم وامورهم
 وايضا لم يكن بثلث الجهة شئ من شجر الدوم يتقوتوا
 به الاصحاب وهذه اهم الامور واصميتها وفيها من الفشل
 مالا خفاء فيه وثالثها ان الذي علم من خبر الجهادي
 الذي توضع امره (١) انهم سيصبرون صافة اربعة
 خمسة ايام فاذا لم تقدم عليهم فسيبغون فسي
 عددهم وعديدهم مغترين بكسرتهم واستجادة اسلحتهم)) (٢)

(١) مهدي ٢٣٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥
 القعدة سنة ١٢١٥ يذكر فيه بان الخيول التي ارسلت للاستكشاف
 اسرت واحدا من جهاديين كثير واخضرت له محمود فبعد استجوابه
 تقرير قتله سرا وقد قتل *
 (٢) نفس المصدر السابق *

ذكره رأينا تصديقه من جهة وتكذيبه من جهة
 أما من جهة كونهم حضروا فهو حتمى كما رفعناه سابقا
 وأما من جهة كونهم كثيرون وانهم تصادون البقرة المنورة
 فهذا بعيد ولا يتصور وقوعه والذي يغلب على الظن انها
 بطليغة حضرت كشافة فقط واقرب ما يكون انها من الحسانية
 والجميلين ومنهم ابن عم الهالك عبدالله سعد المدعو ابراهيم
 الحاج محمد فرح لان الكفرة حالهم في شدة الاحتزاز والخوف
 من الموت وعدم الشهور معلوم لدى الكفاة سيما وتفريق جيشهم
 مع قيامنا نحوهم لا ينبغي لهم ولا يفعلوه وعلى هذا فان
 كان يوافق تعيين دورية كفاية من البقرة المنورة وتم على
 الجهة التي بالجهات التي ذكرنا وجودهم فيها والى ماوراهها
 لكشف الحقيقة ورفعها لجنايتكم فهو اولى)) (١)

ومد ان عرف محمود موقفه مؤخرته ارسل كشافته
 لمعرفة مكان عدوه فأتضح له ان كشافة كان متحصنا
 بالداخلية في انتظار قدومه ولما علم بمنزول محمود الى شهر
 عطبرة نزل باطراف النهر لملاقاته هناك " نمدى مسيدي
 ان الذي انكشف لنا من احوال الكفرة وعلمنا بعد وصولنا
 لبحر اتبره انهم في غاية الوجع من تقدم الجيش عليهم
 وان الذي دبروه اولا قبل وصولنا فانهم ظنوا اننا سننزل
 عليهم في جهة الداخلية او قريبا منها بحيث نكون
 في الجهات التي ^{تصل} مقذوفاتهم وعلى ذلك فقد جمعوا كيدهم

(١) مهديه ٢٢٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ شوال

وحشدوا جيشهم بالخارج من جهة الداخلة وجعلوه على
اطراف البحر العظمى واخذوا له المراكب القليلة
زاعمين انهم يحاربوننا في ساعة تمزولنا ولما لم يجسدوا
ذلك وقد الهضبا الله تعالى من فضله ان قصدنا جهة
ام ضبيح فقد تحيروا الكفرة لبطلان كيدهم وليلة البارحة
قد وجدوا الانصار الذي اخرجوا للدورية احد عساكر الكفرة
بهمياتهم وسلاحهم فحاضروه لنا وسواله والتأمل في كلامه
علم انهم ارسلوه لمخادعهم الجهادية هنا ولهذا ولما علمنا
من ان الكفرة عادتهم الخداع فقد امرنا مراعاة للصحة
بتطهير الارض منه سرا حتى لا يشيع ما ذكرناه وقد كان ولم
يعلم به احد * ان الذي علم اننا من خبر الجهادي الذي
توضح امره انهم سيصبروا مسافة اربعة خمسة ايام فاذا
لم تقدم عليهم فسيأتونا في عددهم وهديدهم مغترين بكثرتهم
واستعداد اسلحتهم وكافة جيوشهم قد صارت بالجهة المذكورة
ومعها رؤسائهم كمثل سردارهم وهنتر ومقدلون واشيابههم
ولم يبق عندهم ببربر ولا جهة الداخلة الا القليل كما علم
من خبر الجهادي * استقر سيدي ان المحل الذي به الكفرة
يسكن اليهودي وابي صدار على طرف الاثري والمحل الذي
به نحن يسكن ولد حسب الله ومايننا ويتهم الا جهة امضبيح
ولقرب مساكنهم فان الخيول تتردد عليهم في اليوم
الواحد ثلاثة مرات ولهذا فلا تهدد المسافة بيننا وبينهم
عن مساعتين فقط * (((١)

(١) مبدية ١/٨/٢/٢٣٦ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥ القعدة

ثم شرع محمود في حزم الجيش وضبطه للمعركة فاهتم اهتماما بالغاً بأمر الهاربين منه فجعل النقط لضبطهم وضبط الاسلحة التي معهم لئلا يهربوا من الهروب بها " ((سيدى انه بالنظر لحصول المضايقة للجيش في عدم القوت الضروري فسانه قد هربوا من الجهادية جماعة ربح المكرم فضل الحسنة نحو المائتان نفر وتوجهوا الى جهة القنارف ومن ربح عبد الله حامد نحو الثلثمائة نفر كذلك توجهوا للقنارف واما الكرة فلم يتوجه لهم احد عدا اربعة انفار جهادية من ربح المكرم عبد الله حامد وسبعة من ربح المكرم محمد الزاكي عثمان جعلتهم ١٠ نفر ومخلافهم لم نعلم احدا توجه اليهم ولما علم لنا هروبهم صرنا في غاية الاهتمام بالحفظ عليهم وفي التحفظ على اسلحتهم والتفقد لروسائهم)) (١) وطلب محمود من الخليفة ارسال الاوامر لرؤساء الارباع لحزم امرهم " نبدت سيدى ان الاخوان رؤساء الارباع وان كانوا واقفين على الاشارة وموازنين نفسى الدين بكامل جهدهم لكن بعض الامور يشاؤون فيها)) (٢) ولهذا فقد طلب محمود من الخليفة ان يرسل هذه الاوامر وقد كتب الخليفة اليهم بذلك ولكنه طلب من محمود ان يلاحظ لجبر خواطهم ولا " يشوش عليهم " في هذا الوقت وبعد نهاية المعركة يفكر في امر الحزم مرة اخرى

(١) مهيده ٢٣٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٥ القعدة سنة ١٢١٥ هـ

(٢) نفس المصدر السابق .

" فاعلمك ان الاجوه في طيه المحررة برسم الاصحاب
سلم كل واحد لصاحبه ليعمل به واصلم انما حررتنا لهم
بالسلام فان الذي يجد له شئ منه يوضحه في كشف
لكم لاننا رأينا ذلك اصوب الان واجبر لخواطرم خشية
من تشوشهم ومعد نصرة الدين سيحور مافيه الكفاية
ان شاء الله صلى حسب اقتضاء الصلحة وحزم الامور هذا
والان حيث ان هذه الوسيلة مستعجلة فيها هي واصلة
لكم هذه الاوامر ومعداها ان شاء الله سيحصل التحسين
للروساء كطلبكم ويرسل لكم والسلام " (١) وصيغة الامر
الذي ارسل الى وكلاء الارباع هي " فاعلمك انك على بال منا
والظن بك حسن والدعاء بالخير معك وحيث انك بمعيه الكرم
محمود احمد فاجتهد في بذل جهبك معه والقيام بمساعدته
كما يجب والظن بك كل على خير وترجو الله سبحانه ان
يلفتنا هناك كل خير والسلام)) (٢) اما الروساء
الارباع فقد كتب بالصيغة الاتية " فاعلمك انك على بال منا
والرضا معك والدعاء بالخير صاحبك وحيث لا يخفالك ان الغزاة
على قدر البلاء وان مع العسر يسرا وان الثبات والصبر
في الباساء والضراء وحين الباس هو شقيقة الاختيار وهو اثر
اصحاب النبس صلى الله عليه وسلم وقد قال الله سبحانه
فيهم ورضوان الله عليهم الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا

(١) مهدية ١٨١/٤/٢٨/١ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٢
القعدة سنة ١٢١٥ •

(٢) ارسل الخليفة صورة من هذا الى كل من : - اسماعيل الامين
، التوم اودون ، احمد التوم الحازم رقم ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤ من
الخليفة بتاريخ ١٢ القعدة سنة ١٢١٥ •

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يحسبهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل
عظيم وحيث ان اصحاب المهدي عليه السلام هم اثر الصحابة
رضوان الله عليهم فينبغي ان يكن منكم الوشوق بوعيد الله
والعزم بما يصق الله حيث ان العاقبة عند ربك للثقلين وان
الفرج سيحصل ان شاء الله عاجلا وشوقا بوعيد الله وحسن
ظن به وحيث ان الله سبحانه جعلكم من الاصحاب واعدكم لتصرة
الدين فامدوه على ذلك وتحاببوا فيما بينكم وحسنوا المقاصد
لله وليكن همكم القيام لله بما يرضيه وتشتيت شمل اعداء
الله لاعلاء كلمة الله ووازرؤا عاملكم المكرم محمود احمد
وامتشلوا امره وشددوا عضده واحذروا مكائده اعداء الله
واحذروا وحذروا الاصحاب من الغفيم ومد الطرف اليها فبالعقد
تصرة الدين وبعد التصرة فامر الدنيا حين هذا وجميع
الاسلحة التي تجدوها في المناوشات وغيرها من الاعداء اوضحوها
بكتفونة للمكرم محمود احمد وبنمه فليرفع لنا ايضاحها
ولا يصير اخفا شئ منها والاسلحة التي بيد الاصحاب اوصوهم
على حفظها وعدم الاهمال فيها حيث انكم بصدد الجهاد
هذا والله ترجو ان ياخذ بيدكم ويسمعا كل خير والسلام (١)

(١) ارسل الخليفة صورة من هذا الى كل من ملئ السنوسى ،
البشاري ريده ، صلاح ابوه ، محمد ولد علي ، هذا القادر دليل ،
العلما اصول عيسى ذكريا ، فضل الحسنة ، محمد الزاكي عثمان ،
علي فرهمار ، البخت النعموري ، محمد ابراهيم ابوفاطمة ،
محمد فضل الله ، هذا الله حامد ، بالفضل ادم مهديه ١٨٥/٤/٢٨/١
- ١٩٦٠ من الخليفة الى محمود بتاريخ ١٣ القعدة سنة ١٣١٥ .

كذلك ارسل لهم الخليفة التعليمات التي يجب الاخذ
 بها في ساعة الحرب والتي لخصها في ((٠٠)) شأنها الارشاد
 في امر الحرب بالاتحاد والتحزب والمحبة والانقياد لعمليتنا
 المعركة محمود احمد والتعزيز في ساعات الحرب وتجهيزه
 التحول وان لا تحصل غفلة في وقت من الاوقات وان نبذل
 الامان لكل من يأتينا منها من الجعليين والبرابرة وغيرهما
 وان لا نتقحم قياقمر السكرة اذا تحصنوا فيها وان نفتكر لمكايدهم
 التي اعتادوا عملها سابقا من القاء الامتعة والانكشافات
 عنها في ساعة الحرب وغيرها وان لا يحصل اشتغال بكسب
 الغنائم ((٠)) (١)

كذلك كتب الخليفة منشورات الى جميع الانصار في الجيش
 لرفع الروح المعنوية قبل المعركة يشكرهم فيه على ماتحمولوه
 من الصعاب وعدم بالتصبر الموعود بهلاك اعدائهم وهذاب
 منهم عدم الاكتراث لكثرة الاعداء وبجودة اسلحتهم ((٠٠)) وقد
 ورد لنا من عاملكم المعركة محمود احمد مايفيد مدحك والثنا
 عليكم بما انتم عليه من الثبات والصبر على الشدايد
 فشكروناكم على ذلك وقد فعلتم ما هو اللائق بكم فان البدين
 يعون الله منصور والامداد وان بلغوا مابلغوا فعاقبتهم
 الهلاك والدمار فلا يهولكم أمرهم ولا ما هم عليه من
 العدد العارية عن المعونة الالهية فان الله تعالى

(١) مهيده ١١١/٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ شوال

قبادر على هلاكهم وقد وعد مساده المؤمنين
بالنصر وجعل العقبة مشحونة لهم فاصبروا صبر
الكسرام وتذكروا الوفاء بالعهد بآرك الله فيكم" (١)

وقسم محمود الذخيرة على حملة الاسلحة
النارية فكانت قليلة كما توضح في خطابه الى الخليفة "
ثم ان الجياخانه الموجوده جميعها قد صار صروفها
للجيش بأكملها حتى لم نترك منها شئ " وقد نحن البندقية
في الرمثيون ثلاثة دسات ومن سابق عندها دسيتين
فصار البندقية لها خمسة دسات والياداة ستة
دسات واين روحين خمسة دسات)) (٢)

وتكون جيش محمود من مشرين الفا بالاضافة
الى جيش عثمان دقنه الذي الحق به بصفه خاصة
وقد اختلف المؤرخون في العدد الذي كان مع محمود
في موقعة الفخيلة فحدده البرونسير شيبكه بأثن عشر الفا (٣)
اما ستيفنز^(٤) فانه يرتفع بالعدد الى ستة عشر الفا فيقول :-

(١) مهديه ١/٢٨/٢٠٠ الى ١١١ من الخليفة الى محمود بتاريخ
١٢ القعدة سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٢٨/٢١٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ شوال
سنة ١٣١٥ .

(3) Shibeika . British Policy in the Sudan
P. 382 .

(4) Steevens : with Kitchener to Khartoum
P. 157.

" ان محموداً نفسه قد أقر بان جيشه كان به ١٢/٠٠٠ من المشاة و ٤/٠٠٠ من الفرسان و ١٠ مدافع " ولكن العدد الذي تبع محمود كان أكثر من ذلك بكثير فان محموداً نفسه يذكر ان الجيش الذي تبعه بلغ أكثر من عشرين الفا ((يسدي يسدي انه لوجب رفع اعداد الجيش الذي مع داعيكم ومائيه من العدة قد حررنا به كشف عن لجمالى الارباع ربع ربع واخرها به كميات اولاد العرب والجهادية والاسلحة باصنافها والخيول والدروع فى كل ربع وذلك بخلاف فاس العزم عثمان دقنه وبلغ تسعة جميع الانصار عشرون الف واربعماية وستة عشر)) (١)

وليس هناك ما يوضح اعداد جيش عثمان دقنه ولكن يمكن تقديرها من الاعداد التى تبعته وكانت معه عندما كان معسكراً على نهىسر عطبرة قبل انضمامه الى محمود فيذكر هولت ان كانت معه فرقة مكونة من ثمانية الاف شخص تحت قيادته ومعه حامد على فى قسوز رجب واصبرى والفاشر على نهىر عطبرة وذلك فى يوليو ١٨٩٤ محرم سنة ١٣١٢ عندما طلب منه تعزيز تلك الاماكن بعد استيلاء الايطاليين على كسلا " وكانت الاحتياطات العسكرية التى اتخذها الخليفة فى ذلك الظروف تقتصر على تعزيز خط عطبرة بثمانية الاف رجل تحت قيادة عثمان دقنه وحامد على فى قسوز رجب وبراكر اخرى صغيرة فى اصبرى والفاشر " (٢)

(١) مهدية ١٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣١٥ .

(٢) P.M.Holt : The Mahadist stat in the Sudan P. 156 .

See Appendix 3

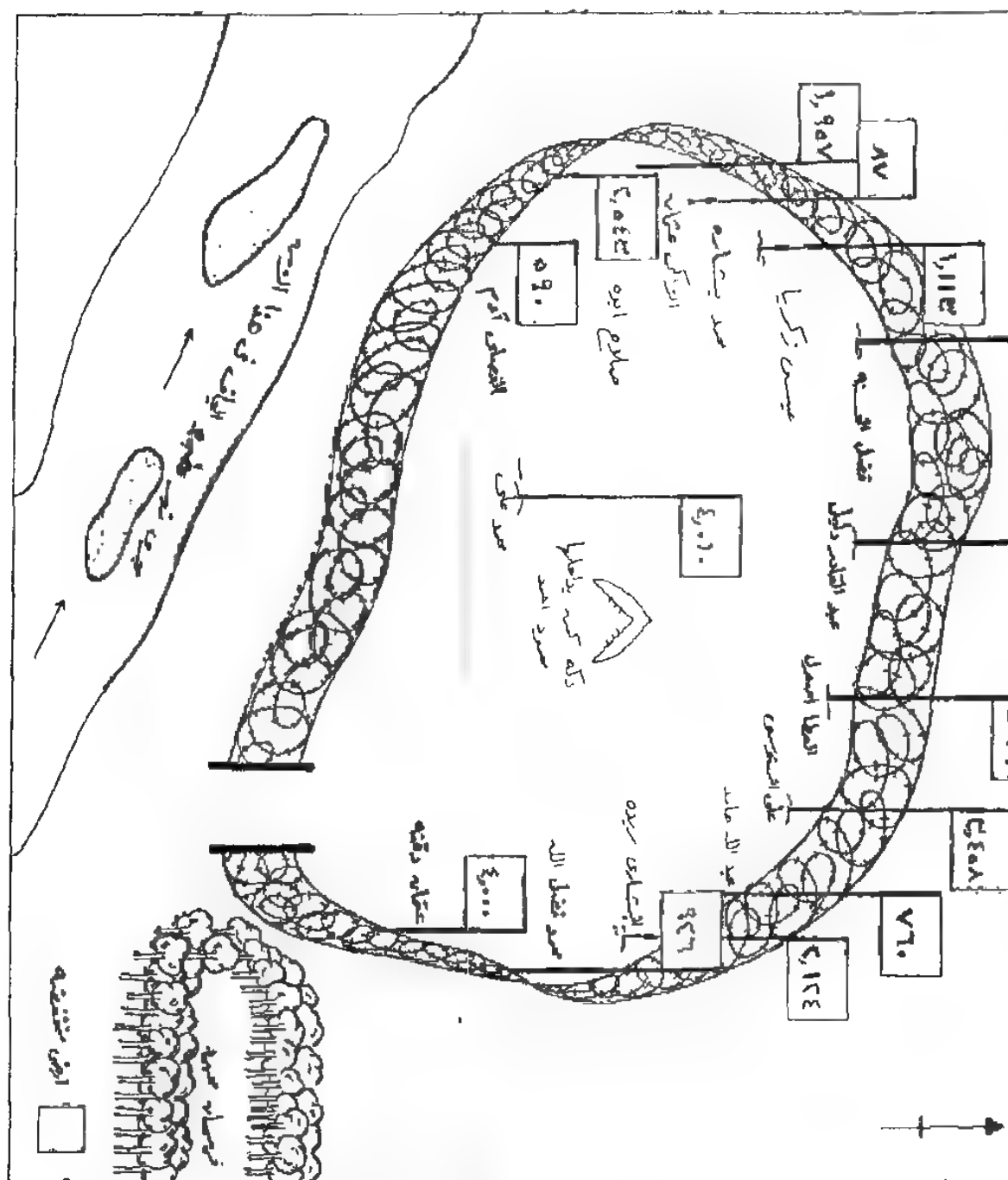
فإذا كان هذا العدد كله لم ينافر معه ليلتحق بمحمود
فإن تصفه على الأقل يكون قد فعل ذلك فإذا أضف
هذا إلى جيش محمود الأصلي يصل العدد إلى قريب من الخمسة
وعشرين ألفاً وقد أرسل محمود كشفاً بتفاصيل الجيش
الذي كان معه أوضح فيه أنه تكون من ١١٠٦١ من أولاد
العرب و ٩٢٢٥ من الجهادية و ٨٣١٦ من الأسلحة النارية
و ٢٣٦٥ من الخيول و ٢١١ من المدافع و معه من الأمراء
بخلاف عثمان دقنه ، علي السيوس صلاح أبوه ،
محمد علي ، حسن زكريا ، الشاري ،
محمد فضل الله ، عبدالقادر دليل ، الفضلي آدم ،
العظماء أصول ، ثم فضل الحنفية ، وعبدالله حامد من
جيش القصارف ثم محمد الزاكي عثمان أمير بربر ثم محمد
بشارة من دنقلا * (١)

أما المكان الذي اختاره لأقامة زببهم
فهمو متخففين على أشجار الدوم ترسو قاعدته
على نهر عطبرة وتحدد أطرافه على شكل شبه دائري

(١) انظر الكشف المرفق في الصفحة التالية للتفاصيل .

فغير منتظم ارض مرفوعة صلبة تغطيها
الصخور والحصى الاحمر . وقد اقيم في
وسط هذه المنخفض مكان حصين كمن فيه
محمود وما زالت اثاره باقية الى الان ويسميه
اهالي المنطقة (بالفار) ثم قسمت الارباع
على اطراف الزريبة في شكل شبه دائره
فكان مقدمتها المواجهة لجيش كشغر ربع العطا
اوصول ربع عبد القادر دهل وهذه الارباع هي
التي وقع عليها عيسى الحرب وتعرضت
لاعظم الضرب في ساعة الهجوم وكذلك شاركها
في هذه الحادثة الارباع التي كانت على الجهة
اليسرى من الزريبة وهي اربع فضل الحسنه
عيسى زكريا ، محمد يشاره ، الزاكي عثمان ،
صلاح ايسوه ، والفضل ادم اما الارباع التي
كانت على الجهة اليمنى فهي اربع على السبوس ،
عبد الله حامد ، البشاري زبد ، محمد فضل الله
وعثمان دقنه واما الخيول فقد وقفت في قبابه
صغيره عن مئمة الزريبة .

سے ایسا ہی ادناہ یعنی الحق اللہ اللہ اللہ اللہ اللہ
بیشے ابان واقعہ انجیل



أما كئشور فإنه قد شرع في الاستعداد لملاقاة محمود بعد أن تأكد لديه أنه قد قام من القعة متجها إلى الشمال • وكان في أول الأمر يعتقد أن محموداً سيستمر في سيره على نهر النيل حتى يصله ، فجمع جيوشه وركزها في كنور وأنشأ قلعة واستحكامات في عظمه وجعلت وأهوائه تتبع أخبار تحركات جيش محمود حتى وصل العاليات ثم ترك الطريق المأذى للنيل وضرب في الصحراء متجها إلى الشرق نحو نهر عظمه ومن هنا انتقلت أخباره عن كئشور " نهدى مئدى أن الذى انكشف لنا من أحوال الكفرة وعلنا بعد وصولنا لبحر ابحر أنهم في غاية الوجل من قدوم الجيش عليهم وأن الذى دبروه أولا قبل وصولنا فإنهم ظنوا أننا سننزل عليهم في جهة الداخله أو قريبا منها بحيث تكون في الجهات التي تصلها مقذوفاتهم وعلى ذلك فقد جمعوا كيدهم وحشدوا جيوشهم بالخارج من جهة الداخله وجعلوه على أطراف البحر الاتيراوى واتخذوا له المراسد المتينه زاعمين أنهم يحاربونا في ساعة نزولنا ولما لم يجسدوا ذلك وقد الهبنا الله تعالى من فضله أن قصدنا جهة أم ضبيح وأنشئ بنا السير إلى أن نزلنا فوقها بمسافة قسريه فقد حصرنا الكفرة لبطان كيدهم وفساد تدبيرهم)) (١)

(١) مئديه ٢٢٦/٢/٨/١ من محمود إلى الخليفة بتاريخ ٥ القعدة سنة ١٣١٥ •

وقد وجدت مخابرات كتشنر صعوبات شديدة فسمى
تحدد مكان جيش محمود ولم تكن الاخبار التي يستقونها
من الاهالي موثوقة ولا يمكن الاعتماد عليها وقد سمعوا
كثيرا من الاشاعات بان محمودا قد وصل في هذا المكان
او ذاك (٠) وهكذا وفي صبيحة الاحد ٢٠ من مارس تحركت
القوات من كور ، وفصل المعسكر بالحركة لان الاخبار
انتشرت بان محمودا قد وصل بالفعل الى نهر المطبراي
اخيرا وأنه قد سيطر على رأس اليهودي على مسافة
سبعة اميال من قمرن التبرين ، وعليه صار لزاما علينا
الزحف الى اليهودي رأسا عبر الصحراء * ولكن قسم المخابرات
لم يكن يثق كثيرا في روايات الاهالي (٠) (١) ولذلك فقد
قرر كتشنر ان يحتاط لاسره ولا يترك لمحمود الفرصة ليدور
حوله وصل اليه موثوقه فقرر ان يرسل بعض الفسوق
الى نهر عطبرة لتقطع على محمود خط السير في ذلك
الطريق فنزلت في اليهودي ثم تحركت الى رأس ^{المعركة دون ان تعرف} مكان جيش
محمود ودون ان تعرف نواياه وما ينطوي عليه وخرجت خيول
كتشنر في هذا الاثناء مرارا بحثا عن محمود فلم تجده
ولم تحدد مكانه حتى كان يوم ٢١ مارس " ٢٧ شوال " حتى
تقابلت خيول كتشنر تحت قيادة سرودود مع خيول محمود
تحت قيادة البخت الثموري (٢) وكان ذلك بداية مطاردة
كتشنر بمقدمة جيش محمود *

(1) Stevens : with Kitchener to Khartoum P. 104 See App.

(2) " Ibid. P. 124

وصفها محمود للخليفة في خطابه له مهيده ٢٣٥/٢/٨/١

من محمود الى الخليفة بتاريخ * القعدة سنة ١٣١٥ *

٢١٠ شرح

" وفي نفس ذلك اليوم ((٢١ مارس)) تمكن الغرب — من مناصرة العدو • او بالأسرى فان العدو هو الذي قابلهم • وامسروا بالسيف والفرجل عندما هاجمهم خيول الدراويش فجاءه " (١) وقد تمكن برودود من رد الهجوم وتصبح خيول الانصار حتى رأى نيران معسكرهم في جهة ام ضبيح وهما بعد ذلك الى رأس اليهود •

٢١٠ شرح وفي أثناء التقدم من اليهودي الى رأس اليهودي (٢١ مارس) كانت خيول برودود تشكل حاجزا لحراسة الجيش ليتمكن من الشرب على طواف عند ابن عسار وفي هذا الاثناء هجمت عليهم قوات كبيرة من الدراويش خرجت اليهم من الاشجار المحيطة فقتلت منهم خمسة عشر، ثم دعت الخيول في اتجاه عرازي اضافة سرعة امسار الى ام ضبيح حيث رأى نيران معسكرهم فقتلهم ثم تراجع الخيول فوصلت الى رأس اليهودي في منتصف الليل • " (٢) ومن بعد هذه المناوشة في يوم ٢١ مارس تكررت مناوشة الخيول مع بعضها وتكررت المناوشات بينها في كل يوم تقريباً •

(1) Steevens : With Kitchner to Khartoum P.107 Appendix E

(2) Berry : Lecture notes on the Sudan Campaign ~ ~

تردد كشنر كثيرا قبل ان يقرر الهجوم على زويبة محمود وقد علم ذلك بان المكان الذي كمن فيه محمود فيه كثير من الاشجار والاحواض وغير صالح بالنسبة لجيشه وخبر له ان ينتظر محمود ليخرج له من ذلك المكان وقد اشار كرومر في ذلك فواقفه فيما راه كما انه شاسور مع قواده هنتر قائد الفرق المصرية وتاخر قائد الفرق البريطانية فاشار عليه الاول بالتاني وانتظار محمود كما اشار عليه الثاني بالهجوم فزاده ذلك ترددا فاحال الامر مرة اخرى الى كرومر^{الذي} لم يحدد له رأيا قاطعا بل ارجع الامر له وترك له مطلق التصرف ولكن فضل الانتظار مع اعطاء كشنر الحرية حتى في رفض هذا التفصيل * " ليست لدى الرغبة في ان احد من حريتك المطلقة نفس العمل اذا رأيت ان تعمل شيئا يخالف الرأي الذي اقبل اليه . وارجو ان اؤكد لك بانني مستعد كل المساعدة مني ومن الحكومة في كل امر تقدم عليه (١٠٠) (١) وقد مضت مدة نفس هذا التردد قبل ان يستقر كشنر اخيرا على الهجوم وقبل ان يهجم بالفعل ارسل فرق المشاة لتحديد مكان المركز الرئيس لتجمعات جيش محمود واستكشافه من مسافة قريبة وفي يوم ١٢ ذي القعدة خرجت خيول برودود ومعها بعض فصائل مشاة المشاة واستكشفت مركز تجمعات جيش محمود في التخصيله بعد مناوشة معه ثم خرجت بعض كتائب من الهجانه للاستكشاف

(١) لتفاصيل ارض معانار بين كرومر وكشنر في هذا الصدد راجع

Crowder : Modern Egypt, Vol. II (London 1908)

P.P. 98-100 . Appendix = 6

على الجانب الآخر من نهر عطبرة ثم في يوم ١٣ القعدة تحرك جيش كitchener الى ابن عدار وفي يوم ١٣ القعدة تحرك ثمانية كتائب من الخيول والمدفعية ومعها أربعة مدافع مكسهم تحت قيادة برودود نحو النخيلة ولما وصلت بمحاذاة زريبة محمود على بعد ١٢٠٠ ياردة منها قابلتها خيول محمود وبعض مشاته والتحمت معها في معركة شديدة خسر فيها برودود سبعة عشر قتيلًا ولكنه تمكن من تحديد موقع محمود بالنسب ومن تحديد أماكن مدافعه (١) وفي يوم ١٤ القعدة تحرك جيش كitchener الى ام ضبيح ثم منها في يوم ١٥ القعدة تحرك قاصدا معسكر محمود في النخيلة حيث بدأت المعركة في يوم ١٦ القعدة .

تكون جيش كitchener من ١٦ الف محارب تقريبا (٢) تقسوا على أربع لواءات ثلاثة منها مصرية تحت قيادة الفيحسر جنرال ارشيبولد هنتر ولواء بريطاني تحت قيادة البحير جنرال فانكر اما اللواءات المصرية فقد كان تكوينها كالآتي :-
١- اللواء الاول وكان يقوده اللفنتانت كولونيل هنكر ارشيبولد ويتكون من ثلاث كتائب سودانية هي التاسعة والعاشر والحادية عشر وكتيبة واحدة مصرية هي الكتيبة الثانية .

(1) Barry: Lecture notes on the Sudan Campaign P.20.

فيه تفاصيل أكثر من هذه الكشافه .

(٢) لا يمكن تحديد العدد فيذكر ((بيري)) انه ١٦ الف في جملة بينما يذكر ستيفنز انه ١٣ الف فقط كما يؤكد ان كitchener قد فرض سيرة محكمة على اخبار اعداد جيشه . راجع كتابه

Steevens : With Kitchener to Khartoum P. 61.

٢- اللوا' الثاني كان يقوده اللفتنانت كولونيل ماكسويل ويتكون من ثلاثة كتائب سودانية هي الثانية عشر والثالثة عشر والرابعة عشر وكتيبة " واحدة مصريه هي الكتيبة الثامنة .

٣- الثالثة اللوا' الثالث وكان يقوده اللفتنانت كولونيل لويس ويتكون كله من كتائب مصريه وهي الثالث والرابع والسابع والخامسة عشر . كما كانت هناك بعض البلوكات من الهجانة مع الكتيبة الثالثة تحت قيادة " تدوي بان " وثمانية بلوكات من الخيالة تحت قيادة برودود اما المدفعية فقد كانت تحت قيادة لوتج باشا اما اللوا' البريطاني فقد تكون من اربعة كتائب هي " لنكولنشير كمرون هايلاندرز ، وريكتشيز وسيفورث . وقد تشكلت هذه اللوا' في ساعة الحرب على هيئة مربعات تحف بزيبة محمود على النحو الموضح في الرسم البياني المرفق في الصفحة التالية^١ فكانت خيول كشنر في مواجهة خيول محمود في الجهة اليمنى من الزبيبة . تليهما الكتائب التي يقودها لويس ومعهما الموم والمسا' وبلوكات الهجانة ثم اللوا' البريطاني اوتسند تخدمه كتيبة الكمرونز ومن ورائها اصطفت كتيبة الوركشيزر ثم السيفورث ثم الينكولنز ثم الكتائب التي يقودها ماكديوالد وقد تقدمتها الكتائب السودانية ٩ جن و ١٠ جن و ١١ جن ومن ورائها الكتائب المصرية الثانية ثم اللوا' قيادة ماكسويل

١ انظر الرسم لبيان عن صفه

وقد تقدمت الكتاب السودانية ١٢ جن ١٣ و ١٤ جن
ومن ورائها الكتبية المصرية الشامنة ووقفت المدفعية
فى المقدمة •

وبدأت المدفعية بالضرب فى الساعة السادسة
والربع واستمرت دون توقف لمدة ساعة كاملة ثم تلاها
تقدم الكتاب التى ركزت اشد هجومها على مقدمة الزبينة
وجانبها الايسر •

وتخرج من سير المعركة حسبما ورد فى كثير من الكتب (١)
ان محمود اوجد نفسه فى وضع اشلت فيه حركته تماما
وقبعت فسرقت جيشه داخل الزبينة حتى داهقها جيوش
كششستر الا الخيل التى حاول الهجوم على مبعثة كششستر
فى بداية المعركة ولكن صلتها مدافع المكسيم تسيرانا
حاميه فتراجعت ثم حارت ولم تفعل شيئا يذكر فى سير
المعركة بعد ذلك •

(١) تجمع كل الكتب التى وصفت سير المعركة على ان مدفعية
كششستر ظلت على زبينة محمود نارا حامية لمدة ساعة
كاملة دون توقف ودون اى رد لها من جانب محمود وان زبينة
محمود كانت هادئة لا اثر لاي تحركات بداخلها طوال هذه
المدة وان لم تتحرك الا فرق الخيل لمسافة بسيطة ثم تراجعت
بعد هذا
راجع فى ذلك

- (a) Burligh : Sirdar and the Khalifa, P. 231.
- (b) Steevens : With Kitchener to Khartoum P. 144.
- (c) W.S. Churchill ; The River War P. 236.
- (d) Berry, Lecture notes on the Sudan Campaign
P. 21.

ويتضح كذلك أن مدرة الجيخانة وقلة الاسلحة
 الثابتة عند محمود قد جعلت مهمة كمشتر نهاية
 في السهولة فقد استمرت مدفعيته في الضرب لعدة
 ساعة كاماة دون ان يتلقى اي رد من جانب محمود .
 وتحركت كتائب جيشه حتى وصلت الى قرب زريبة محمود
 دون ان يطلق عليها الانتصار نيرانهم وتمكنت الكتائب المتقدمة
 من جيش كمشتر من تمزيق الزريبة والوقوف على تحصينات
 جيش محمود حتى قضت عليها وتمكنت من الوصول الى المكان
 الذي كان يتحصن محمود بداخلاء قسودوه وقد افترق
 سجادة صلاته وجانبه سلاحه استعدادا للموت
 فاخذوه اسيرا الى بربر ثم الى مصر حيث بقى في الحبس
 في رشيد حتى توفى في سنة ١٢٢٢ هـ .

وقد مات كثير من الامراء الذين كانوا مع محمود في
 هذه المعركة مثل العطا اصول وعبدالقادر دليل وسلاح ابوه
 والبشاري بيده وسلا حظ ان كل هؤلاء ماعداء البشاري
 بيده كانوا بالجهة اليسرى للزريبة والتي تركز عليها هجوم
 كمشتر اما الجهة اليمنى منها فقد كان الهجوم عليها خفيفا
 وقد نجا من الموت في تلك الموقعة من رؤساء الاسماع
 فذل الحسنة والذي اسر فيما بعد واخذ الى القنص ومات
 في قرية الرمان بالقرب من سنجة بعد ان اطلق سراحه ،
 وميسى زكريسا الذي تمكن من الوصول الى اهدرمان ليشتترك
 في موقعة كبرى وقد مات في تلك المعركة عندما كان معسكرا
 بجهة الخرطوم بحري، ومحمد الزاكي عثمان الذي تمكن ايضا من
 الوصول الى اهدرمان واشترك في معركة كبرى وقُتل فيها ،

وعلى سرفزار الذى اسر واخذ الى العنق وقضى فيه سنة ١٤ سنة ثم رجع الى قرية الرمان قرب سنجه ومات هناك ،
والغضلى ادم الذى اسر واخذ الى حلفا ولكنه لم يذهب الى
العنق بل عاد من حلفا وحضر بقية الرقبة بالقبيلة بالقرب
من سنجه ، وعثمان دقنه الذى تمكن من العودة الى اهدرمان
وحارب في كسرى وتمكن من الافلات مرة اخرى ولم يقبض عليه
الا بعد سنة في جبال البحر الاحمر وقد اخذ الى العنق
ثم الى الحجاز ثم الى حلفا حيث مات في سنة ١٢٤٣ هـ ومحمد
فضل الله الذى اخذ الى العنق وعاد منه وقى في سنزار
حيث تم تعيينه " عمدة " عليها وقى بها حتى مات ،
وبدائله حامد الذى يذهب الى العنق بل عاد واستوطن
في قرية " بان " بالقرب من القضايف ومات فيها ومحمد
بشارة (١) الذى تمكن من العودة الى اهدرمان واشترك في موقعة
كسرى ومات فيها أما على المستوس فانه ايضا لم يذهب للعنق
بل ذهب الى دارفور بعد انتصار امراء الهدية مع على دينار
وقى معه الى ان انتهت امر على دينار ثم ذهب الى رهيبد
البردى حيث صار ناظرا على قبائل التمايشه الى ان مات
قريبا سنة ١٢٨٥ هـ (٢)

اما عامة الانصار فانه قد قتل منهم عدد كبير لا يمكن
تحديده بالضبط ان وشائق الخليفة لم تحدد عددهم ولم
تحدده كذلك صادر كشتنر بل اتمدت على التخمين في ذلك وقد اورد

(1) Steevens : With Kitchenier to Khartoum P.160.

يذكر بان محمد بشارة قد قتل في واقعة عطبرة وهذا غير صحيح .
(٢) يذكر نعوم شستير جغرافية وتاريخ السودان ص ١٢٢٤ ، أن على
المستوس قتل ايضا في عطبرة ، وهذا غير صحيح ايضا .

استنفذت نفس كتابه " مع كitchener الى الخرطوم " ان بعضهم حاول ان يحصى عدد الموتى من الانصار ولكنه بعد ان وصل الى الدلتين تعب من ذلك وتركه . " وفى الزينة نفسها حاول البعاشى واتسون - حرس كitchener الخاص - ان يحصى عدد القتلى فحسب حتى وصل الى ٢/٠٠٠ قبل ان يتعب من ذلك ويتركه ، وقد ترك مع ذلك الكثيرين ، فقد وجدت الخنادق تلو الخنادق مائكة بالقتلى ، كما ان هناك الكثيرين ممن قتلوا خارج الزينة ومن اصابتهم الرصاص وهم يعبرون مجرى الفهر (١) وقد استنتج استنفذ من ذلك ان عدد القتلى قد بلغ الثلاثة الاف بما فيهم محمد بشارة امير دنقلا السابق وكثير من الاسرا الآخرين .

هينيف هولت الى هذا العدد (٣٠٠٠ قتل) اربعة الاف اخرى من الجرحى (٢) ولكن هذا التقدير فيه تقليل كثير لعدد القتلى فى هذه المعركة ولا بد ان يكون قد مات فيها ما يزيد عن هذا العدد اذ ان الجيوش الذى كان مع محمود يستند على العشرين ألفا فاذا كان الذين تمكنوا من الهروب منه الى القضايف الى ام درمان هو اربعة الاف (٣) بما فيها الجرحى - واذا علمنا

(1) Stevens: With Kitchener to Khartoum, P. 160. Appendix

(2) P.M. Holt: The Mahadist state in the Sudan P. 219

كذلك حدد ببرى نفس العدد ٣ الاف فى كتابه

Berry : Lecture Notes on the Sudan Campaign P. 22,

ينزل كرومر بالعدد الى ٢/٠٠٠ فى كتابه

Cromer : Modern Egypt, Vol 11 P. 102 .

اما نعيم شقير فيقول فى كتابه جغرافية وتاريخ السودان ص ١٢٢٤

" اما الدراون فقد قتل منهم نحو ٢/٠٠٠ رجل وفيهم من الاسرا "

على السنوسى والبشارى ربه ، والمظا اصول وعبد القادر دليل وصالح ابوه وعبد الله حامد والشريف الثقيب وكيل دقنه " وقد اخطأ فيما يختص بموت الاسرا على السنوسى وعبد الله حامد .

(3) Berry : Lecture Notes on Sudan Campaign , P. 22

أن كشمير لم يأخذ كشميرا من الاسرار ولم يهتم بذلك بالبحر تأكد لنا ان عدد الذين ماتوا من ذلك الجيش كبير لانه اية وأنه ينفق العدد المذكور - ٣ الاف - بأكثر من الضعف * ربما يلفت النظر أن هناك شبهة اجماع على تحديد رقم القتل بثلاثة الاف مما يدل على أن المصدر الذي أخذت منه المعلومات مصدر واحد ويغلب الظن ان كشمير هو الذي حدد هذا العدد وهوكد ذلك حرصه الشديد على أمور الاعداد هذه في الأمور العسكرية فقد كان يصر على كتمان أمرها دائما وقد فعل ذلك بالنسبة لاعداد الجيش الذي تبعه كما يذكر ستيفنز حيث يقول " ولا يدرك من ان اذكر ان كل الاعداد هنا اعتمدت على التقدير والتخمين ان أوامر السردار كانت تمنع نشر الاعداد والانصاع عنها " (١)

واذا كانت لكشمير مصلحة في كتمان اعداد جيشه لبعض الاعتبارات العسكرية فانه حتما كانت له مصلحة في كتمان أمر مقتل هذه الاعداد الكبيرة دون مبرر لاسباب سياسية ولا اعتبارات شخصية * وقد عرف منه انه كان شديد الخوف من التقدم حريصا كل الحرص على عدم الدخول فيما يضعه في موضع حرج ولذلك فانه قد تردد كثيرا قبل الاعتماد على الهجوم على محمود حتى تأكد جيدا من خطائياته ولم يدع مجالا للنقد ولم يقدم على أي مجازفة فهو يقرر ذلك بقوله " عند مقابلة محمود " وإن أقدم على هجوم شامل حتى اقتنع وأؤكد بان الفرصة الضاربة لذلك قد أتت " (٢)

(1) Stevens : With Kitchener to Khartoum
P. 16.

(2) Kitchener to Cromer, Quoted in Cromer to Foreign Office, No 115, 4 April 1898, P.R. O., P.O., 78/5049. Quoted from Shibeka : The British Policy in the Sudan P. 386.

ومنفى هذا المستوى من الحرص عالج كشنر مسألة عدد القتلى هذه خوفا من النقد ، وخوفا مما قد يحدثه صدى هذه المجازر على الرأي العام البريطانى اذا علم بتلك الاعداد ، ولم يغيب عن باله صدى " مجزرة القسطنطينية " عندما عرف البريطانيون ان السلطان العثمانى ، الذى تسنده حكومتهم ، قد اقدم على قتل ٥ الى ٧ مسيحيين ارضى فى القسطنطينية فى اغسطس سنة ١٨٩٦ ولم تغيب عن باله الزمعة التى اشارها "الرادكاليون" ضد حملة السودان منذ بدايتها وخاصة مقالاه قائد تلك المعارك " لايشير " من ان مشاعره مع الافريقين الذين يحاربون دفاعا عن اراضيهم وليست مع الاوربيين الغزاة " (١)

كذلك كانت الروح الاستعمارية متغلغلة فى نفس كشنر وكان يمثل بطلا من أبطال الامبراطورية فاهتم بمظاهر عظمتها وابتهتها فاقام المهرجان ونصب اقواس النصر فى بربر احتفاء بانتصاره على محمود واطهارا لهذه الروح " (٢) " ولم يكن ليرضى ان يفسد جمال ضحوة الامبراطورية وعظمتها باخبار المجازر والدماء التى اريقت فى ارض النخيلة .

وذا كان كشنر قد وضع كل هذه الاعتبارات نصب عينيه وعمل جادا على كتمان خبر مجزرة عذبره واعداد القتلى فيها نائمه كذلك قد وضع نصب عينيه ان الغرض الاساسى من تلك المعركة هو ابادة جيش محمود والقضاء عليه تضافا تاما حتى لا يترك منه بقية ترجع الى ام درمان وتشترك فى مقاومته فيما بعد يقول بيرى " كان الغرض الرئيسى من تلك المعركة هو ابادة قوات العدو وليس الاستيلاء على موقع استراتيجى فقط كما حدث فى ابى حمد " (٣)

وقد نهج كشنر فى هذا الغرض وحصل على كل ما اراد فى واحة النخيلة .

(1) The Annual Register for the year 1896, new series London 1897 pp. 69-70-P 139

خاتمة

=====

وبانتها واقعة النخيلة انتهت حملة
الامير محمود وداحمد الى الشمال والتي هي في حقيقتها
مسيرة هائلة بدأها محمود من اقصى الغرب حيث
اجبر القبائل التي هناك على الهجرة في سنة ١٣١٤هـ
وسار بها حتى وصل الى ادمرسان ثم شمالا حتى العتمة
فالنخيلة على نهر عابرة وقد اوضحت هذه المسيرة
ان الفكرة القائلة بأنه لو كان الخليفة قد رجع واستقر
في الغرب بعد موقعة كرزى بدلا من العودة الى ادمرسان
لامكنه السمود لبعض الوقت ليقلق الحكم الثنائي ولما تمكن كثير
من هزيمته بسهولة ومرة اوضحت هذه المسيرة ان هذه
الفكرة لا يمكن قبولها كلها كاملة وذلك لان مسيرة محمود
كانت قد وزعت كل قبائل الغرب والتي عليها اتمسك
الخليفة ، واضعفتها عدديا ومعنويا وزعمت قوتها ففى
حكم الخليفة .

كذلك اوضحت هذه المسيرة انه بالرغم من
الامكانيات العددية التي كانت فى متناول يد حكومة
المهمدية الا انها كانت تفتقر الى كثير من مقومات الجيوش
الحديثة من سهل المواصلات وخطوط الامدادات والاسلحة
الحديثة والنظم والتدريبات الحربية وما الى ذلك مما
كانت تحتاجه الجيوش .

كذلك فان هذه الحملة قد اشعلت من جديد نار الفتنة وعمقتها بين قبائل أهل الشمال " أهل البحر " وقبائل أهل الغرب والتي كادت الخلافات بينهما ان تنفجر من ايام المهدية الاولى لولا ان قامت ثورة الاشرف ضد الخليفة ، ولكن سرعان ما تمكن الخليفة من القضاء عليها وثبت امدامه في الحكم وقبيلت معظم القبائل حكمه كأمير واقع واقتنعت به كما ورد في المعلومات التي ادلى بها الشيخ مصطفى الامين للخبارات الانجليزيه المصرية في سنة ١٨٩٢ • (١) ولكن هذه الحملة ازكت نار الفتنة التي كادت ان تموت من جديد ، ورائحة الفتنة وما تبعها لا تزال اثارها باقية في النفوس الى اليوم ، وسقطت حسنين برى ومن تبعه في بربر والقصاب التي لقبها الكثير من اهالي تلك المنطقة على ايدى الانصار مازالت ذكراها محفوظة ، وهناك اثر آخر من اثار هذه الحملة في تلك المنطقة وهو ان عدم العون والامدادات وضيق المنطقة وقحلتها كان قد اضطر الانصار الى مد ايديهم الى كل ما وقعت عليه العين من مأكولات ومشروبات فدخلوا البيوت والمزارع وارتبطت صورة الانصار في الازهار بالنهب والسلب واخذ حقوق العباد •

(1) Egypt Intelligence Report Dec. 1892. Statement of Mustafa El Amin .

وفى الختام لابد من ان نذكر ان كمية
الدماء التي اراقها ككتشنر فى موقعة عطبرة وآلاف
الانفس التي أزقتها دون مبرر والمهرجانات التي اقامها
ابتهاجا بالنصر واتواس النصر التي نصبها فى بصرى
كل ذلك يوضح مدى تغافل الروح الاستعمارية فى نفسه ،
تلك الروح التي كانت سائدة فى اوروبا فى ذلك الوقت
وسيطرت على اذهان الناس فصاروا يحبون اخبار المعارك
والنصر والفتوحات ومسيرات الجيوش وتشيرهم المهرجانات
التي تعبر عن روح العظمة والقوة مثل المهرجانات التي
كانت تقام فى اعياد تنوح الملكة فيكتوريا وصافعه
كتشنر فى موقعة عطبرة وماتبعها كان ترجمة لتلك الروح ،
وقد فتحت له تلك الاعمال الباب ليجد مكانا يمين
* بنسابة الامبراطورية * .

Appendix A (1) See P. (1)

" No one will deny , so clerar and evident a proposition , is it , that the Nile is the life of Egypt . Now the Nile means the Sudan and nobody will doubt that the bonds and connections which unite Egypt to the Sudan are as inseparable as those which unite the soul to the body . "

Appendix A (2) See P. 2

" The Savages of the Sudan may never themselves possess sufficient Engineering skill to play tricks with the Nile , but for all that it is an uncomfortable thought that the regular supply of water by the great river , which is Egypt not a question of convenience and prosp but actually of life , must always be exposed some risk , as long as the upper reaches of th river are not under Egyptian control . Who can say what might happen if some day a civilized power or a power commanding a civilized skill were to undertake great engineering works on the upper Nile and to divert for the artificial irrigation of that region the water which is essential for the artificial irrigation of Eg

Appendix A (3) See P. (2)

" The Dervishes have now been well beaten both at Swakin and in the Nile Valley . It is not probable that they will advance again for some time if at all ... The Dervishes without being really dangerous are fulfilling the very useful function of providing an argument against any change . "

Appendix A (4) See P. (3)

" (Egypt's) very life blood is drawn from sources which now , for the first time in the long ages of her history , are being brought within the reaches of powerful European states and might pass under the control of some great power which could lay an arresting finger on pulse at will . "

Appendix (5) See P. (4)

" If the Dervishes come on , I suppose they will be beaten ; but then will not the Italians want to go on beyond the line fixed by Lord Dufferin's Convention ? very probably they will do so . It would be awkward . I am always fearful of having this abominable Sudan question forced on us prematurely . "

Appendix A (6) See P (4)

" The Sudan is worth a great deal to Egypt , but it is not worth bankruptcy and extremely oppressive taxation . "

Appendix A (7) See P (5)

" I wish to draw your very particular attention to one point ... The point to which I wish to draw your attention is this . The military question is in reality a financial question , and looking at the general Egyptian tangle , it is quite impossible to separate the financial from the political question . "

Appendix A (8) See P. (5)

" If Mr (Salisbury) thinks he cannot come to terms with the Italians at all events let them be kept back for a few years by which time the Sudan will probably come back to Egypt without much trouble . The " digringolade " of Mahdism is going quicker than I expected and my main fear at this moment for some time past- is that we shall have the solution of the question pushed on us before it is really ripe for settlement . So long as no one else settles in the valley of the Nile we can wait our time . "

Appendix A (9) See P. 6

" The decision to which the cabinet came yesterday was inspired specially by a desire to help the Italians at Kassala and to prevent the Dervishes from winning a conspicuous success which might have far reaching results. In addition we desired to kill two birds with one stone , and to use the military effort to plant the foot of Egypt far from the Nile . For this reason we preferred it to a movement from Swakin or in the direction of Kassala because there would be no ulterior profit in these movements . "

Appendix A (10) See P. 22

" But however unpopular the Dervish rule may be with certain classes, the most war-like tribes remain generally faithful to the Mahadist cause. These are notably the ja'alin and the Baggara. The former, however, are said to be wavering more especially since the death of Wad al-Nujumi. Some of their leading men recently made overtures to Colonel Wodehouse and the best authorities on frontier matters think that before long it may perhaps be possible to detach the Ja'alin from the Mahadist cause . "

Appendix A (11) See P. 23

" Attention on the Sudan was directed from another quarter ; this time from some of the Sudanese themselves. When Abdalla Wad Saad had succeeded to the chieftainship of the powerful tribe of The Ja'alin in the Sudan , he immediately asked his relative of his to negotiate with Kitchener. He asked that there should be pardon for past offences, that the chieftainship of the Ja'alin should remain in the hands of Abdalla and his family , that there should be remunerations for expenses incurred in hostilities with the Khalifa, and that when the Ja'alin besieged the Baggara at Omdurman , troops should be sent to give moral support to the garrison. Kitchener had no doubt that there is a very widespread feeling of discontent at the Khalifa's rule . Abdalla's relative hoped that after bringing about the over-throw of the Khalifa's forces, the tribes will demand British administrators and not natives either Egyptian or Turks . "

Appendix A (12) See P. 24

" As late November 1895, when Wilfred Scawen was visiting Wadi Halfa, a number of Danagla Scouts sought his mediation to obtain permission to return to their own Country . His account of their statement is interesting :-

They told me that there would be ~~an~~aman (guarantees of Security) for them there , that the Khalifa was pleased at the return of refugees, that they could re-occupy their lands without hinderances ; that there was less oppression there than there had been, and that they would be better off there than here People , however, were not interfered with if they were content to cultivate a few fedans (acres) and live on the produce

as far as I could gather from them , they consider the independence of their Country from the (Egypt) Government an advantage, now that there was no longer excessive oppression ."

Appendix A (12) Pages P. 25

" Great tribes such as the Ja'alin , no doubt bitterly resent the accession to power of the Bag but they are not so discontented as they were.

They originally rose against Egyptian government authority, because they considered themselves oppressed. During the first few years of the Khalifa's rule they suffered still greater oppression , and would gladly have reverted to Egyptian rule , had it been possible but gradually the situation is changing , and the Khalifa's nominal taxation of " ~~A~~ Zaka " is less oppressive than were government taxes . Thus a slow gradual consolidation is being effected and it is unlikely that when the Government does eventually decide to re-enter the Sudan, it will meet with opposition on the part of those very tribes who have been most clamorous for its return .

كشف بعض الخطابات من محمود الى
الخليفة يوضح فيها بعض الاعمال التي
قام بها في فترة امارته بالنسبة

- ١- مهدية ٤١/١٤/١ بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٣٠٨ بتعدية برار اجبر وموس ماديو الذين ارسلهم الخليفة لهداية الرزقيسات الذين كان فضل النبي اصمىل - احد امراء محمود - قد ضيق عليهم الضيق وقد تم رفع فضل النبي عن الرزقيسات *
- ٢- مهدية ٤٧/١/١٤/١ بتاريخ ٦ شعبان ١٣٠٨ خبر السرية التي ارسلها الى الصديوب لطلبهم ومادت سائلة غائبة وان الانصار جماعة المكرم سنين حين تمكنوا من قتل سبعه من فقد انور *
- ٣- مهدية ٦٠/١/١٤/١ بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ بتفصيل بيوتات الرزقيسات الذين تم ضربهم على يد فضل النبي اصمىل وكذلك الجانبين والصديوب *
- ٤- مهدية ٦٨ ٦٨٥/١/١٤/١ بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ بالشكوى من عبدالهات عبد الوكيل بانه تعدى على حدود قومه وتدخل في بعض الاقسام التابعة لمحمود *
- ٥- مهدية ٧٠/١/١٤/١ بتاريخ ١٩ شوال ١٣٠٨ بالشكوى من اولاد التعايشه الذين معه بالجيش وقال انهم يحبون الراحة *
- ٦- رقم ٧٢ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٠٨ بانه قد تم تنفيذ الاوامر التي وصلته من الخليفة بتخريب دار التعايشه *
- ٧- مهدية ٢/٨٣/١/١٤/١ بتاريخ ١٤ الحجه سنة ١٣٠٨ بخبر تصرد الجهادية عليه وخرايبهم السوق اليهود وشكك من السيطرة على التصرد والقضاء على التصرد *
- ٨- مهدية ٨٤/١/١٤/١ بتاريخ ١٥ الحجه سنة ١٣٠٨ بخبر قتل رؤس القتمسة من الجهادية وصلبهم في اليهود وعدم الثقة في الجهادية بعد ما حدث منهم *
- ٩- مهدية ١٥/١/١٤/١ بتاريخ ٢١ الحجه سنة ١٣٠٨ بخبر

- ١٠- مهديه ١٦/١/١٥/١ بتاريخ ١٢ ربيع اول سنة ١٣١١ بخبر
بانه كان ينوى ضرب المسيحية ولكنه تركهم لانه وجدهم قد تفرقوا
بامساكن عديدة وتقرر ان يضرب بدلهم جبل الدلج *
- ١١- مهديه ٢٩/١/١٥/١ بتاريخ ١٠ ربيع اخر سنة ١٣١١ وفيه
يطلب النصيحة لمحمد بشاره وارشاده لترك الراحة وكذلك الارشاد
لروساء البعث والعلازميه وجماعة حبل المحبون *
- ١٢- مهديه ٣٠/١/١٥/١ بتاريخ ٢٢ ربيع اخر سنة ١٣١١ وفيه
شكوى من الرنقات المهاجرين الى ادمرمان وتعتديهم على حقوق الاخرين *
- ١٣- مهديه ٤٠/١/١٥/١ بتاريخ ٢ جماد اول ١٣١١ باخبار كردغان
والخراب والتهمة التي الت بها وان اسباب ذلك كله ناتج من
الذين تركهم وراءه للقيام باصرها وهم الوكيل عمس الزين ومعه
امن بين المال على احمد الهاشمي ومال الرايات والقاديب *
- ١٤- مهديه ١/١/١٥/١ بتاريخ ٤ جماد اول ١٣١١ بانه قد
وصله طلب الخليفة له (خفائي لادرمان ومعه روساء دارفور
المحضرين معه *
- ١٥- مهديه ٥٥/١/١٥/١ بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٣١١ وفيه
رد للخليفة على شكوى احمد بشاره ضده والتي اتهم فيها محمود باخذ
ممتلكاته وصادرتها *
- ١٦- مهديه ٧٥/١/١٥/١ بتاريخ ٩ القعدة سنة ١٣١١ بخبر تخليق
الجيش على المسيحية وتشتيتهم شتاتا شديدة *
- ١٧- مهديه ١٧٣/٢/١٥/١ بتاريخ غاية صرم سنة ١٣١٢ بقبول
امر الخليفة المؤرخ ١١ شوال سنة ١٣١٢ وفيه الزام لمحمود مباشرة
امر الجيش بنفسه اذا لم الامر لضرب جهة من الجهات لما في ذلك
من ارباب العدو وممارسة للحرب *
- ١٨- مهديه ١٩١/٢/١٥/١ بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٣١٢ وفيه
شكوى ضد الختم موس وهمدالقادر دليل من ان المعية بينهما صارت
مفقودة وانهم صاروا دائسا في معاكه بعضهم البعض في كل الامر *
- ١٩- مهديه ٢٠١/٢/١٥/١ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٣١٢ بخبر
تطهير الزقارة *

- ٢٠- مهديه ٢٠٤/٣/١٥/١ بتاريخ ١٤ ربيع آخر سنة ١٣١٣ • بخير وصول اذن الخليفة لعمود بتاريخ ١٢ ربيع أول بالساح لعمود بالحضر بالجيش لدار حمر لاجل راحة الجيش في الغلال وليكون قريبا " بحيث يتمكن من ضرب أى جهة كانت اذا دعا الى ذلك الحال •
- ٢١- مهديه ٢٢١/٣/١٥/١ بتاريخ ١٤ جماد أول ١٣١٣ بالشكوى ضد حليس المحسون •
- ٢٢- مهديه ٢٢١/٣/١٥/١ بتاريخ ١٣ جماد أول سنة ١٣١٣ بخير وصول اشارة الخليفة لعمود الصوخرية ٤ ربيع آخر باعلامه بتعين محسد بشماره لدنقلا • والساح له بمكاتبتهم •
- ٢٣- مهديه ٢٢٤/٣/١٥/١ بتاريخ ١٣ جماد أول سنة ١٣١٣ بالشكوى ضد الختم موسى بعدم اطاعته للأوامر بالتوجه لدار فترتت رغم اشارة الخليفة بذلك وتصابيح الاخوان له بالمجلس •
- ٢٤- مهديه ٢٣٦/٣/١٥/١ بتاريخ ١٥ رجب ١٣١٣ بوصول امسود الخليفة الصوخر ١١ جماد أول ١٣ بضبط المسيحية وتجنيدهم وارسالهم بالشعب وان يكون ذلك على حين غفلة حتى لا يفلت منهم احد •
- ٢٥- مهديه ٢٣٩/٣/١٥/١ بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٣١٣ باخبار البرقاروى ومجاهرتهم بالمسدادة للمهدية •
- ٢٦- مهديه ٢٤٠/٣/١٥/١ بتاريخ ٤ رمضان ١٣١٣ باخبار الغرب ومانعه هناك من ضرب الخارجين على المهدية وتديد شمسلمهم •
- ٢٧- مهديه ٢٤٢/٣/١٥/١ بتاريخ ٤ رمضان ١٣١٣ بخير وصول طلب الخليفة له " خفاني " الى اهدرستان •
- ٢٨- مهديه ٢٤٣/٣/١٥/١ بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٣ بالشكوى ضد امسود الرضى وابراهيم الشمسرف وحليس المحسون •

Appendix A. 13 Cont.

٢٩- مہدیہ ٢٤٦/٢/١٥/١ بتاریخ ٢٢ شوال سنہ ١٣١٣ • انہماز الامر بضبط المسیرۃ وضبطہم •

٣٠- مہدیہ ٢٥٢/٢/١٥/١ بتاریخ ٧ الحجہ سنہ ١٣١٣
 یحصول محمود ومن معہ ((خفائی)) الی اہدرمان •

((ذكر موت الحاج علي سعد))

" كان الحاج علي سعد من قبيلة الجمالين وكان ضيعة
خامل الذكر ذا مهنة دنيئة ولما دخلت دعوة المهدية في
بربر رفع محمد الخير منزلة حتى صيره امرا على سكان
القرى الواقعة جنوب نهر (ابيره) ثم كان من امره مع
محمد الخير امير بربر ما تقدم ذكره طرفه حيث سمى
بمحمد الخير فسد التعايش على امل ان يخلقه في اماره
بربر وقد رده التعايش بالوصول الى غايته وقضا
لبائته فبالغ في توجيه الطاعين الى محمد الخير
فعزله التعايش وولى بدله احد اقاربه البتساره
وقلب ظهر المجن لعل سعد ثم امره باحما عدد العقاطه
الذين تحت اماره فبلغوا سبعة الاف مقاتل فامسره
بان يصحبهم الى دنقلا في اوائل سنة ١٢٠٦ لينضموا مع
ابن النجوش فبادر علي سعد ببربر ولحق بابن النجوش
في دنقلا فاحس من معه من العقاطه فاذا هم متطاع
مقاتل فقط فكتب ابن النجوش الى التعايش يخبره بان مقاتله
علي سعد ستطاع رجل فقط لاسبعة الاف كما قال فاستأ
التعايش واصر السوء لعل سعد الذي يسمى
من نيل اماره بربر وامتنع من التعايش واخيه يعقوب
الذي خدمه واقراه على العلين في محمد الخير ثملا
الى عزله واتصاه من الامارة واعطاه في توى ذلك
المنصب ثم لم يرمك ولما بل قلب له ظهر المجن *
وفي اوائل سنة ١٢٠٧ استقدم التعايش علي سعد
من دنقلا وقدم له غذا وضع فيه مادة سمية فاكسار
يفرغ من تناوله حتى احس بانحراف شديد فلزم دارة وتوفي
بعد ليالى قليلة بعد ان ظهرت عليه اعراض التسمم *
وخلفه في وظيفته اخوه هداك سعد الذي خرج على
التعايش قبل فتح ام درمان فقتله الامير محمود في من قتله
حتى ذكر ذلك فيها على والده الامر من قبل ومن بعد "

Appendix E (2) See P. P 56

Egypt Int. Rep, No 44 Appendix E Note on the attitude of the Ja'alín Tribe (North Barber)

" Sherif Mohamed Saleh , the brother of Hassa Sherif who was entrusted with a verbal message Abdulla Wad Saad has returned to Cairo from Ber

He states he delivered the message and Abdull. wad Saad told him that the natives, hands are tied and they cannot possibly begin a revolt and hope for success unless they receive help from outside. if only one battalion of good soldiers came to Abu Hamed the Ja'alín would at once rise and join the Government , for the natives of the Sudan , specially the Ja'alín , feel heavier and heavier every day the burden of the Khalifa's rule , and they are surprised at the inactivity of the Government in delaying the reoccupation of the

They cannot believe that the Government , which governed the Sudan for over 60 years will leave the hands of tyrannical and most ignorant Arabs. They are sure that this Government must return one day , but they grow impatient , and in the mean time they have been obliged to try and accustom themselves to the Khalifa's rule until relief comes."

Appendix B. (3) See P. 52

المنشور المرسل من الخليفة الى اعالى المتة والذي قال هولت
انه موجود في دار الوثائق المركزية لجمهورية السودان تحت
مهيده ٦٠/٢ بورد هولت مترجما الى اللغة الانجليزية كما يلي :-

" ...We have written to you this our order so on its arrival do you all willing by and glad take all your possessions and everything pertaining to you , save only your houses, and seek out a suitable place in the knowledge of your , amils opposite the village on the eastern side . Then abide with the blessing of God , all of you , so that none of you may be separated .

Ref., P.M. Holt : A calendar of the Correspondence of the Khalifa Abdallahi and

Ahmed, Khartoum 1950, P. 9

Appendix B (4) See P. 56

" The Khalifa determined early in June to send the Kordofan army to occupy Metamma , thereby either to awe the tribe into loyalty or force them to revolt while the Egyptians were still too distant to assist them. He sent the Chief of the Jaalin , Abdalla -Wad Saad Omdurman , and informed him that the Jaalin territories were threatened by the Turks. In goodness of his heart, therefore , and because he knew that they loved the Mahdi and practiced true religion , he was resolved to protect them from their enemies. The Chief bowed his head. The Khalifa continued that the trusty Mahmoud and his army would be sent for that purpose, Abdalla showed his loyalty in furnishing them with all supplies and accommodation . He intimated that the interview was over. But the Jaalin chief showed the temerity to protest. He assured the Khalifa of his loyalty and of the ability of not to impose the burden of an army upon them . He exaggerated the poverty of Metamma; he lamented the misfortune of the times. Finally he begged forgiveness making his protest.

(cont)

Appendix B 4 (Cont.)

The Khalifa was infuriated. Forgetting his usual self control and the forms of polite utterance , he broke out into a long and a harangue . He told the chief that he had doubted his loyalty , that he despised his protestations that he was worthy of a shameful death, that his tribe were a blot upon the face of the earth, and that he hoped Mahmoud would improve their manners and those of their women.

Abdalla Wad Saad crept from the presence and returned in fury and disgust to Metemma. Having collected the head men of his tribe he informed them of his reception and the Khalifa's intent. They did not need to be told that the quartering upon them of Mahmoud's army meant plunder of their goods , the ruin of their country and the rape of their women . It was resolved to revolt and join the Egyptian forces etc.

مخطوطة يوسف مخائيل عن التركية والعهدية ١٩٣٤ ، دار الوثائق
 المركزية لجمهورية السودان ١٩٦٤ (مسألة المتعة) .
 قال يوسف مخائيل ان " عبدالله سعد كان متقياً في أم درمان
 مع الناس أم بهر ولطامع بأن محمود أحمد سيقيم من أم درمان
 إلى المتعة أخذ مبلغاً كبيراً من المال وأعطاه إلى يعقوب ليسمح
 له بالذهاب إلى المتعة . وقد أعطاه يعقوب بالامر إلا بعد
 يومين وقد غضب الخليفة غضباً وارسل الهجاء في طمسه ،
 ولكنهم لم يلحقوه إلا قريباً من المتعة فظل لهم أني خالفست
 امر الخليفة في هذا الشأن أرجعوا إلى سيدكم وقولوا لـ
 عبدالله ولد سعد خالف امرك كيف يرضى بأن تتطلع أهل
 المتعة يسكن بها محمود أحمد ويخرج كافت النساء والأطفال اظ
 خالفت امره بهذا الشأن رجعت الهجاء وأخيرة الخليفة
 بذلك الامر حصل له الغضب الشديد "

Appendix B (6) See P. 69

" With the memory of the relief expedition of 1884-5 in mind , the Khalifa and his adviser now determined to base Mahmoud's forces on al-Matamma where the desert route from Dongola Province via Jaqul and Abu Tulayh reaches the Nile . The town , however, was the tribal capital of the J of those loyalty Abdallahi was suspicious . After consultation with their chief , Abdallah Sad Fa the Khalifa issued an order commanding the people of al-Matamma to transfer themselves en masse with their movable goods to any site they might choose on the eastern bank .

Faced with this demand Abdalla Sad and his people resolved on resistance . The news reached Mahmoud on 22 Muharrem 1315 (23 June 1897). On the following day two of Abdalla Sad's messengers arrived at Marrawi and laid before Kitchener the chief's plea for arms , ammunition , and, if possible , men to assist their revolt . "

مهدية ١/٨/١/١/٦/٢ من محمود الى الخليفة بتاريخ
٧ صفر سنة ١٢١٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالى المكرم والصلاة على سيدنا
محمد وآله مع التسليم وبعد فهذا كشف يحتوى بيان الشهداء
والمجاريح فى واقعة الهالك عدالة سعد والخيول المفقودة
والمجروحة ربع ربع وذلك كالواضح ادناه .

اولاد مجروحة : جهادية : خيول نافقة : خيول مجروحة :						
شهداء	مجاريح	شهداء	مجاريح	عدد	عدد	عدد
٦	٢١	١٢	٢٨	٥	٥	٥
٥	١٧	—	٢٧	٢	٢	—
١٦	٢٤	١٠	٢٢	٢	٢	—
٢	٢	٤	١١	—	—	—
١٠	١٧	٥	٢٠	٥	٥	—
٥	١٥	٢	١	—	—	—
١	١١	٢	—	١	—	—
٢	٧	١	٥	—	—	—
٣	٥	—	—	—	—	—
٥٠	١٤٧	٢٨	١٨٢	١٧	٥٠	٥٠

شهداء	مجاريح
٥٠ اولاد حرب	٢٨ جهادية
١٤٧ اولاد حرب	١٨٢ جهادية
٢٢٠	٤١٨
١٧	٥

Appendix C (1) 1247/25

Egypt Intelligence Reports No. 59 13th. Feb. to 23 May 1898.

x " Secret agents and refugees had report some time previously that a difference of opinion had arisen between Mahmoud and Osman Digna as to plan of action to be pursued. From Mahmoud's statement, made subsequently, it appears that the matter was referred to the Khalifa who concurred in Osman's advice; but all that became known to secret agents and refugees was that on the morning of 18 March letters arrived from Omdurman (see appendix) and at 3 P.M on that day the entire dervish force began moving from Aliab across the desert in the easterly direction, to the Atbara, which was reached 20th. March.↵

Appendix D (1) See P. 130

" Abdullahi's mind was filled with a growing distrust of the Ashraf and the Awlad al- Balad who would probably be their partisans in any trial of strength with himself. In spite of al- Nujumi's devoted services to the Mahadia, the Khalifa's suzerainty rested upon him also, since he was a Ja'ali and the ablest and most popular soldier that the Awlad al Balad had produced." P.M. Holt: the Mahadist state in the Sudan P. 156

-
- ① Appendix B referred to = A letter from the Khalifa to all Amirs with Mahmoud, dated 16 Shawal 1315 containing general advices and directions.

Appendix D. (2) see P. 133

" The accusation in Grnfell's letter that Abdal deliberately sent al Nujumi in a hopeless mission in order to destroy him and break the fighting - power of the Awlad al - Balad is current in the Sudan to this day as the principal reason for the clouded reputation of the among his own countrymen. In it there is probably a grain of truth. Certainly al - Nujumi never seems to have enjoyed Abdallahi's trust like his colleagues Abu Anja, Uthman or even Uthman Digna." P.M. Holt: The Mahdist State in Sudan P. 163.

Appendix D. 3 see P. 133

" The lack of food seems to have been the final factor in the advance on Egypt. When in November al - Nujumi notified of the appointment of Mohammed al - Kheir and Sa'ad to recruit the riverian tribes he suggested that to the famine, the forces in al - Urdu should move out to the arrival of the reinforcements." P.M. Holt : The Mahdist State in the Sudan P. 159.

Appendix E (1) see P. 200

" Yet the black Jihadis stood firm in their ranks through the infernal minutes, and never moved till those devilish white Turks and their black cousins came surging yelling, shooting and bayoneting right on top of them. They stayed where they were to die only praying that they might kill one first. Those who ran, ran slowly, turning back to fire. The wounded, as usual, took no quarter; they were to be killed lest they should kill. " Steevens: with Kitchener to Khartoum P. 159.

(con)

Appendix E (2) see P. 207

" to be sure the cavalry did get away; and O Digna, who never fights to a finish, got away with it. The Cavalry did nothing and behaved badly, which is significant. For the Cavalry were Baggara, ~~the~~ catt owning Arabs of the Khalifa's own tribe, transplanted him from Darfur to the best lands round Omdurman. They were the ~~herds~~ ^{Lords} of the Sudan - and ingloriously they away." Steevens: with Kitchener to Khartoum P. 15

Appendix E(3) see P. 219

" In the circumstances the military precaution taken by the Khalifa were limited to reinforcing the of the Atbara with 8000 men under the command of Uth Digna and Hamid Ali at Quz Rajab and the smaller posts of Asubri and al - Fasher." P.M. Holt: The Mahadist State P. 196.

Appendix E (4) see P. 226

" Thus on the morning of Sunday March 20, the broke up from Kanur. The camp went wild, for the news that Mahmoud was actually on the Atbara at last. He seized Hudi ford, it was said, seven miles from the junction of the rivers; and to Hudi we were to march straight across the desert. The Intelligence Department more than half disbelieved the native stories." Steevens: with Kitchener to Khartoum P. 104.

Appendix E (5) see P. 227

" That some day (March 21) the cavalry found enemy. Perhaps it would be more strictly correct to say that the enemy found them. They were halted and dispersed when the Derwish horse suddenly attacked the sentries." Stevens: with Kitchener to Khartoum P.

Appendix E (5) See P. 227 Cont.

" During the advance from Hudi to Ras El Hudi Mar Broadwood's cavalry form a screen for the army; when they water in turns at Abadar, the pickets are attacked and driven in by numerous Deruishes from the scrub are withdrawn; fifteen casualties. The Horse Artillery shell. The scrub; and cavalry advance parallel for six miles to Umdabia, fires of a large force visible the cavalry then retires, reaching Ras El Hudi at midnight. " .

2) Berry : Lecture notes on the Sudan Campaigns

Appendix E (6) See P 228

" I have no desire to curtail your full liberty of action in case you should think it desirable to act contrary to the view to which I incline. Whatever you may wish to do, I wish to assure you that you will receive support both from myself and I am sure I may add from the authorities at home. "

Cromer : Modern Egypt. Vol II P. 98 - 100

Appendix E (7) See P. 235

" In the Zariba itself Bimbashi Watson, A.D.C. to Sirdar, counted 2000 dead before he was sick of it were others left : trench after trench was found full with them. A few were killed outside the Zariba; great many were shot down in crossing the river before

Steevens : with Kitchener to Khartoum P. 160

(1)

مصادر البحث

أولاً : النشأته

خطابات محمود الى الخليفة : وخطابات الخليفة الى محمود
وخطابات الاسراء الى محمود وإلى الخليفة : دار الوثائق المركزية
لجمهورية السودان - الخرطوم .

- | | | |
|----|---------|----------------------------------|
| ١ | هـ ١٢١٥ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٥ هـ |
| ٢ | هـ ١٢١٥ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٥ هـ |
| ٣ | هـ ١٢١٥ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٥ هـ |
| ٤ | هـ ١٢١٥ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٥ هـ |
| ٥ | هـ ١٢١٥ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٥ هـ |
| ٦ | هـ ١٢٠٨ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢٠٨ هـ |
| ٧ | هـ ١٢٠٨ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢٠٨ هـ |
| ٨ | هـ ١٢٠٩ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢٠٩ هـ |
| ٩ | هـ ١٢٠٩ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢٠٩ هـ |
| ١٠ | هـ ١٢١٠ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٠ هـ |
| ١١ | هـ ١٢١٠ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٠ هـ |
| ١٢ | هـ ١٢١١ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١١ هـ |
| ١٣ | هـ ١٢١٢ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٢ هـ |
| ١٤ | هـ ١٢١٢ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٢ هـ |
| ١٥ | هـ ١٢١٤ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٤ هـ |
| ١٦ | هـ ١٢١٤ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٤ هـ |
| ١٧ | هـ ١٢٠٨ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢٠٨ هـ |
| ١٨ | هـ ١٢١٤ | من محمود الى الخليفة سنة ١٢١٤ هـ |

١١ دفتر رسائل عثمان دغنه : من فنايم مرقعه آفانیت من مطبوعات
دار الرشائق العرکيه - الخرطوم *

٢٠- مخطوطة يوسف ميخائيل من التركية والمهدية ١٩٣٤ دار الوثائق
المركبة الخرطوم *

٢١- تقارير المخابرات المصرية وصفته خاصة التقارير الاتية :-

- 1- Egypt Intelligence Reports, Dec. 1892
2- Egypt Intelligence Reports, June 1895
3- Egypt Intelligence Reports June & Aug. 1896
4- Egypt Intelligence Reports . 1897.
5- Egypt Intelligence Reports Feb. & May 1898.

ثانيها :- الروايات المتعارضة :-

وقد تحدثت الى كثير من الناس من لهم صلة بهذا البحث منهم من عاصر الفترة المعنية ، ومنهم من له صلة بالامير محمود وداحمد ، ومنهم من له خبرة في الفنون العسكرية ، وهم :-

١- الشيخ عبدالكريم الفاضل ، عاصر الفترة التي نتحدث عنها وكان من بين الذين حاربوا في واقعة الغتمه - هو اساسا من اهالي الدامر ولكنه حضر الى الغتمه في ايام الواقعة .

٢- الشيخ سعد ود وراق ، من اهالي ام ضبيح لم يكن من عاصر تلك الفترة ولكنه عاصر من حضروا أحداثها رواياته ثابته ولكن له معرفه جيدء بالضغطه وجغرافيتها ودرجتها وطبيعتها .

٣- الشيخه (آمنه ١٢) من اقارب علي محمد تاي الله الذي كان محمود قد اوكل اليه حماية نساء الغتمه . وقد قالت لي ان علي محمد تاي الله كان خالا لها وانها كانت من بين نساء الغتمه الذين عكرو بهم علي محمد تاي الله بالقرب من النبل بعد واقعة الغتمه ولكنها كانت صغيرة السن في ذلك الوقت غير انها مازالت تتذكر بعض أحداث تلك الفترة .

٤- الشيخه زينب : بنت الامير محمود .
٥- اسماعيل محمد فضل الله وهو ابن اسد امراء محمود وابن بنت الامير محمود احد المذكورة اعلاه . وقد سمع اسماعيل الكثير عن تلك الفترة من والده . وبالرغم من ان رواياته كانت ثابته الا انه هو ووالدته قد اتفاداني كثيرا خصوصا في مسألة الانساب وصلة محمود بالخليفه وكذلك اسباب الخلافات بين الامراء مما لم يدون سواء اكانت تلك الخلافات قديمه قبل المهدية او تلك التي استمرت الى ما بعد المهدية .

٦- كثير من أبناء الامراء الذين عاصروا تلك الفترة في ام درمان - العباسيه - او في قرية الرماش - مثل اولاد فضل الحسينه ، والزاكي عثمان ، والزاكي طمبل ، وغيرهم .

٧- الرائد ابراهيم الامين محمد خير . وهو احد ضباط القوات المسلحة السودانية في سلاح المدفعية في مطهرة كان تسد زار منطقة الهودى وام ضبيح والتخيله وزار المكان الذي حكر فيه محمود والذي حدثت فيه واقعة التخيله .

- (1) The Annual Register, a Review of Public Events at and Abroad, for the year 1896, New Series, London
- (2) The Annual Register, for the year 1897, London 18
- (3) The Annual Register, for the year 1898, London 18
- (4) Harison, M. Wright, " The New Imperialism. " Ana of late Nineteenth - Century Expansion (Boston, 1
- (5) I. Holand Rose: The Development of the European 1870 - 1900 (London 1905)
- (6) V.I. Lenin, Imperialism The Highest Stage of Capitalism (New York 1939)
- (7) Leonard Woolf: Empire and Commerce in Africa: A Study in Economics Imerialism (London 1919)
- (8) G.N. Sanderson, England, Europe and the Upper Nile 1882 - 1899 (Edinburgh 1965)
- (9) R.E. Robinson, I. Gallagher with A Denny, Africa and the Victorians: The Official Mind of Imperialism (London 1961)
- (10) A. Hilliard Aberidge : Towards Khartoum, The Story of the Sudan War 1896 (London, 1897)
- (11) E.N. Bennet 3rd. Ed. The Downfall of the Dervishes (London 1899)
- (12) Bennet Burleigh, Khartoum Campaign 1898 (London 1
- (13) Piere Carbite's: The Winning of The Sudan, (Londo
- (14) G.A. Henty, With Kitchener in the Sudan, (London n

- (15) S. G. H. E. Calvile: History of the Sudan Campaign (London 1899)
- (16) H. D. Trail: Sudan, Egypt & The Sudan (London)
- (17) Cromer, The Earl of: Modern Egypt, 2 Vols. (London)
- (18) W.L. Langer: (The Diplomacy of Imperialism 2nd. (New York 1951)
- (19) Marquess of Zeland: Lord Cromer (1932)
- (20) W.S. Churchill: The River War (London 1899, reprint)
- (21) P. F.M. Holt: The Mahdist State in the Sudan (Oxford 1958)
- (22) M. Shibeika: British Policy in The Sudan (London)
- (23) Bennet Burleigh: Sirdar and the Khalifa (London)
- (23) G.W. Steevens: With Kitchener to Khartoum (Edinburgh and London 1898)
- (24) A.B. Theobald: The Mahadya (London 1951)
- (25) Berry, H.W. : Lecture Notes on the Sudan Campaign (Cairo 1921)
- (26) Philip Magnus: Kitchener, Portrait of an Imperialist (London 1953)
- (27) Sir G.C. A. Arthur: The Life of Lord Kitchener (London 1920)
- (28) J. L. Burckhardt: Travels in Nubia (London 1819)
- (29) Sir J.A.R. Mariott: Modern England (London 1952)

- (30) R. L. Hill: Egypt in the Sudan 1880 - 1881 (London)
- (31) H.L. Ritchard: Sudan Campaign 1896 - 99 by an Officer
(London, 1899)
- (32) Jackson, H.C. : The Fighting Sudanese (London, 1954)
- (33) E.F. Knight: Letters from the Sudan reprinted from
Times of April to Oct. 96.(London 1897)
- (34) R. Bull: Black and White War Albums, 2 vols. London
- (35) R.O. Collins and Rh. Tignor: Egypt and The Sudan (N
1967)
- (36) C. Royle: The Egyptian Campaigns 1882 - 1899 (Londo
- (37) A. Milner: Imperial Unity, Various Articles Vol. II
a collection of articles on various subjects about
Sudan kept in the Sudan Section of the University o
Khartoum Library.
- (38) G.N. Sanderson: Extracts collected by Dr. G.N. Sand
from Foreign Office and Public Records Office in Br
and given to B.A. (Honours) Students 1961 who were
(Upper Nile) as their special subjects.

